العدد الثامن
آب (اغسطس) ١٩٦١
السنة التاسعة

No. 8. Août 1961
9ème année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب ٤١٢٣ – تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et
directeur
SOUHEIL IDRISS

اغنيات.. لمجد الجزائر

للشاعر الجزائري مالك حداد

يجب ان نقتل الليل !

كنت تبحث عن الرائع النبيل
اذن ،فلتصم أذنيك عني
اني افضح سر الزهرة التي انتهت على الحجر
ايها الشاعر السعيد الذي يستطيع ان يصمت
ان الكلمة لتبدو فرضا علي الان
بلى ، انه لفرض ان اتكلم
ملايين من الذكريات تلح علي
بل اكثر من ملايين .
اني ادافع عن عطر الازهار الذي ينتظر مني ان ابدعه
ولكني فريسة اليأس في طائرتي اللعينة
ليس للحب حدود
سيظل الحب ابدا اكبر واغنى .. مهما احببنا
اني امضغ فكرتي كقطعة من الخشب
وحلمي ؟.. يا للمقبرة الضخمة ترافق الليل !
يجب ان نقتل الليل ...
يجب ان نقتله
لتنبثق الحياة من ورائه ...

★

اصغ الي .. اني اشعر برعدة الخوف
اني ارى رفاقي صرعى !
ارى قرية تباد فوق كل الشقاء الذي عانته
كل الشقاء الذي يستطيع العقل ان يتصوره .
ارى ذكريات قد لويت كما تلوى المسامير .
ارى املنا محطما كزجاج المطر .
ارى الغزالة المذعورة .
لقد استطاعت ان تهتك سر الخرافة
ارى الخراف الصريعة ، والرجال المخطوفين .

★

وهناك ...
ما عساني ارى !
هناك مصنع الجحيم الذي يقيمه صانعو المغامرات السود
هناك نسغ الحياة الذي يقتلونه باستمرار
هناك المذاق المر لعادات غريبة تفرض بالقوة
هناك كل هذا ..
وبالرغم من كل هذا نعيش .
اني اتمزق ضجرا
كلما تذكرت اني بعيد عن الجزائر

★

سنبدع تقاويم جديدة للزمن
سنصب الحياة كلمات في توابيت رفاقنا
سنجفف دموعنا بأكفان فقيرة .
وسنقول لاولادنا الذين ذاقوا اليتم الف مرة :
ستنجبون اطفالا يعرفون آباءهم
اطفالا يستطيعون ان يقولوا :
وطني هو الانسان ...

★

اني لاحس السجن في قلبي مهما تخطى الحدود
اني اتمزق ضجرا ...
كلما تذكرت اني بعيد عن الجزائر .

★

سننشد اعذب الاناشيد بعد حين
ان البارد ليبعث في نفسي الغثيان
واني لافهم البارود ..
اني اوثر السوسن حبيب آيار
فأيار يعيد الي ابدا ذكرى « غلمة »(1) الذبيحة
وكل يوم يمر يحمل الي ذكريات جديدة .
لم يمر يوم واحد بلا مأساة ...

(1) غلمة « او غويلمة » او قالمة : بلدة جزائرية في منطقة قسنطينة ، حدثت فيها مذبحة في ٨ ايار ١٩٤٥ من المذابح الوحشية الرهيبة التي قام بها الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كل الدروب التي تقود الى النهار .
اراني ابحث عن اسمي ابدا بين شواهد القبور .
عجبا ... كيف يفتح الماضي المرعب ابوابا لغد جميل!
اني احلم دائما بغد كالاساطير ...

المسير الطويل

انا الكلمة الاخيرة في القصة الضخمة التي ابتدات
لن ننسى شيئا مما مر .. لن نبدأ من الصفر
انني احتفظ باناشودتي نقية في عيني
ومن ثم .. اتابع المسير ، دون ان انكر شيئا من ماضي.
انا الكلمة الاخيرة في القصة الضخمة التي ابتدات...

★

ما عسانا نفيد من التمييز بين السماء والافق !
عسير ان نفصل بين الموسيقى والراقصين
ان البرنس الذي ارتداه اجدادي
البرنس الذي يتراءى امامي في كل مكان
ما يزال دثاري
ما يزال استمرار الحياة في داري .
انا الكلمة الاخيرة في القصة الضخمة التي ابتدات .

★

من صحرائي اللاهبتين سأصنع اناشيدي
اني احتفظ بأنشودتي نقية في عيني
انا في الحقيقة المعلم .. وانا التلميذ .

★

كم اتخيل اني كنت راعيا ذات يوم
وحينئذ يلتمع في عيني هذا الصبر الطويل
صبر الفلاح الذي ينظر الى يديه الصلبتين
فيرى فيهما تاريخ الوطن الذي سينبت البرتقال .
كم اتخيل اني كنت راعيا ذات يوم ..
واني قطعت رغيفي الكبير
ووزعت التين
واني هيأت لبنـــاتي
زواجـــا سعيدا
ما اجمـل كل ذلـك !
والآن ...
الى البندقية ..
الى العمـل ..
انا وابني البكـر
لقد كانت زوجتي اجمل نساء الوادي .

★

لكلمة « وطن » عندنا مذاق الاساطير
لقد داعبت يدي قلب اشجار الزيتون
ان مقبض الفأس هو منطلق ملحمتنا
لقد رأيت جدي الذي يحمل اسم « المقراني » .
باقي «مسبحته» جانبا ليتابع بنظراته انطلاق النسور
لكلمة « وطن » عندنا مذاق الغضب .

★

ابي .. يا ابي !
لماذا حرمتني
تلك الموسيقى المنسوجة من لحمي ودمي
انظـر الي ..
الى ابنـك ..
ابنك الذي يتقن ان يقول في لغة غريبة
تلك الكلمات الحلوة التي كان يعرفها
عندمـا كان راعيـا ...

★

يا الهي ..
ما اشد وطأة الظلام في عيني هذه الليلة !
أمـاه !.. يامه !
هل يمكن ان يكون أسمك Ma Mère
لقد فقدت برنسي ، وبندقيتي ، وقلمي .
لقد حملت اسما اشد زيفا من مظهري
يا الهي !..
ما ارهب هذا الليل .. ولكن ما عسى يجدي الصفير؟
انه الرعب يملأ الافق من حولك
انت خائف ، انت خائف ، انت خائف
فهناك ابدا رجل يلاحق كمرآة لا ترحم
زملاؤك في المدرسة ..
الشوارع ...
الترع ...
كل اولئك الذين تؤكد لهم في كل لحظة انك فرنسي
— انظروا جيدا الى ثيابي
الى لهجتي الفرنسية ..
الى منزلي ..
انا الذي يجعل من اصله .. من نسبه مهنة زرية ..
انا الذي يسخر بالتاجر فيسميه تونسيا
انا الذي يعرف ان اليهودي جندي جبان
انسموننى جزائريا !
لا تقولوا ذلك ...
فهذه شقيقتي لا تضع على وجهها الخمار
الم احصل في المدرسة على كل الجوائز في الفرنسية
في الفرنسية .. في الفرنسية ..
وباللغـة الفرنسية ...
يا الهي !
ما اشد وطأة الظلام في عيني هذه الليلة !

★

وفي ذات يوم ... اطل ٨ ايار (١)
دوري اذن ايتها الارض

---

(١) ٨ ايار ١٩٤٥ يوم الدماء والدموع ، سقط فيه خمسون الف جزائري برصاص الاستعمار الفرنسي في مجزرة واحدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزمجري ايتها الرعود
لقد خلفت ماضي المؤلم بجميع أخطائه
في قرارة قبري العميق .

★

في ذات يوم .. اطل ٨ ايار ..
أيحتاج الانسان ان يدفع كل هذا الثمن لكي يفهم ؟
أيحتاج لكل هؤلاء العامين ليتلقى هذا الدرس ؟
وكل هؤلاء الموسيقيين ليحب الموسيقى ؟
في ذات يوم .. اطل ٨ ايار ..

★

وكما ينقص المرأة المجد الكامل
اذا لم تهبنا عيون الاطفال
التي نرى فيها استمرار عيوننا
كما تنقص الغابات افواج العشاق
الذين يملأونها
ليقولوا لنسيم المساء : كم تحمينا ايها النسيم !
كما ينقص الشراع المركب الذي ينطلق
والمنديل الصغير الذي لا ينسى ابدا
كما ينقص الاسرة البشرية واحد منها
كان ينقصني انا اشياء كثيرة .

★

كنت بحاجة الى بستان لازهاري
الى عطر لازهاري
كنت بحاجة الى بستاني
لقد شاهدت عيون رفاقي تقدح بالغضب
شاهدت عيون رفاقي تبللها الدموع
رفاقي .. ناسجي العلم الوطني الكبير
علم الجزائر .
وها هوذا الآن ينتصب كالريح القوية
شامخا واسعا .. كالتاريخ
انه يجعلنا ننتقم لشعرنا الابيض ونحن في العشرين.
آه ! ..
يجب ان تكون لدينا فضائل النحل
لنستحق العسل .
ولنغني .. ايها الرفاق ...

سأسميها ...

... واذا كنت احيا الآن
فاني احيا للعاصفة
اعني لك انت ..
عندما يزدحم شارع سان ميشيل(1) بالاقدام
رائحة غادية
فاني ارثي لاصابع قدمي
اين منها طريقها الذي تحن اليـه
طريقها الذي حرم عليه ضوء النهار
طريقها حيث يحمي القمر الشاحب الثوار
وانه لعلى صواب .

★

ما اغبى باريس حين تعتقد ان وجودها يبرر كل شيء.
اني ابسم للهررة وهي تضطهد الفئران
وافكر في هذا «الاله الرحيم» الذي لم يفقه كل شيء.
اني لاحذر الهررة كما احذر الفئران
اني لاعشق تلك اللحظة التي تهبني الحياة .
سأسمي تلك اللحظة
اصغوا اذن !
سدوا آذانكم جيدا
وافتحوا قلوبكم على مصراعيها
سأسميها : رفاقي الذين سأعانقهم عن قريب
سأسميها : داري حيث تنتظرني امي بصبر نافد .
سأسميها : رفيقة القيثارات المحطمة
سأسميهـــا :
الجزائر .
لقد تغنيت بهذا الاسم عندما ولّى الشتاء
لم ابدع شيئا الا اسلوب حياتي
انه شعوري الكامل المترع باليقين
اليك يا بلادي سنجتاز الحصى البيضاء في كل قاع .
الى المخاضة سنعبر انهار الظلام
الى المخاضة .. اتسمعينني جيدا ؟

★

على الشاطيء
ستجد المياه الغريقـة
السباحين المنقذين .

بعيدا عن القبر

جئت كالاعصار
وقطرة قطرة اعود
كلمـا سرت اراني ابتعد
مبررا حياة الاغبيـاء
يموت من يحيـا .

★

شاعر هنـا
وشاعر هنـاك
من البلاهة انه يموت الانسان
بعيدا عن قبره كل هذا البعد (*) .

مالك حداد

(1) شارع كبير في باريس .

(*) هذه القصائد ماخوذة من ديوان « الشقاء في خطر » الذي ترجمته عن الفرنسية ملك ابيض العيسى وسيصدر قريبا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صلاة ... لأرض الثورة !

في الشهر الماضي ، زار الشاعر الجزائري مالك حداد عددا من البلاد العربية والقى عدة محاضرات بالفرنسية عن الجزائر و «مأساة» الاديب الجزائري .

وقد لقي الشاعر في حلب الشاعر العربي الاستاذ سليمان العيسى ، فكان من اثر هذا اللقاء أن تدفقت شاعرية الاستاذ العيسى بديوان كامل يصدر قريبا (١) بعنوان « صلاة لارض الثورة » .

وننشر فيما يلي المقدمة التي كتبتها ملك ابيض العيسى ، زوجة الشاعر العربي ، لهذا الديوان وهي تتحدث فيها عن ذلك اللقاء العميق بين الشاعرين ، فتلقي ضوءا كاشفا على المجموعة الشعرية التي نقتطف منها بعد ذلك القصائد الثلاث الاولى .

★

مقدمة

بقلم : ملك ابيض العيسى

لقد شهدت ذلك اللقاء .. كان ذلك في بيتنا ..

انه اللقاء الاول بين سليمان ، ومالك حداد .

كان مالك يطوف المشرق العربي للمرة الاولى في قناع خادع ، زوقته يد فرنسا الصناع ، فاتقنت تزويقه .

وكان سليمان في عزلة قاسية ، يعيد الماضي ويسترجع الذكريات، فلا يخرج منها الا بيأس مرير ، وخيبة قاتلة ..

وتلاقت عيونهما .. وتصافحت الايدي ، وسرعان ما سقط القناع المتقن ، وتجلى لنا الوافد من فرنسا ، الذي يتكلم لغتها باللهجة الباريسية الاصيلة ، فارسا من فرسان الصحراء يعقد حول عنقه برنسا احمر قشيبا لا تخطئه العين ..

ان الزيف لباطل ...

ذاك هو مالك حداد احد ادباء الجزائر وشعرائها المعاصرين الناطقين بالفرنسية ، كاتب روايتي «ساهديك غزالة» و «الانطباعات الاخيرة » .... وشاعر « الشقاء في خطر » .

لقد التقى باخوانه ابناء الاقليم الشمالي في دمشق وحلب ، وتحدث اليهم عن المعجزة الجزائرية ، وعن دور الادباء الشباب فيها . فكان اخوانه - وجلهم لا يجيد الفرنسية - يصغون اليه بكل جوارحهم ..

كانوا يقرأون كلماته في عبارات وجهه ، ويقاطعونه بالتصفيق والهتاف . فلا يملك الا ان تخضل عيناه بالدموع ، ويعلق قائلا : ان مأساتي تتجلى لي الان بشكل اعمق . اني اقف بينكم عيا لا اعرف كيف نتفاهم ! ..

لقد ذاق ابن قسنطينة التشرد والغربة منذ كان طفلا .. وشرد اطفاله الثلاثة من بعده . ولكن غربته هذه تهون اذا ما قيست بغربته الثانية ، بمنفاه الثاني - كما يسميه - .. انه اللغة الفرنسية ، وسيلته الوحيدة للتعبير عن نفسه .. عن كل ما يضطرم في صدره من شعر ، وحب ، وثورة ، وغضب ..

ان مالك حداد ، ورفاقه كاتب ياسين ، ومحمد ديب ، ومولود فرعون ، ومولود معمري .. الناطقين بالفرنسية ، يعيشون في منفى هذه اللغة . فما ان تنطلق بها حناجرهم ، ما ان يسيل بها مدادهم حتى يحسوا الزيف في كل ما يقولون .

ويشاء القدر ان يحمل هؤلاء الادباء الشباب المسؤولية الخطيرة ، والرسالة الضخمة ، مسؤولية التعبير عن آلام الجزائر وآمالها ، وثورتها المعجزة . التي لم تكد تهدأ منذ وطئت اقدام الاستعمار البغيض هذه الارض الطيبة .. منذ مائة وثلاثين عاما .

لقد عملت فرنسا بكل ما أوتيت من قوة على ان تقتلع الجذور العربية من ارض الجزائر .. وتزوير كل شيء فيها حتى التراب (١) ... وبدأت باللغة ..

شنتها حربا ضروسا على اللغة العربية ، فحرمتها على كل شفة ولسان ، وقاتلتها حتى في الكتاتيب . وفرضت اللغة الغريبة فرضا على كل جزائري ..

ويعتذر مالك لصديقه : « لا تلمني يا صديقي اذا لم يطربك نشيدي ، لقد شاء لي الاستعمار ان احمل اللكنة في لساني .. ان اكون معقود اللسان .. لو كنت اعرف الغناء .. لتكلمت العربية ».

ويهز ابن انطاكية راسه ..

ويطرق في الم عميق ..

انه يدرك المأساة .. لقد عاش طرفا منها ، ولكنه يحس بكل أبعادها ..

لقد فر هو الاخر من منفى الجنسية التركية ، ومن منفى اللغة التركية ..

لقد اجتازا لحدود وهو طفل في العاشرة . . واجتاز معها داره ، وبستانه ، واهله ..

واذا كانت ابنته الصغيرة بادية التي انست بالشاعر الجزائري ، فقفزت على ركبتيه ، تسأله عن طفلتيه الجميلتين ، تتلعثم بكلمات عربية ناعمة يهتز لها المشردان .. فان سائر ابناء اللواء يعيشون الان تلك المأساة .. ولكن حداثة سنهم لم تتح لهم ان يفتحوا عليها اعينهم بعد ..

ان مالك يتحدث باسم غرباء العربية .. باسمهم جميعا .. ضحايا الفرنسية ، وضحايا التركية . افيكون غريبا بعد هذا ان ينطلق سليمان من هذا اللقاء الخاطف .. فيكتب مجموعته الجديدة هذه في خمسة عشر يوما لا غير ؟..

وبعد.. فاذا كان سليمان قد فتح عينيه على الحقيقة يوم اغتصاب وطنه الصغير ، يوم سلخ اللواء عن الوطن الام ، واهدائه لتركيا .. والتزم منذ ذلك الحين الثورة طريقا للخلاص في كل ما قال .. فان مالك حداد يجيبك ببساطة حين تسأله عن تاريخ ولادته :

- لقد ولدت في ٨ ايار ١٩٤٥ . ايحتاج هذا التاريخ الى تعريف ؟

ثم لا يرى في حياته قبل هذا اليوم شيئا ..

لقد التزم مالك ايضا منذ ٨ ايار ، يوم الدمع والدم في الجزائر ، طريق الثورة .. وصعد فيه جنبا الى جنب مع رفاقه حملة السلاح .. يحققون وجودهم العزيز ، ويعطون للحرية ، للكرامة الانسانية معناهما الاصيل .

انه يلتقي مع سليمان في الطريق ..

انه يحدد رسالته ، ورسالة الشاعر العربي الذي يحمل المأساة في صدره حين يقول في مقدمة ديوانه ، مخاطبا صديقه :

.. « انت تكتب لانك تحب .. واذا لم يكن لديك ما تحبه فاطرح قلمك ..

باقدامك ، اقدام الجندي ، اقدام الشاعر الجوال ستخط طرقا جديدة ، ستخط دروبا معطرة بالاساطير .

انك لربان طائرة تطير على طريقتك .. اني احذرك . لن يكون لك محطات استراحة تلتقط فيها انفاسك . ستطير حتى ساعة وصيتك .. ولن تكترث بذلك .. لانك شاعر .

---

(١) عن دار العلم للملايين في بيروت .

(١) سميت الجزائر : الترب الفرنسي .

يجب ان نقتل الليـل .. يجب ان نقتله ... لتنبثق الحياة من ورائه .. »

بلى.. يا شاعرة الثورة .. يجب ان نقتل الليل ..

يجب ان نقتله .. لتنبثق الحياة من ورائه .. للجزائر ،

للامة العربية ..

للانسانية جمعاء .

حلب ملـك ابيض

تخضر زهره

نحن يا مالك جرح .
قريتي (١) مثل قسنطينة جرح ،
ابدا في دمنا منه اعاصير ، ولفح ،
ابدا يصرخ في اعماق أرضي
قوته نبضك في النزع ، ونبضي ،
يقظتي فيه احتراقات ، وغمضي
ابدا أطعمه يأسي ، واشعاري ، وناري .
ابدا أسقيه ثاري ،
واغذيه دماري ،
واغني أبدا للريح ،الموت ، انتصاري ،
يا صديقي ، نحن في التاريخ جرح
في قسنطينة منه ، وبقلبي منه لفح
جارف كالنار ، كالسيل ،
كهمس الفجر ، سمح .
أغمض الجفن على تمزيقه جفني ، واصحوا ،
ابدا نزدرد البيداء ، والبيد سراب .
ابدا نقرع صدر الليل ..
والصمت الجواب ..
عل روحـا عربيه
مـن وراء الابدية
من صحارانا القصيه
تتلقى همسة من جرحنا الدامي ، وقطره ..
وعلى الدرب ،
على أشلائنا ،
تخضر زهره !

على الجمر

أيها اللحن المشرد !
أيها الباحث عبر الموت عن انقاض فرقد ..
بددا ضعنا على شط الدنى يوم تبدد
يا ربيعا من ضلوع البؤس ، والمحنة ، يولد ..
من ينابيع الدم المسفوح في كل حنيه
مـن ثرانا العربيه ..
يا رفيقي
يا مـن اختار على الجمر ،
كما اخترت ، طريقي
اي انشودة حب في دمائي !
ولدت مجنونة العصف ، جريح الكبرياء !
عندما شدت على كفي يمين
تحمل السبع السنين (٢)
ثورة دقت قيودي
غضبة أعطت وجودي
ووجود العرب
ضوءه ، معناه ، عبر الحقب ..
يا رفيقي ..
يادما كالنار يجري في عروقي
قبل ان يلتقي النبضان في أعصار ساحه
ويذيب الثأر في الثأر جراحه ..
قبل ان تنزل داري
لحظات من نهار
كابتسامات الصغار
كاندفاع الموجة الخضراء من قلب البحار ..
قبل ان تنهد في كفي يمين
تحمل السبع السنين
ثورة دقت قيودي
غضبة ..
اعطت وجودي
ووجـود العرب
ضوءه ،
معناه ،
عبر الحقب ..

المنفى المرير

في لهاة النسر غصة (٣)
في حنايا البابل المطعون غصه
لاتثرها ..
لا ترددها عليا ..
انها في شفتيا
منذ فتحت على المحنة هدبي
مذ حملت اللهب المجنون في اعماق قلبي .
يا صديقي ..
انا ادري اني مأساة رهيبه !
غربت لحنك عني ، فهو آهات خضيبه
أيها النسر المهيض
انه المنفى البغيض (٤)
بيننا سور من الصمت رهيب ..
انه الحرف الغريب ..
كلما هم جناحاك بضربه
وقفت صخرة غربه
فاذا اللفظة زفره
تحرق الشاعر فى الصمت ، وشعره ..
لاتثرها .. انابطال الجزائر
باللظى يمحونها ،
بالدم ،
ابطال الجزائر ..
عبثا .. يقصيك عن اهلك سور
شاده الظلم ، وحرف هو منفاك المرير
لغة الثورة صبتك نشيدا عربيا
شع فى العينين تصميما ،
ووقدا في المحيا ..
لغة الثورة .. فاملأ مسمع الزهو دويا
انت حي .. ماتمطى الفجر فى (أوراس) حيا ..

سليمان العيسى

---

(١) قرية الشاعر ، قرب أنطاكية .
(٢) دخلت ثورة الجزائر عامها السابع
(٣) كان الشاعر الجزائري يتكلم اللغة الفرنسية
(٤) كان الشاعر ما يفتأ يردد بالم : اللغةالفرنسية هي منفاي الذي قدر علي ان اعيش فيه .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

أزمة المفكر العربي

بقلم الدكتور محمود يوسف زايد

مشاكلنا وازماتنا متعددة متفاوتة الشأن والخطورة، لكن اشدها خطورة ، واكثرها الحاحا ، وادعاهـا الى الاهتمام وبذل الجهود الصادقة هي ازمة المفكر العربي المعاصر . فالمفكر عقل الامة المدبر يحيي ماضيها ، ويفهم حاضرها ، ويخطط لمستقبلها عن وعي وادراك وشعور بالمسؤولية منبثقين من وجدانه وتفكيره .

ويمكن رد هذه الازمة الى عاملين رئيسيين : اولهما ان المفكر العربي بدأ منذ قيام الثورة المصرية يجتاز مرحلة حاسمة من تاريخه يتوقف على مصيرها لا مستقبل الامة العربية فحسب ، بل ووجودها كأمة عربية ، وثانيهما هو انه ما زال ينتهج اساليب ويعتنق مفاهيم ويتأثر بأفكار لا تتفق واهدافه التي يأمل بتحقيقها ان يخرج من ازمته مرفوع الرأس وافر الكرامة ، مستقل الشخصية، منفتحا على العالم يأخذ منه ويعطيه في تسامح وحرية وثقة بالنفس .

ولتقدير خطورة المرحلة الفكرية الحـاسمة التي يجتازها المفكر العربي ، وابراز الاسـاليب والمفـاهيم والافكار مما ينبغي تعديله او تغييره، يحسن بنا ان نعرض لنشاطه في فترة ما قبل الثورة المصرية .

تبدأ هذه الفترة في السنوات الختامية من القرن الثامن عشر الميلادي حين بـدأ المجتمع العربي يتلقى مؤثرات اوروبية ثقافية فكرية وتكنولوجية ومسلكيـة ويستجيب لها . وقد اتسمت استجاباته الاولى في الغالب بالدهشة والتقدير وحب الاقتباس لجوانب عدة من مظاهر الحضارة الغربية (1) .

وكانت محاولة محمد علي باشا لادخال اصلاحات في مصر تحتذي المثال الاوروبي اول عمل منظم فـي البلاد العربية لاقتباس حضارة الغرب على نطاق واسع. وعلى الرغم من انهيار كثير من اصلاحاته ، الا ان تجربته ظلت مثالا يحتذيه خلفاؤه ، ومصدر ايحاء والهام للاجيال الاسلامية عامة والمصرية خاصة . وقام اسماعيل باشا بمحاولة مماثلة آتت بعض الثمار ، ولكنها جرت فيمـا جرته على مصر الاحتلال الانجليزي سنة ١٨٨٢ .

ويعين لنا عهد اسماعيل والسنوات القليلـة التي تلته نقطة تحول في التفكير الاسلامي والعربي وخـاصة في موقف أهلـه من الغربيين وحضارتهم . فقد اخذ المفكر منهم يرتد الى نفسه من ناحية ، ويحاول تحديد موقفه من التيار الثقافي الغربي من ناحية اخرى .

بدأ هذا المفكر يتساءل كيف وصل به الحال مـن ماض حافل ببطولاته وامجاده الى حاضر يخضع فيـه لسلطان امم كانت قبل بضعة قرون فقط لا تستحق عنده حتى الذكر . وقد فجر هذه المأساة في نفوسهم اثنان من ائمة المسلمين وهما جمال الدين الافغاني ومحمد عبده اللذان يعتبران من اعظم مؤسسي النهضة الاسلامية والعربية الحديثة(٢) .

وكانت الاخطار التي تهدد العالمين العربي والاسلامي في نظر المفكرين من نوعين: الاستعمار وبخاصة الاستعمار السياسي ، وخطر ذوبان الشخصية العربية والاسلامية وفقدان مثلها وقيمها ، وتقويض معتقداتها الدينية بسبب غزو الثقافة الاوروبية المثقفين واقبالهم على تقليد الغرب.

فصب اعلام الفكر جام غضبهم على من يقلد الغرب لا عن تفهم ونظر ، بل عن عمى يقف به عند القشور دون اللب ، والعرض دون الجوهر .(٣) وعملوا في الوقت ذاته على اعادة الثقة الى النفوس بالتأكيد على ان ضعف الامة الاسلامية هو مما يسهل التغلب عليه ، وان الدين الاسلامي غير مسؤول عن تأخر المسلمين ، فما « زعموه في المسلمين من الانحطاط ، والتأخر ـ ليس منشؤه هذه العقيدة ـ ولا غيرها من العقائد الاسلامية ـ ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه ، بل اشبـه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار . » (٤)

كما اكد هؤلاء الكتاب بأن الاسلام لا يتعارض مع العلم الحديث .

وانبرى الكتـاب والادباء الى الرد على المبشرين والمستشرقين، وخاصة عندما انتقد اللورد كرومر الاسلام كنظام اجتماعي وانتقد مركز المراة المسلمة . (٥) ووصف كاتب مصري جهود المصريين في الرد على انتقـادات كرومر وغيره ممن تعرضوا للاسلام بقوله :

« كم انفق فيها المصريون من الجهد والوقت حتى اوشكت قضية الدفاع عن الدين ان تكون مفضلة فـي مصر على قضية الدستور نفسه ، وقضية الجلاء نفسه. كنت لا تفتح جريدة او كتابا مؤلفا او آخر مترجما او تصغي الى خطيب في محفل من المحافل او ناد من الاندية حتى يكون الدفاع عن الاسلام ضد اعدائه من الاوروبيين جزءا هاما من هذا الكتاب او الحديث او الخطبة . »(٦)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١) انظر مثلا موقف المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي من اعمـال الفرنسيين في مصر في محمود الشرقـاوي ، مصر في القرن الثامن عشر ، الجزء الاول ط٢ (القاهرة ، ١٩٥٧) ص ١٧٨ ـ ١٨٩ .

٢) انظر مثالا من صرخاتهما التي اطلقاها اسى على حال المسلمين: جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، العروة الوثقى (دار العرب ، القاهرة ١٩٥٧) ص٩ وما بعدها .

٣) انظر مثلا محمد باشا المخزومي ، خاطرات جمـال الدين الافغاني ، (بيروت ١٩٣١) ص ٣٢٧ وما بعدها .

٤) المصدر السابق : ص ٣٨٦

٥) لورد كرومر ، مصر الحديثـة (نيويورك ١٩٠٨) ج٢ ص. ١٣٤ ـ ١٣٥ ، ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

٦) عبد اللطيف حمزة ، الصحافة والادب في مصر (معهـد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥) ص‌ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

وكان الميدان الذي استأثر بشطر كبير من تفكير العرب هو الميدان السياسي . وان تميز تفكيرهم فيه بشيء فهو بنزعته الى التحرر من ربقة الاستعمار ومن الاستبداد السياسي على اطلاقه . وكان هذا شيئا طبيعيا بالنظر الى ما فطر عليه الانسان من نزعة الى الاستقلال بشؤونه ، والعمل بوحي من ارادته . وكان يغذي هذا الاتجاه ايمان المسلم بأن :

« الديانة الاسلامية وضع اساسها على طلب الغلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعتها ، ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ احكامها ... »(٧) وقوى النزعة الى التحرر ايضا تدفق الافكار السياسية الغربية ، وخاصة افكار الثورة الفرنسية ، على العالم العربي بطريق ترجمتها الى العربية، او بطريق بعثات الطلاب العرب الى اوروبا ، او الاحتكاك المباشر بين الاوروبيين والعرب .

وقد اتخذت نزعة التحرر هذه اتجاهات سياسية تتميز بمعالم واضحة اولاها الدعوة الى الجامعة الاسلامية التي اقترنت باسم باعثها الحديث جمال الدين الافغاني، والاتجاه القومي العربي المحلي والاتجاه القومي العربي العام .

فلما وضح للعرب ان الوحدة الاسلامية في ظل العثمانيين باتت متعذرة اخذ اتباع الاتجاهين القوميين في تزايد . وكانت مصر اذ ذاك ابرز الامثلة على الاتجاه القومي المحلي ، بينما كانت سوريا والعراق والجزيرة تمثل الاتجاه القومي العربي العام الذي اخذ يدعو الى تجسد سياسي في كيان عربي مستقل موحد . وقد اوضح عبد الغني العريسي في مؤتمر باريس لسنة ١٩١٣ معالم هذا الاتجاه الاخير بقوله :

« ... ان العرب تجمعهم وحدة لغة ، ووحدة عنصر ، ووحدة تاريخ ، ووحدة عادات ووحدة مطمح سياسي ، فحق العرب بعد هذا البيان ان يكون لهم ، على رأي علماء السياسة دون استثناء ، حق جماعة ، حق شعب ، حق امة ... »(٨)

واقترن الوعي القومي باتجاهيه بيقظة ثقافية انتهجت سبيلين واضحين وهما اولا ، العمل على نشر التراث العربي الديني والثقافي ، وتمجيد مآتي العرب الحضارية وفضلها على النهضة الاوروبية في مطالع العصور الحديثة ، والتمسك باللغة العربية ونشر آدابها من شعر ونثر وتيسيره للناشئة . وثانيا ، الاقبال على الاقتباس من نتائج الفكر الاوروبي وخاصة الآداب الفرنسية .

وغلبت على الفكر العربي في الميدان الاجتماعي ثلاثة اتجاهات رئيسية ، متداخلة احيانا ، وهي الاتجاه المحافظ ، والاتجاه الاصلاحي التوفيقي ، والاتجاه التجديدي . وكانت هذه الاتجاهات في اساسها ردود فعل لانفتاح المجتمع العربي على الحضارة الغربية بافكارها وقيمها وعاداتاهلها ومنجزاتها التكنولوجية.(٩) وكان اصحاب الاتجاه المحافظ ، في الغالب ، يرون ضرورة اتباع السلف في اخلاقهم وتقاليدهم وفكرهم ، ويحضون على التمسك بالدين واتباع اوامره ، واجتناب نواهيه . وذهبوا الى انهم يستطيعون اقتباس العلوم الحديثة والتكنولوجيا الغربية دون ضرورة للاخذ بفلسفتهم المسيطرة على علومهم . فالحضارة الاوروبية في نظرهم مادية في جوهرها ، اما حضارتهم فهي حضارة روحية .

اما الاصلاحيون التوفيقيون ، الذين اجتذبوا غالبية اهل الفكر الى صفوفهم ، فقد قالوا بمزج التراثين الغربي والعربي مستندين الى تجربة العرب الاول حين تمثلوا الثقافات المجاورة التي اقتبسوها ، وخرجوا العالم بثقافة عربية اسلامية اصيلة . واشترط هؤلاء ان تكون عملية المزج قائمة على منهج انتقائي يأخذ من التراثين ما يصلح وحاجات العصر .

ورأي المجددون ضرورة اقتباس الحضارة الاوروبية برمتها لاعتقادهم بانه لا فرق هناك بين العقل العربي والعقل الاوروبي ، وغلا بعضهم في تمجيد الحضارة الاوروبية والسخرية من تقاليد قومهم ومعتقداته . (١٠)

---

٧) محمد رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (ج١ ، ط ١٩٣١) ص ص ٣١٤ - ٣١٥ .

٨) ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء الفكرة القومية (ط٤ ، بيروت ، ١٩٥٩) ص ص ٢١٦ - ٢١٧ .

٩) راجع بصدد هذه الاتجاهات : جميل صليبا ، محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث (معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨) ص ص ١٢٧ - ١٥٠ ، محمد حسنين ، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر (ج١ ، القاهرة ، ١٩٥٤) محمود يوسف زايد ، « العرب المحدثون وازمة القيم » العلوم ، عدد اذار ١٩٦١ ، بيروت ، ص ص ٢ - ٣ .

١٠) محمد حسين ، المصدر السابق ، ص ص ٣٤٢ - ٣٤٥ .



نرى من هذا ان اغلبية المفكرين وقفوا حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى موقف الدفاع عن عقائدهم الدينية وتاريخهم وتقاليدهم ، وانهم ذهبوا الى ضرورة التوفيق بين التراث العربي الاسلامي والحضارة الغربية ، وانهم اجمعوا على ضرورة اقتباس التكنولوجيا الغربية ، وان الاتجاه القومي العربي غلب في الحقل السياسي وحقق انتصارات لا بأس بها .

بيد ان فترة ما بين الحربين العالميتين والسنين القليلة التالية حتى الثورة المصرية كانت امتحانا عسيرا للمفكر العربي . فقد استهل المفكرون هذه الفترة يغمرهم بعض التفاؤل بصدد الوصول الى حكم انفسهم بأنفسهم بطريق المفاوضة مع الحكومات الغربية ، وترسيخ النظم الديمقراطية الغربية . ونشط انصار الاصلاح والتجديد نشاطا ملحوظا في جميع مجالات الفكر . الا ان تفاؤلهم لم يلبث في العقد الرابع من هذا القرن ان اخذ يتضاءل بسبب عجز الهيئات الحاكمة عن تحقيق التجربة الديمقراطية ، ونزاعات الاحزاب السياسية التي كانت في الاغلب شخصية، وقصور المجالس النيابية عن تمثيل الشعب بجميع طوائفه . ومكنت الحضارة الاوروبية بوسائلها التكنولوجية لا من زيادة الهوة بين الاغنياء والفقراء فحسب ، بل وفي ابرازها بشكل اخذ يولد الشعور بالتذمر ، والتمرد على الاوضاع الاجتماعية . وزاد من شدة المحنة ان العالم العربي اصبح مسرحا للصراع الايديولوجي (الفلسفي الاجتماعي) بين الشرق والغرب ، وبدا للبعض وكأن الشباب الذين استطاعوا حتى ذلك الحين الاحتفاظ بشخصياتهم الفكرية والاجتماعية العربية في وجه تدفق المؤثرات الغربية سيقعون حتما ضحية لاحدى الايديولوجيات ، وخاصة اليسارية .

واحرج الفئة المجددة من انصار الحضارة الاوروبية فشل الهيئات الحاكمة فيما بين الحربين العالميتين في تحقيق الاستقلال المنشود ، واقدام بريطانيا على التمكين للصهيونية في فلسطين . واخذ الغرب بوجه عام يفقد انصاره ، كما اخذ نسق الفكر الاجتماعي يتحول من محافظ ومصلح ومجدد الى يمين ويمثله الاخوان المسلمون ، ووسط يمثله القوميون العرب ، ويسار يمثله الشيوعيون . وساعد اليسار على التأثير في مجرى الفكر لا فشل التجربة الديمقراطية فحسب ، بل واستدعاء اليساريين لحمل الشعارات القومية ومناصرة اصحابها .

وكانت مصيبة العرب بقيام اسرائيل اشبه بناقوس الخطر الذي يقرع آخر تحذير له ، فلم يبق اذ ذاك شك في ان تثبيت الصهيونية في قلب العالم العربي عملية تنطوي لا على تهديد دين او فكر او تقاليد فحسب ، بل وعلى تقويض الوجود العربي ذاته . ووضح كذلك ، وخاصة بعد فشل الجامعة العربية في مواجهة الخطر الصهيوني وقوى الاستعمار التي تسنده ان المتنفذين من حكام وملوك وامراء واقطاعيين لن يقووا على تحقيق الوحدة العربية ولا على تحرير جميع بلادهم من الاستعمار . وكان لاتفاق امريكا وروسيا على اقامة اسرائيل اثر كبير في توجيه السياسي العربي توجيها واقعيا ادرك معه انه لا سبيل امامه غير الاعتماد على النفس .

وهنا نقطة انطلاق المرحلة الحاضرة في نشاط المفكر العربي . بدات هذه المرحلة مرة اخرى بارتداد المفكرين الى انفسهم واعادة النظر في كل مرافق تفكيرهم وحياتهم ، ثم بتحديد موقفهم لا من الصراع الايديولوجي فحسب ، بل ومن الدول الكبرى ايضا .

وكان العامل الحاسم في تشكيل الاتجاهات السائدة في الفكر العربي في هذه المرحلة هو الثورة المصرية وخاصة بعد ان استطاعت ان تتغلب على اهم العقبات السياسية الداخلية والخارجية التي واجهتها . فكان اول منجزاتها الحاسمة هو نفخ روح جديدة في الاتجاه القومي العربي العام وتزعمه . وقال في ذلك جمال عبد الناصر :

« ان مصر كما ترى كانت خارج الكفاح العربي . وبعد الثورة اكتشفت مصر نفسها ومكانها ، وكان عليها ان تعود الى قلب الكفاح العربي . ثم دفعتنا ظروف وقوى الى ان نصبح في مركز رئيسي ، فلم يعد في وسعنا ان نفعل غير ما نفعل . لقد اصبحت القاهرة قاعدة كل كفاح عربي وعاصمته من عمان الى الجزائر ... »(١١) .

ولعل من اهم نتائج الثورة المصرية هو اعادة الثقة الى نفوس العرب بعد ان كاد فشل حرب فلسطين وافلاس الحكام يعصف بها . فلأول مرة يرى العربي قوى وطنية تصنع تاريخه ، ويرى القرارات بصدد مستقبله توضع لا في لندن وباريس وواشنطن بل في العواصم العربية . ولاول مرة يشهد العربي قيام زعيم وطني لا حزبي منبثق من صميم الشعب يشتعل غيرة على كرامة الامة العربية ولا يتطرق الشك الى اخلاصه ونزاهته . ولاول مرة كذلك يشهد ثورة عسكرية تهدف الى خلق اتجاه فلسفي اجتماعي (ايديولوجي) بقصد تخطيط مجتمع عربي جديد له اسس فكرية ذات شخصية مستقلة .

ونظرا لهذه العوامل الجديدة امكن الان غلبة الاتجاه القومي العربي سياسيا وفكريا ، وامكن كذلك تبلور الاهداف العربية القومية الاساسية وهي : تحرير الوطن العربي كله من خطر الاستعمار ومن ربيبته اسرائيل ، وتوحيد الكيانات السياسية العربية المتفرقة ، والافادة من طاقات ابنائها وثرواتهم ، وتكوين فلسفة اجتماعية عربية تنبثق من تراث العرب وتستمد عناصرها منه ومن الثقافات العالمية ، وتحقيق المساواة والعدالة الشاملتين في المجتمع العربي دون تفريق بين عناصره ، والمساهمة في التقدم الانساني العام (١٢) .

ويقضي منطق الاشياء ان تتغير أو يتفق ومتطلبات تلك الاهداف العظيمة. والواقع انه تناول بعضها بالتغيير والتعديل ، لكنه ما زال يتمسك بكثير من المواقف

ـ التتمة على الصفحة ٧٦ ـ

---

١١) من جواب للرئيس جمال عبد الناصر على سؤال وجهه اليه الصحفي الهندي كارانجيا . انظر النص الكامل في نشرة لدارالسياسة في بيروت في ٢١ نيسان ، ١٩٥٩ ، بعنوان عبد الناصر يتحدث .

١٢) قارن هذه الاهداف بوصف الدكتور قسطنطين زريق للمعركة التي يخوضها العرب واهدافها في « التراث الحضاري » ، مجلة الابحاث ، السنة ١٣ الجزء الاول ، اذار ، سنة ١٩٦٠ . صص ٢٠ ـ ٢١ .

الجروح السُّود

من مذكرات جميل مسعود

خلّيتُها تروحْ
وأنهار قلبي رمةً
جنازة خرساءَ لا تنوحْ
تطلُّ من رسمٍ على ألجدارْ
ضحكةُ عينَيها.. وعبر الدرب والغبارْ
إمرأةٌ تخفي بكفٍّ عينها
المزرقة الرهيبهْ
تعيا بثقل الشمس والحقيبهْ
تمضي الى محطة القطارْ

* * *

مرارةٌ وعارْ
تفلٌ بلا طعمٍ
بقايا الحب، تفل الحقد في ألقرار.
وكيف اصبحنا عدوَّين
وجسمٌ واحدٌ يضمُّنا، نفاقْ
كلٌّ يعاني سجنه، جحيمَهُ
في غمرة العناقْ

* * *

لو كان فينا جمرةٌ خضرا
لثارتْ وأستحالت خنجراً يصيحْ
من لهب أخضرَ في الجروحْ
تُفتّق البلسم وألريحان والظلالْ،
كانت جروحٌ.. عاصفٌ وزال.

* * *

خلّيتُها تروحْ،
جنازةٌ خرساء لا تنوحْ،
حمى جروحٍ
ودم يسودُ في الجروحْ

كمبردج ١٩٥٨ خليل حاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغلاط شائعة في تعريف « الأدب القومي »

بقلم نازك الملائكة

لعل الموضوعات التي يكثر الكلام فيها هي دائما احرج الموضوعات واكثرها مزالق . ذلك ان جوانبها تصبح – بسبب كثرة المتحدثين فيها – مثقلة بعشرات من الانطباعات والملامح المضللة . ولقد يسري خطأ ما وتتناقله الاوساط حتى يصبح رأيا متعنتا طاغيا لا يجرؤ احد على مناقشته . والحق ان للاغلاط الشائعة جبروتا وطغيانا بحيث يحتاج المرء الى ان يكون جريئا كل الجراة اذا هو اراد ان يصيح في وجهها ويحتج عليها . ولكن للحقيقة صولة ، ولا بد لكل خطأ جسيم ان ينهار يوما امام معول الحق .

ولقد كان موضوع الادب القومي احد هذه الموضوعات الشائعة التي اثارت اهتمام الجماهير والادباء والمفكرين العرب جميعا فكثرت الضجة حوله حتى اصبح اصطلاح الادب القومي لفظا ضبابي الوقع مبهم المعنى يتيه الفكر في ممراته ودهاليزه . ولقد يكون صعبا ان نجد اليوم اديبين عربيين يتفقان على مضمون واحد للاصطلاح . ولعلنا كلنا ننصرف عن تعريف اللفظ بشيء من الغيظ والضيق . فسرعان ما نصطدم بالآراء الشائعة التي تحاول ان ترغمنا ارغاما على ان نقبلها ونلوي اعناقنا لها . فكأن هذه الآراء طاغية يحكم بأمره فلا بد لنا ان نخضع لاحكامه ونزواته مهما رفضها تفكيرنا .

ولقد اتيح لي ان اقرأ – خلال السنين الماضية – كثيرا مما كتب الكتاب حول «الادب القومي» وما ينبغي ان يتصف به ، فكان انطباعي المستمر حول التعريفات الشائعة انها ، على العموم ، تضيق الفكرة الحقة للقومية وتنزل بها الى مستوى اصغر منها واوطأ . وقد لاحظت ان ذلك « التضييق » يبرز على ثلاثة اوجه سأتناولها فيما يلي بالشرح والنقد : –

(اولا) لقد الف اغلب كتابنا ان يتحدثوا عن الادب القومي وكأنه يتجلى في الموضوع الذي يتناوله الكاتب العربي . فاذا تناول الاديب قضايانا القومية تناولا مباشرا عدوه اديبا عربيا يمثل الفكرة القومية حق التمثيل . واما اذا لم يكتب في تلك الموضوعات فانه في نظرهم ليس اديبا قوميا ، وما يكتبه بعيد عن الادب القومي . وهذه النظرة تجعل المظهر الايجابي للقومية هو التحدث فيها تحدثا صريحا فنحن ، عندها ، قوميون اذا نحن كتبنا في القومية ، ولسوف نصبح غير قوميين حين نكتب في اي شيء آخر غيرها .

ان هذه الفكرة ، في الواقع ، بعيدة عن العمق والحق كل البعد . ذلك انها تقع في خطأ فلسفي جسيم هو انها تنكر الجانب العفوي من القومية وتقيم في مكانه تعويضا خارجيا مصطنعا . فهل حقا ان كل من يتحدث في القومية يمتلك الروح العربية الصادقة ؟ وهل يفقد الاديب العربي روحه القومية اذا هو لم يكتب على الاطلاق في قضايانا القومية ؟ ان الجواب على هذين السؤالين يتضح اتضاحا كافيا حين نلاحظ العدد الكبير من الادباء الطالعين الذي يكرسون ادبهم للكتابة في شؤون القـ[illegible] ولكنهم يكتبون بروح ادبية محضة تكاد تصيح صياحا بانها ليست روحا عربية ولا صلة لها بجو العروبة . ا[illegible] حديث هؤلاء عن القومية لا يجعل انتاجهم قوميا ، وهم يكذبون على الروح العربية في كل حرف يسطرونه .

والواقع ان القومية في الادب اكبر واوسع من ان تتمثل في مجرد الموضوع الذي يتناوله الكاتب . وانما الادب القومي هو الذي يعبر تعبيرا اصيلا عن الروح العربية بكل ما لها من عفوية وانطلاق . انه يمثل ، دون ان يقصد ، لفتات ذهن الامة العربية وملامح شخصيتها الفكرية والروحية . وهو يحمل طابعها الشعوري ومستواها العاطفي والصفات العامة لشخصيتها . وهذا كله قابل لان يتجسد سواء اتحدث الكاتب عن القومية ام لم يتحدث . وانما العلاقة بين الادب القومي والموضوع الذي نكتب فيه علاقة عارضة لا شأن لها . فالعروبة اوسع من مجرد حديثنا عنها . انها تكمن في خدودنا واهدابنا ودمائنا وهي تجري مشتعلة في كلماتنا . ان اي ادب نكتبه ، في اي موضوع ، ينبض بها ويشير اليها . ولعل اصدق الادب قومية هو الادب الذي لا يدري انه قومي . كالطفل العربي الذي يتلقى انطباعاته في بيئة عربية ، فلسوف تنطق العروبة في كل ما يقول ويفعل سواء اعرف ام لم يعرف .

(ثانيا) والخطأ الثاني الشائع في تعريفات الكتاب للادب القومي هو الاساس المثالي الذي تبنى عليه النظرة الى ذلك الادب . ان اغلب الادباء الذين حاولوا تشخيص ملامح الادب القومي قد اشتقوا لادبنا صورة نموذجية رأوا انه ينبغي ان يكون عليها . وهم في هذا يتخطون الصفات الحقة للروح العربية ، ويحاولون ان يفرضوا عليها صفات اخرى لا تملكها . ان نظرتهم مثالية لا واقعية ، والادب القومي الذي يخرجون به الينا ادب مرسوم رسما ولا صلة له بالحياة العربية الواقعة .

اما المصادر التي يشتق منها الكتاب عادة ملامح الادب القومي النموذجي فابرزها مصدران اثنان :

(الاول) هو تمنيات هؤلاء الكتاب واشتهاءاتهم المتحرقة . انهم ، بدلا من ان يصوغوا ادبا قوميا يمثلون به انفسهم ، يلجأون الى الاحلام والتمنيات فيروحون يرسمون صورة لادب هابط من سماء خيالية ، فيه الخصائص التي يتمنونها والملامح التي يظنونها احسن الملامح للادب القومي . وهؤلاء لا يعلمون ان القومية الحقة موجودة في انفسهم لا في السماء . وهم يجهلون ان الادب القومي كامن في عفوية اقلامهم ، فاذا كتبوا ببساطة كانوا كتابا قوميين على اجمل ما يشتهون . وانما يحرموننا من ذلك الادب لمجرد انهم يتغافلون عن كنوزهم ويستعيضون عنها بالاشتهاء . انهم يمتلكون ما يتعطشون اليه لو انهم نظروا فقط . فليتطلعوا الى انفسهم . انما يكمن الادب القومي هناك .

ولسوف نصل – اذا نحن تاملنا – الى الاعتقاد بان هناك فرقا شاسعا بين الادب القومي الحق والادب الذي يظن كتابنا انه الادب القومي الحق . ان « ما ينبغي ان يكون » ليس الا صورة لتمنيات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فردية يحلم بها الكتاب للادب العربي . واما ما هو كائن ، مـا هو الروح العربية الحقة ، فان صفته الكبرى هي انه عفوي وبريء وقد نبت بلا تصنع كما تنبت وردة برية زرقاء لم يتعهدها الا المطر والنسيم الرطب وضوء الشمس . وهذا الادب سيكون قوميا سواء اقصدنا ام لم نقصد .

اما المصدر الثاني الذي يشتق منه الكتـاب صورة نموذجية للادب القومي العربي فهو المصدر الاكثر شرا والاشد وبالا على عروبتنا وشخصيتنا . انه ادب الغرب . فلقد الف كثير من كتابنا ان يعتقدوا ان في الامكان نقل كل شيء من الغرب الى الشرق . ولذلك قرروا ان ينقلوا معالم الادب من اوربا الى ارض العرب . ان هؤلاء الكتـاب يتجاهلون الحقيقة تجاهلا مؤسفا . ولقد فاتهم ان الروح لا تنقل . واما الآلات الحديثة فهي لن تغير خلجة في مشاعر الفرد العربي الذي تكمن في عروقه روح الرمـال والمدن العربية القديمـة والتواريخ الدارسة . ان لنا نحن شخصية كونتها القرون السحيقة وترسبت فيها خلجات اجدادنا الذين جابوا اصقـاع الوطن العربي قرونـا وقرونا . ومتى كانت الحضارة المادية اكثر من شيء عابر ياتي ويذهب ويمحي ؟ وانما المهم هو ذهن الانسان وروحـه . ونحن في الوطن العربي نختلف في بنائنـا العقلي والروحي عن الاوروبيين ، بحيث يصبح من المستحيل ان ننقل روح الادب الغربي الى ادبنـا دون ان نسحق الروح العربية ونحملها مالا تطيق . وانما تحتاج الامة العربية الى ان تكتب ادبها بقلمها . ولن يجديها ان تستورد .

واما الصفة الكبرى التي ينبغي ان يتصف بها ادبنا القومي فهي صفة العروبة . ان ادبنا سيكون عربيـا . وهذا هو القانون الاعلى للفكر القومي ومن خطل الرأي ان نبحث عن كمال آدابنا في شيء سواه . ونقصد بكلمة « عربي » ان تتجلى في ذلك الادب كل الخصائص العفوية غير الواعية التي تكون مقومات الذات العربيـة . فلن يكون ذلك الادب صورة لاحسن ما في آداب اوربا ، وانما سيكون صورة للذات العربية والحياة العربية . والعروبة، على ما هي ، غنى وجمـال وخصوبة ، لا نحتـاج الى تزويقها ولا الى تمني التمنيات لها .

وهكذا تكون الخطوة الاولى نحو كتـابة ادب قومي ناضج للامة العربية ان نطلق انفسنـا من عقالها فنتركها تعيش عروبتهـا وتعبر عنها بلا تصنع ولا قيود . ان القانون الذي ينبغي ان يطيعه الاديب القومي هو قـانون ذاته . فما يميل اليه في اعماق نفسه هو الصواب، مهما كانت آراء الغربيين الذين يقف امامهم مبهورا . انـه عربي ، وتلك هي حدود ابداعه ، فمن ضعف الرأي ان يترك كنوزه دفينة ويمد يده يستجدي من ادب اوربا. وانما كان الادب الاوروبي اصيلا لأنه كان اوربيا وعبر عن روح اوربا باخلاص . وكذلك لن يكون ادبنا العربي اصيلا الا يوم يكون عربيا .

(ثالثا) ثم نصل الى الخطأ الثالث الشائع في تعريف الادب القومي ، وهو يتجسم في الفكرة السـاذجة المسماة بالالتزام . لقد شاعت هذه الفكرة شيوعا عظيمـا في السنوات العشر الماضية حتى خيل الينا ان الداعين اليها كانوا مستعدين لقطع عنق كل انسان يخطر له ان يناقشها. والحق ان الطغيان والارهاب اللذين لجأت اليهما هذه الدعوة قد كانا ولم يزالا ينمان عن ان منشأها شيوعي. ذلك على الرغم من أن كثيرا من القوميين قد اشتركوا ، ببراءة وحسن نية ، في ترويجها .

وملخص هذه الدعوة ان الاديب ، في انتاجه ، ينبغي الا يطيع دوافعه الفردية وانما يلتزم تصوير واقع المجتمع. عليه ان يخرج من حدود نفسه ليخدم المجموع . ومهما كان الارهاب الفكري الذي تسكت به هذه الدعوة خصومها فانها تبقى دعوة مهلهلة لا تصمد للنظرة المتأملة . والواقع انها ، من وجهة نظر المنطق والفلسفة ، ترتكز في جوهرها الى فصل شنيع بين الادب والحيـاة من جهة ، وبين المجتمع والفرد من جهة اخرى . فاذا كان واقع المجتمع شيئا لا تمثله حرية الفرد الحقة فما هذا المجتمع ومـا ملامحه ولماذا ينبغي ان نضحي بالفرد من اجله ؟ ومـن قال ان هذا المجتمع ينبغي ان يكون اي شيء غير ملامح افراده ؟

ان هذين السؤالين في الواقـع يلقيان الضوء على الجذور الفكرية الواهية التي ترتكز اليها دعوة الالتزام. ذلك انها ، عندما نحللها ، تتكشف عن خطأ جسيم في النظر الى الصلة بين المجتمع والفرد . انها تضع احدهما في دائرة منفصلة كل الانفصال عن دائرة الاخر ، بحيث اذا اراد الفرد ان يخدم المجتمع كان عليه ان يقتل حريته الذاتية اولا . فكأن نوازع الفرد العفوية معادية بطبيعتها للمجتمع . ومن تفريعات هـذا المعنى ان دعوة الالتزام تبدو وكأنها تفترض ان الواقعية التي تدعو اليها ليست صفة موجودة في نفسية الانسان وانما ينبغي ان يرغم الاديب ارغاما على اكتسابها وبذلك يكون اجتماعيا . ان انسانية الانسان ، على هذا ، ليست كافية لجعله واقعيا وانما لا بد له ان يفصل لنفسه ثوبا خارجيا من هـذه الواقعية المزعومة اذا هو اراد ان يكون قوميا .

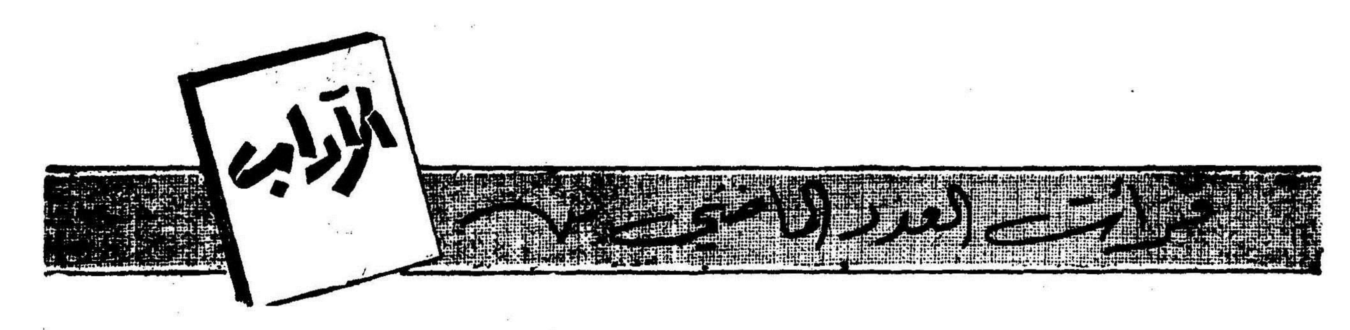
من هذا التحليـل الموجز للعنـاصر الفلسفية التي تتضمنها دعوة الالتزام ، في نظرنا ، يبدو لنا بجلاء ان القومية عند دعاة الالتزام هي النقيض الفكري للحياة . فالمرء اما ان يكون حيا ، متمتعا بالحرية الفردية والسعادة، او ان يكون قوميا . ولذلك نجد هؤلاء الكتاب يخافون على الادب العربي الا يكون قوميا فيضعون له اسسا ومثلا وتعاليم يشتقونها من افكارهم المثالية عن المجتمع العربي دونما نظر الى الواقع الحق لذلك المجتمع .

ورأينا ان هذه الدعوة تعكس الحقائق الانسانية عكسا صريحا . فانما يتجسم واقع المجتمع حق التجسم عندما يعبر كل اديب عن ذاته دونمـا تصنع . ولسوف يكون الادب القومي واقعيا حقا عندما يكتب كـل اديب عربي في حرية كاملة . واذ ذاك ستصبح كلمة « الالتزام » كلمة منحطة يعدها الاديب القومي اهـانة ادبية تطعن كرامة ذهنه وتهين عروبته . ان العروبة ليست اتجاها قسريا يجب ان نتعلمه من الكتب والصحف ، وانمـا هي نحن ، ببساطتنا واندفاعاتنا . والانسان العربي هو القانون القومي الاعلى ، فلن يستمد مقاييسه من اقوال الملتزمين وانمـا سيشتقهـا من اعماق قلبه العربي النابض (*) .

وبعد فهذه هي الاخطاء الشائعة التي لمسناها في تعريف الادب القومي ، ونرجو ان يتاح لنا ان نتفرغ لدراسة المضمون الايجابي لذلك الادب في بحث تال .

نازك الملائكة

(*) تعليق « الآداب » : كنا نود لو ان الكاتبة الفاضلة الانسة نازك قد اوردت او استشهدت بالمصادر التي رجعت اليها والتي توحي حقا بهذه الافكار عن مبدأ « الالتزام » فربمـا حالت بذلك دون الالتباس الذي لا بد للقاريء ان يقع فيه هنا .





بقلم الدكتور احسان عباس

*

تربعت على صفحات العدد الماضي من الاداب (العدد السابع ١٩٦١) ثماني مقالات نقدية متفاوتة في طولها وغناها وغنائها ، وهي جميعا تقع في فئتين : فئة تتناول شئونا نقدية عامة ، وفئة تمثل دراسات لاثر ادبي واحد او لآثار كثيرة مجتمعة . وقد حملتني مقالات الفئة الثانية على قراءة الآثار المتصلة بها ، او استعادة ما كنت قرات منها ، مثل قصة « المهزومون » ودواوين نزار قباني وديوان « ابيات ريفية » ، ولم استطع الحصول على رواية « السلطان الحائر » لتوفيق الحكيم ، فان اعتذر عن ابداء راي تفصيلي في بحث الاستاذ محمد عبدالله الشفقي ، وان كنت استطيع ان اقول في اجمال انه لخص فكرة الرواية تلخيصا جيدا واضحا وشفع ذلك بشيء من النقدلطريقة الحكيم في بعض المظاهر المسرحية ، ولكني لست اناقشه الراي في ما قاله ولا احكم على مدى العمق في دراسته لان الاصل الذي بنى عليه احكامه لم يتوفر لدي .

ولقد يورثني بعض الحرج ان اتصدى لما يكتب الكاتبون بالرد والتعليق ، فقد تعودت ان ابني ابتداء ، وان اتناول الامور من نواحيها الايجابية ، وان اقدر جهد المجتهد المخطيء واتلمس العذر للهنات الهينات ، ذلك لان القراءة لدي كانت - وما تزال - عملية اختيارية كاخذ الشراب المطلوب الاثير لا كتناول الدواء الاضطراري العسير ، فانا لا اشرب الا ما احس نحوه بهشاشة نفسية وقبول مزاجي ، ولا يتناول امرؤ الدواء الا في حال المرض ، ولا يسيغه الا متكرها ، على ما فيه من فائدة وجدوى . ومن هنـا شعرت وانا ادقق في هذه المقالات انني افقد المتعة والتمس المنفعة ، وقد نفعتني - نساها الله - لانها صورت لي جوانب من ازمة النقد المعاصر لدى الناقدين انفسهم في جانبي النظرية والتطبيق ، فان اجتماعها معا في نطاق عدد واحد يدل على حماسة للنقد ، وان اضطراب الاحكام فيها وتضاربها في بعض الحقائق النقدية القريبة يدلان على ان بعض النقاد هم صورة هذه الازمة التي يعانيها النقد المعاصر .

ولقد تملكني شيء من الحرج حين اتصلت بالدراسات النقدية (الفئة الثانية من المقالات) في هذا العدد ، ووجدت ان اسس التلاقي بيني وبين اصحابها تكاد تكون ضعيفة او قليلة ، وحين يكون الموقف كذلك فمن الطبيعي ان اكتب مقالا مستقلا ابين فيه رايي في هـذا الاثر او ذاك ، بمعزل عما يقوله زيد او خالد ، فالراي النقدي لا يثمر بالتحدي وانما يثمر ببناء جديد قائم على مقدمات قوية ، وقد اتيح لاصحاب تلك المقالات - دوني - ان يسهبوا ما شاءت لهم اقلامهم ، وان يسترسلوا ما شاء لهم الاسترسال ، وان يفيضوا في تهيئة المقدمات وان يستكثروا من الامثلة ، اما انا فانما اعمل في النطـاق الضيق واحتمي بالوقت القصير والوذ بالامثلة القليلـة وآخذ في غضون الرد فاستثير قوة المغالبة والمقاومة واوهم بالتحدي ، ولست احسن المناظرة ولا اطيق لجاجات الجدل ، وانا ارجو الا يجنح بي القلم الى الكلمة الجارحة المتعالية فاني امقتها وان كانت دفاعا عن حق .

واراني اقدم الحديث عن مقالات الفئة الاولى لانها لن تستوقفني كثيرا ، غير متقيد بترتيب المقالات حسبما وردت في المجلة :

١ - في ركاب العربية لحمد عارف عميري : دعوة الى الاهتمام بالصحة في اللفظة المفردة والتركيب ، وعد لبعض الاخطاء اللغوية والنحوية والاسلوبية التي يقع فيهـا الكتاب والشعراء المحدثون ، والمقال تمليه غيرة مخلصة جديرة بالتقدير ، لولا ان صاحبه نفسه - كما لحظ ذلك محرر الاداب - لم يسلـم من الوقوع في بعض الخطا ، والداعي الى التحرز لا بد من ان يكون شديد التحرزوالتوقي. وانا اؤيده في الفكرة العامة ، وادعو معه الى التثبت والح عليه ، واتوقف دون البت الحاسم في مشكلة الحوار ومستواه اللغوي فهي مسالة ليس من السهل ان نفصل فيها جازمين .

٢ - الشعر بين النقد والتذوق لعبد المنعم عواد يوسف : هذا مقال تغلب عليه طبيعة موضوعات الانشاء ، والحقائق التي عرضهـا الكاتب فيه عن النقد والتذوق وعيوب تدريس الشعر في المدارس ومراحل التذوق من الامور المبتذلة التي تردد فيها القول حتى اصبح الذين يعنون بمسائل النقد يتخطونها الى ما هو انفع . اما قسمة النقاد الى « تقليديين » و « رومانسيين » و « مذهبيين » فهي حلقة في هذه السلسلة من السذاجة التي تردى فيها المقال بعامة ، ولو سمى الكاتب ناقدا واحدا - بالمعنى الصحيح الدقيق - وحدد مذهبه وبين الاسباب من وراء ذلك لكان كلامه افضل من هذا التعميم الموهم الذي يجعلنا نظن ان النقاد لدينا قد فاض بهم اناء النقد فاذا هـم ينحدرون في ثلاثة مسارب . ولو سئل الاستاذ عبد المنعم في اي هذه المدارس يضع دراسات اسماعيل ادهم والى ايها ينتمي الدكتور محمد مندور لما حسبته يستطيع الاجـابة . ويستمر مرير السذاجة لدى الكاتب فيظن ان في مقدوره او مقدور اي انسان اخر ان يختـار احسن ما في كل مذهب من هذه الثلاثة وان يصهر كل ذلك في بوتقة واحدة ، وهذا حديث متصل بالتمنيات الطيبة ، يشبه الحديث عن توحيد المذاهب الفقهية او يكون ابعد منه منالا .

وبعد ذلك يتناول صاحب المقال الاثر الفني تناولا نظريا فيسـال من حوله عدة اسئلة مثلا : ماذا اراد الشاعر ان يقول لنا في هـذه القصيدة ؟ وهل قاله لنا كما ينبغي ان يقال ؟ (كيف عرفنا ما ينبغي ان يقال ؟) هل اضاف شيئا جديدا ؟ والموسيقى ؟ والاساليب ؟.. الخ ليت الكاتب اخذ قصيدة واحدة وطبق عليها هذه الاسئلة ، اذن لادرك حينئذ انه ما يزال يخب ويوضع في نطاق نظري خالص ، وان اسئلته جميعا قد تعجز عن كشف اي شيء في القصيدة ، وقـد تمر دون جواب ، وربما لم يتفق في الاجابة عليها اثنان - ؟ وينتهي المقـال بمثل ما بدأ من الحديث عـن امور لم يعد القراء بحاجة الى ترديدها ، حتى يختتم بصرخة (غريبة) ورجاء : « الا يتقدم لنقد الشعر لاجتياز حرم القصيدة المقدس الا شاعر او انسان يحس بها (كذا) تتحرك في اعماقه بذرة الشاعر » وكان هذه الصيحة وذلك الرجاء يحـلان مشكلة عميقة الجذور ويكفيان في رد الامور الى نصابها - اتـراني قلت ، من قبل ، ان المقال سلسلة من السذاجات ؟!

- التتمة على الصفحة ٥٤ -

القصص

بقلم توفيق يوسف عواد

التقينا بالاستاذ توفيق يوسف عواد على حديث الادب. وصاحب «الرغيف» يكذب على الناس وعلى نفسه عندما يعلن انه طلق الادب الى غير رجعة .... فهو لا يزال مع الادب كما يقول الشاعر : « حديثه او حديث عنه يطربني » .

وسألناه : اذا كنت لا تكتب في هذه الايام ، فلا بد انك تقرأ . في العدد الاخير من «الآداب» مثلا قصتان ، افلا تحن الى القصة ؟

قال : اما القراءة فعلى الراس والعين . وبالرغم من انقطاعي عن كتابة القصة منذ اكثر من عشرين سنة ، فاني احس بضعف ، كما يقول الفرنسيون ، كلما وقع نظري على قصة . لكأن القصاصين ، برعوا ام اخفقوا ، كبروا ام صغروا ، انسباء لي ، والعيلة واحدة .

قلنا : هل لنا ان نسمع رأيك في هاتين القصتين ؟

فتردد الاستاذ عواد ثم قال : صدقني اذا صارحتك انني اكره النقد . احب ان احتفظ بانفعالاتي لنفسي ، فاذا اردت ان تعرفها ، فليكن ذلك على سبيل المباسطة بيني وبينك .

قلنا : فليكن .

الجنود لا يتشابهون

القصة الاولى « الجنود ... لا يتشابهون ! » لاديب نحوي . اجفلت بادىء ذي بدء من كثرة النقاط فيها . انصح كاتبها ان يضبط قلمه ويمنعه من التنقيط حيث لا لزوم له . لعلامات الوقف معان ، ولاستعمالها اصول . اما التوهم بانها تحمل في ذاتها تعبيرا خاصا فخرافة تفشت في هذه الايام تفشي الوباء . وليثق الاستاذ ان « الجنود لا يتشابهون » اسلم من « الجنود ... لا يتشابهون ! » سلمه الله وعافاه .

الحاج امين رجل من الذين ندعوهم في بيروت بشبان الاحياء ، وشبابهم لا يشيخ ! فاذا شاخ احدهم قيل له : شيخ شباب . له فضائلهم التقليدية النبيلة من قوة ساعد ونخوة قلب وبسطة كف . وله عنترياتهم اللاذي بالمبالغات البريئة السائغة . وقد وفق الكاتب في تصوير شخصية صاحب الدار الفوقاني في حي باب المقام بحلب، كما وفق في تصوير الحي واهله .

الموضوع يحك باسرائيل جانبيا ... ترى ، متى يتاح لنا كاتب عبقري ينطحها نطحا ؟ يخيل الي ، اذا لم يطلع هذا الكاتب ، اننا نفقد فلسطين مرتين !

ولكن ، ما لنا ولهذا الآن . فالقصة لا تطمح الى ذلك . فبطلها جندي متقاعد من جنود السفربرلك ، يرى في ابنه الذي دخل في الجندية نسخة طبق الاصل عنه ، او هو يريد ان يخلع عليه البطولة التي كان وما يزال يحلم بها ، وهي طبعا من البطولات الاسطورية . وهو يكذب على الناس في سبيل ذلك ، ولا يهمه ان يصدقه الناس بقدر ما يهمه ان يصدق نفسه – وهنا لب الموضوع – . وتنتهي القصة بمقتل الابن ، احمد ، في اعتداء يقوم به الاسرائيليون على احد مخافر الحدود . ولم يقبض الاب الخبر بادىء ذي بدء . فالاسرائيليون ، وأي بشر غيرهم بل اي شياطين ، اعجز من ان يتغلبوا على ابن الحاج احمد . فاذا كان لا بد من الاعتراف بالواقع ، فلا بد من هزيمة اعظم مجدا من الغلبة . وهكذا خاطب الاب نفسه وهو ينشج : « لا بد ان يكون قد قتل عشرين منهم قبل ان يقتلوه . لا بد . »

سياق القصة يدل على ان كاتبها متمرس بهذا النوع الادبي ، وله فيه براعات . مشهد احمد يحدث شبان الحي عن « الليلة التي ما فيها ضوء قمر – الليلة التي سنهجم فيها على هؤلاء الصهيونيين المجرمين ونصفيهم باذن الله باربع وعشرين ساعة » موفق جدا . وكذلك مشهد شرب العرق في المطبخ . مع وصيتي الى الكاتب بان يقتصد عن ابطاله بعض الشيء في المستقبل : فثلاث تنكات عرق شيء كثير على موازنة الحاج امين ! وعشرون راسا من الغنم تذبح اكراما لعودة ابنه في اجازة اكثر واكثر !

في سن والدي

اما قصة « في سن والدي » فماذا اقول فيها ؟ اكتفي بالهتاف: رائعة ، رائعة !

والعظيم فيها شيئان :

الاول : اسلوب الكاتبة غادة السمان . مختصر مفيد . اكاد اقول برقي ، بما في البرق من سرعة خاطفة ونور وهاج ، وبما قد يعقبه من صواعق .

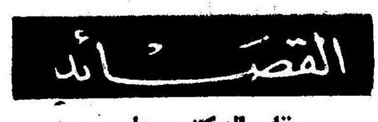
الثاني : الجو الفني اضفته على القصة ، جو عاصفة من اول حرف الى اخر حرف . لكأن القارىء مشدود من عنقه يحس بالاختناق مع الفتاة التي تحب من هو « في سن والدها » ، ولا يتنفس الا معها عندما تهتف من قهرها في النهاية : « من قال انني احببته ؟ » استغفر الله ، بل انه ليظل مشدودا من عنقه حتى تنجده الدموع وتفرج عنه، وهو مع ذلك لا يزال يردد مع ابنة الربيع :

« لماذا يهرب الخريف ؟ فتحنا له نوافذنا ... لماذا يهرب ؟ »

اهنىء الكاتبة من كل قلبي ، واتمنى لها مستقبلا رائعا

توفيق يوسف عواد





بقلم الدكتور علي سعد

*

عندما قبلت مهمة نقد القصائد المنشورة في العدد الماضي من الآداب ، كنت احسب ان عملي سيقتصر على التعمق في دراسة القصائد الاربع التي يحتويها هذا العدد وجلاء ما خفي فيها من قيم فنية او مدى بعدها او قربها من الابداع الفني .

ولكنني عند اتصالي بأولى القصائد ، جوبهت بمحاولة ، رأيتها فريدة في نوعها ، فان خليل حاوي ، صاحب قصيدة «جنية الشاطىء» يقدم لقصيدته بمقدمة طويلة (تقارب المائتي كلمة) يحاول ان يشرح فيها الرموز المختلفة التي ضمنها قصيدته والمعاني الفكرية الواسعة والدلالات الاسطورية التي تجسدها تلك الرموز ..

وقد كان من الممكن ، الابتهاج لمثل هذه البادرة التي تحمل على الاعتقاد لاول وهلة بانها تسهل مهمة الناقد وتضع في يديه مفاتيح الابواب التي تقود الى العالم الذهني والعاطفي والفكري للقصيدة .

ولكن هذه الظاهرة ، ظاهرة تقديم الشعر مرفقا بشروحه ، لم تعتم ان زادت مهمتي تعقيدا ، لانها حملتني على اعادة التفكير من الأساس في قضية الشعر الحديث ووظيفته . لقد اخذت بعد امعان الفكر بهذه السابقة ، في التساؤل عما اذا كان الشعر ، في مفاهيم الموجة الحديثة من شعرائنا ، ومناصريهم من الناقدين ، لا يزال يحتفظ بمكانته كفن قائم بذاته ، أم انه اصبح لا يعني في نظرهم الا فنا رديفا للانواع الاخرى من النشاط الفكري ، ومتنفسا غير مباشر لمخزونات الذهن الانساني .

فالمدرسة التي بدأت تجتاح المسرح الادبي في السنوات الاخيرة وتتركز حول بعض الشعراء العاملين في اوساط تتباعد في ظاهرها ولكن تجمع بينها اتجاهات وميول ومصادر تكاد تكون واحدة ، واذكر منهم بدر شاكر السياب وادونيس ويوسف الخال ، وخليل حاوي وصلاح عبد الصبور ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، تبشر بحركة تتميز بتغليب العنصر الفكري والشحنة الثقافية في العمل الشعري ، وتلح على ضرورة تزود الشاعر بزاد كبير من الثقافة الشاملة وخاصة من المعرفة الفلسفية والتحليل النفسي والانتروبولوجيا والاساطير الاولى ، وقد لا يكون في هذه الدعوة بحد ذاتها ، اي مأخذ ، بل على العكس ، اننا نقر دعاتها على ان تلقيح النتاج الشعري باللمحات الفكرية العميقة لا يزيده الا غنى وخصوبة ، وارتفاعا عن مستوى السطحية الذي يهدد بالتردي فيه لو ظل احساسا كله . على كل حال ، فهذه الدعوة لا تأتي بشيء جديد من حيث المبدأ ، فليس من شاعر كبير ، حتى في الشعر العربي القديم الا وكان له خط كبير من الاحاطة بعلوم عصره وفنونه ، او على الاقل بالعلوم والفنون المتصلة بالصناعة الشعرية .

ولكن المشكلة تبدأ حينما توسع الحركة الجديدة طموحها بحيث تريد للشاعر ان يتحول الى مفكر بالمعنى الكامل غايته البحث عن طرق الخلاص للانسان وحينما تقتصر في تصويرها للانسان على صورته المطلقة ، المجردة من كل حدود مكانية وزمانية ، وعندما تبالغ في الاعتماد على الرموز والاساطير ، متبعة تعاليم كارل يونج الذي كان له تأثير قوي على المدارس الشعرية الحديثة في الغرب وخاصة في انجلترا ، ومن جهة اخرى على شعراء ومفكري الحركة الفاشية والنازية . وهذه الطريقة التي تهدف لربط انسان العصر الحاضر بالانسان البدائي ، بوساطة الاساطير التي ترمز للمعاني الانسانية الدائمة التشكل والتنقل من جيل الى جيل ومن مجتمع الى مجتمع (وما الاساطير في عرف يونج الا الرواسب النفسية لتجارب لاشعورية يشارك فيها الاسلاف في عصور بدائية) تؤدي الى طمس المعالم والحدود بين الاجيال والمجتمعات الانسانية المختلفة والى تجاهل كل التطور الانساني في صعوده عبر التاريخ من الحالات المتوحشة الى المجتمع المتقدم الذي نحن عليه . ولا عجب ان صادفت هذه التعاليم في بعض جوانبها الممثلين الفكريين للحركة النازية التي كانت تؤمن بفكرة العرق ، واستمراره وتركزه حول بعض الاحلام والمطامح القومية الدائمة . وما الخلاص الذي يلوح به دائما هؤلاء الشعراء ومناصروهم والذي يسمونه احيانا كثيرة بعثا في تأثرهم بأسطورة البعث والتجدد بعد الموت في حكاية ادونيس ـ تموز ، الا نوع من التحول المفاجيء métamorphose الذي يتم دون مقدمات ولا اسباب ظاهرة ودون ان ينبع من الظروف الاجتماعية ، بعد ان اجتثت جميع الروابط والجذور التي تربط الانسان بمجتمعه ورفاقه . انه تبدل غيبي يتم دون تفسير كما تتم تبدلات انواع الهوام داخل قشرتها او بيوضها .

انهم يريدون من الشاعر ان يبحث دائما عن المصير الانساني وان يعبر في شعره عن الوجه الفاجع للحياة الانسانية التي لا يرون فيها غير صورة من مأساة متصلة . ولكنهم لا يدلوننا على نوع هذه المأساة ، ولا يرسمون لنا لا في اشعارهم ، ولا في تعليقات انصارهم اية ملامح واضحة للانسان الذي يتحدثون عن مأساته وعن مصيره الفاجع .

ولكن اذا كان هذا هو دور الشاعر والشعر ، الا يحق لنا ان نتساءل عن الحدود التي يمكن ان تقوم ، في منطق اصحاب هذه الدعوة ، بين الشعر والفلسفة ؟ أليس من الخير ان تترك هذه المهام ذات المطامح البعيدة ، مهام القاء الضوء على مشاكل الانسان والبحث عن الحلول لهذه المشاكل ذات الطابع الميتافيزيقي للمباحث الفلسفية او الفكرية ؟

تكليف الشعر بالخوض في هذه المجالات الفلسفية والفكرية المجردة ارهاق له ، واخراجه عن وظيفته الطبيعية ، وهل بوسع اللغة الشعرية وخاصة في القصيدة القصيرة المألوفة وهي التي يجمع جميع الباحثين ، وحتى انصار الدعوة لشحن الشعر بالطاقة الفكرية ، على ضرورة ابقائها على رشاقتها وحصرها في حدود الايماء والتلميح دون التصريح ، هل يسع هذه اللغة الشعرية ان تعبر حقا وبما فيه الكفاية عن كل الفن والتنوع في هذا العالم الفسيح تطرح فيه وتتفاعل هذه الافكار والشاعر والتي تندرج تحت ما كان العامة ، كارل يونج ومود بودكين يسميانه « النماذج العليا » .

فالفكر ، بطبيعته ، نزوع نحو الضوء ، نحو الوضوح ، نحو الوعي وسعي لانكشاف كلي لا يتم الا عبر عمليات منطقية تتحدد وتتسلسل مع الزمن . اما الشعر فهو تخط للزمن ، وبالتالي للتسلسل المنطقي ، وهو تجل مباشر لحرارة الومضات المنبعثة من قلب العالم النفسي الذي تتعانق فيه ظلال اللاوعي بأضواء الادراك وتلتف وتشتجر العواطف والاحاسيس والرغبات والذكريات عند الفرد الانساني .

ان الشعر لا يأبى الانفتاح على زيارة الفكر والمعرفة الواعية عند الشاعر . ونحن نرحب بالشعر الذي يعبر عن اغوار فكرية وثقافية عميقة ، شرط ان يعكس الافكار كفلذ من البناء الذاتي ، ملتحمة جنبا الى جنب موشتات العناصر الاخرى من انفعالات وعواطف ورؤى وغيرها من ذرات النهر النفسي . الشعر لا يحتمل الفكر الابقدر ما ينزع عنه طابع الموضوعية ويمهره بالطابع الذاتي ، بالوجودالفردي ولكننا نعتقد ان اللغة الشعرية تستعصي على المحاولات لجعلها اداة لنقل الافكار العامة ، ولتجسيد النماذج العليا ، وخاصة تلك التي تقدم كجوانب من انظمة فكرية شاملة . يبشر بها الشاعر .

وقد يقول الشعراء الميتافيزيقيون : ولكننا لا ننقل افكارنا مجردة عن اطارها العاطفي والذاتي ، اننا لا نعدو ان نقدم زادنا الفكري مندمجا في موكب من العواطف والانفعالات يتعانق معه فيما يشبه البناء « السيمفوني » .

ـ التتمة على صفحة ٥٧ ـ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الساعة والإنسان

قصة بقلم سميرة عزام

السّاعة لما تبلغ الرابعة صباحا ، استيقظت قبل الموعد بعشرين دقيقة، لماذا لا اقول انني لم اذق النوم ليلتئذ ؟. تجربة العمل التي تنتظرني في الغد مثيرة ، وقفت طويلا قبل ان انام امام البذلتين اللتين املكهما.. كان علي ان اختار واحدة .. آثرت الرمادية فقالت امي « لقد لبستها حين قابلت المدير .. فالبس الاخرى .. عجيب كيف تستطيع النساء تذكر هذه التفاصيل ، لقد نسيت انا ايهما كنت لابسا .. وربطت الساعة الصغيرة لتطلق رنينها في الرابعة صباحا فاستيقظ ، وخشيت ان تخذلني فجربتها ثلاث مرات ، واوصيت امي بان توقظني فتطوعت عمتي واختي وابي جميعا .. كانت فرحة الوظيفة فرحة العائلة ..

والواقع انني لم انم تماما في تلك الليلة .. وحين انبعث الرنين المجلجل من الساعة ، قفزت من فراشي ، وقفزت امي وعمتي واختي ، واحدة لتسخن لي ماء للحلاقة ، وعمتي لتعد لي مائدة لم اعرف مثل سخائها قبل ان اصبح موظفا .. اما اختي فشغلت بحذائي تلمعه .. ووقفت في الحمام افرش وجهي برغوة صابون الحلاقة ، واغطي اضطرابي بلحن اصفره ، حين سمعنا قرعا رصينا على باب الدار .. فسارعت عمتي اليه ثم ترددت .. اذ تذكرت ان نهار الناس لم يبدأ بعد . فسارعت انا ولكنني حين بلغت الباب ترددت انا الاخر .. واستجمعت نفسي لاسأل من .. ومن وراء الدفتين الملتحمتين سمعت من يقول : هل استيقظت يا سيد فتحي ؟.

ومددت يدي الى اكرة الباب اعالجها ، ولما فتح الباب كان الطارق قد عاد ادراجه فلم استطع ان اتبين من خلل السواد اكثر من كومة تتحرك بعيدا عن الدار .. وعدت اتم حلاقتي متعجبا ، ولم تضع عمتي الفرصة لتدلل على ذكائها فقالت بلهجة لاينقصها اليقين .. « لابد ان وظيفة فتحي « مهمة » والا فلماذا توقظه الحكومة ..؟ »

واستمرأ غروري ان يقبل تعليلها بلا تردد .. وخالطني احساس بالاهمية وانا ارتدي ثيابي وابتلع البيضتين في لقمتين .. وازجراختي وهي تصب في اذني نصائحها .. ثم اشد نفسي بالمعطف .. وانطلق الى الباب ودعوات عمتي تصفع ظهري من خلل الباب المشقوق فلا يغيب صوتها الا في ثنايا صوت المؤذن الذي ارتفع منطلقا على مداه في تموجات خالطها شيء من بياض الفجر فيقع في اذان السارين نديا مأنوسا باعثا على انبساط الملامح المتقلصة من لسعات الريح .

« الصلاة خير من النوم » .

ولكن مدينتي كانت نائمة ،ولاول مرة شعرت بضوضاء حذائي على الارض المبلطة وانا استحث قدمي لالحق بصبي فران اختفى راسه حتى الاذنين في لبدة عجيبة ..

كانت محطة القطار .. او «السكة» كما نسميها تقع في ظاهر « عكا » كان قيامها حدثا تمرد على اسوارها التاريخية العريقة .. وتمركز على بعد حوالي الكيلو مترين من البوابة الجنوبية للمدينة ، وعلينا قبل ان نبلغ البوابة ان نمر بخان اثري .. هو في النهار مركز ناشط لتجارة الحبوب ومال القبان ، واهله خليط من التجار والسماسرة والدواب .. كان الحمار يمد فمه الى فم اي كيس حبوب مفتوح على مدخل دكان ، هو ينتظر ان تنتهي المساومة بين صاحبه والتاجر على وجه من الوجوه .

ولكن الخان كان حين اجتزته في ذلك الفجر ساكنا خاليا من السابلة.. وقد داخلتني وحشة فحاولت ان اركض ، ولكنني تذكرت انني غدوت موظفا فاتادت ، واجتزت الخان ونفذت من البوابة وقطعت المسافة بين البوابة والسكة نشطا .. ثم ولجت احدى عربات القطار وابرزت للمرة الاولى البطاقة المجانية التي زودتني بها الادارة . ولعل البطاقة قد لفتت نظر شابين جلسا في المقعد المقابل الا انهما لم يحاولا استيضاحي كما لم اجد في نفسي الجرأة على ان اتقحم ، فشغلت بتأمل المسافات التي تنطوي امامي بسرعة وقد بدا الفجر يوشحها بألق الصباح .

ان يوم العمل الاول تجربة غير يسيرة .. فهناك النظرات المتفحصة او المتسائلة .. او المستنكرة او المستخفة .. هناك ملفات كلها غموض.. ارقام لا اول لها ولا اخر .. رموز يتعين علي ان اعريها ، لقد تقلص غروري .. لم اعد اكثر من نكرة في دائرة جبارة محشودة .. لو راتني عمتي لراجعت نفسها واستكثرت علي ان آكل بيضتين مرة واحدة .. لقد افترضت ـ وقد جاء من يوقظني ـ ان اكون مهما ، ولكنني في يومي الاول لست اكثر من هر خائف .. امام كلب شرس . ولقد اكلت البيضتين في فجر اليوم التالي حين جاء الصوت يوقظني .. وقد اشعرني نداؤه بالاهمية حتى انني لم ابال بفتح الباب .. لاتمتم باية كلمة شكر تخطر لي ..

نحن في احيان كثيرة نستمريء تعليلاتنا فلا نناقشها مرتين .. وقد افلحتعشرة أشهر في اذابة كتلةالثلج التي يقيمها القدامى ازاءالزملاء كل فجر ، دون محاولة مني حتى لفتح الباب لاستقبل صوته بشيء من

وكانت اكثر من مفاجأة لي حين سمعت زميلا من زملائي ـ بعد ان افلحت عشرة شهر في اذابة كتلة الثلج التي يقيمها القدامى ازاء الزملاء الجدد ـ يقول بان طرقات ابي فؤاد هي اكثر انضباطا من ساعة .. والا لتكلف ، اذ تأخذه نومة الصبح ، ان يركب يوميا سيارة توصله الى مركز العمل في حيفا اذ يفوته القطار ..

ولاول مرة شعرت ان طارق الفجر يمكن ان يكون له اسم وشخصية وظروف وملامح .. لم يكن حتى الساعة بالنسبة لي اكثر من صوت يردد في كل فجر عبارة واحدة لا تختلف .. ولكنني اكتشفت اليوم بالصدفة ان له اسما .. وافترضت ضرورة ان يكون له وجه ايضا ..

وحين طرق بابنا في اليوم التالي كنت اسرع من رجليه ففتحت الباب. واذ رآني رد على تحيتي بلا حماسة ثم قال : « انت فتحي ؟ » .

كان رجلا في منتصف عمره ، يختفي تحت معطف اسود وطربوش تركي قاتم .. وفي هيئته ما يوحي بانه اكثر من يد تمتد لتطرق الابواب في موعد معين لا يتأخر او يتقدم ..

ووجدت نفسي مسوقا الى ان اقول « تفضل » فاعتذر .. قال ان عليه ان يوقظ غسان وعبد الله ويوسف .. وتركني لحيرتي واستدار فابتلعته عتمة الطريق ..

ولكنني وانا في القطار في طريقي الى العمل حاولت ـ في حديثي مع عبد الله الذي صار صديقا لي ـ ان اشخصه .. فوجدت نفسي امام قصة عجيبة ومؤثرة حقا .. لم تكن جديدة علي ..

ان بلدتنا صغيرة .. وقصصها مشاع لكل اهلها .. وهم طيبون بحيث يحزنون ، ولقد حزنا جميعا امي وعمتي واختي وانا... وجيراننا الذين سهروا عندنا عشية تلقفت البلدة قصة ملفوفة بكل ظروف المأساة .. قصة فؤاد موظف سكة الحديد الذي بلغ المحطة متأخرا ، وكان القطار قد اخذ بالتحرك .. فتعلق بباب العربة محاولا الصعود .. ولكن يده خذلته فافلتت الحاجز .. وسقط تحت العجلات .. وغدا الشباب الغض كتلة مختلطة المعالم تحت عجلات ليس لها قلب .

وحين حزنت البلدة وعاشت اسبوعا تلوك دراما اللحم والحديد ،عرفنا ان ابا القتيل تاجر خيوط .. له دكان صغيرة في سوق القماش .. عدتها ضفائر معلقة من خيوط ملونة وميزان لفت نظري حجمه الصغير.. حين كلفتني عمتي ان اشترى لها قدر « درهمين » من الخيوط الحريرية الصفراء .. تعلقها بطرف منديل « الاويه » الذي تتفاوى بلبسه .

وتاريخ القصة يعود الى ماقبل عامين .. وحين عاودتني بكل التفاصيل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي كنت قد سمعتها نسيت ان أسأل صاحبي .. عن علاقة هذا كله بالمهمة التي يقوم بها الاب في ايقاظ الموظفين .. ولكنني لم استطع ان اخنق فضولي حتى المساء فتركت مكتبي وقصدت عبد الله لاعهد معه لدنه بحزن يفوق الحزن الذي اذكر انني حزنته عشية سمعنا بموت الفتى على تلك الصورة البشعة ... فالاب الذي فقد ولده الوحيد آلى على نفسه ان ينهض في كل فجر ، ويطوف على زملاء ابنه يوقظهم واحدا واحدا فلا يتأخروا عن القطار .. ولا يتكتلوا لحما ودما تحت عجلاته ..

وحملت قصتي لاهلي ونحن على مائدة العشاء .. وارتضيت ان تنحسر اهميتي من عيونهم وأنا اكشف سر الطارق .. لقد بكت امي.. وزوت عمتي مابين عينيها انفعلت بلا دموع ولكنها لم تكف عن المضغ قط .. ولكنها اجتهدت في ان تبدو متعاطفة في صباح اليوم التالي .. فنهضت – وكانت قد كفت عن النهوض لتحضير افطاري بعد انقضاء اسبوع على عملي – وما ان طرق الباب حتى اسرعت تفتحه بعد ان غطت اكثر وجهها بنقابها الابيض ، وحملت دلة قهوة وفنجانا ، واقسمت ان يشرب الرجل قهوتنا ولو واقفا على الباب ..

كان ذلك قبل اسبوع واحد من ذلك الفجر الشتائي الفارس الذي تدفقت فيه مياه المزاريب تفسل الازقة المبلطة وتتجمع في الاخاديد التي حفرها الزمن بين البلاطة والاخرى ..

ولم اكن قد ربطت ساعتي .. بل الواقع انني كففت عن ذلك مذ تأكدت ان الطارق لايقل انضباطا عنها .. ولقد كنت مستمتعا بالدفء تحت لحافي كقطة تتكوم امام مدفأة .. مؤجلا قيامي حتى اسمع الطرقة على الباب ، وحين بلغتني نفضت عني اللحاف ولكنني لم احفل بالنظر الى ساعتي وارتديت ثيابي والتهمت افطاري وفتحت الباب لافاجأ بالرجل واقفا يحاول ان يتقي الرذاذ الخفيف والقطرات المتساقطة عن حافة الاسطح بوقوفه تحت ظلة الباب ...

قلت له وانا امرق من الباب مسرعا – صباح مطير اليس كذلك ؟..

– فقال وكانه يعتذر عن وقوفه :

– لم اقف بسبب المطر .. الواقع انني تأخرت قليلا عليك .. لقد اخذتني غفوة .. وقد يكون هذا المطر قد اخرني قليلا .. لقد بدأت اليوم باخوانك وانتهيت بك .. اركض يا ابني .. فليس لديك لتبلغ المحطة سوى عشر دقائق ..

وتحت المصباح المجلل بالرطوبة اناءت قليلا لاتأكد من الوقت .. كان هناك تسع دقائق .. تكاد لا تكفي لابلغ البوابة .. وجمعت قوتي ودفعت بها الى قدمي اقطع الطريق مهرولا .. وضاعفت من سرعتي حين انتهيت من الازقة المبلطة ومن الخان المسقوف .. وكلما حاولت ان اقف لالتقط انفاسي .. تصدت لعيني كتلة مختلطة من الدم واللحم .. كانت قبل ان يهرسها القطار انسانا له مثلي قدمان سويتان .. يسعى بهما الى وظيفة في دائرة سكة الحديد ... فاستشعر في فمي طعم مأساة .. واحس أن لقدمي قوة غريبة ..

وبلغت القطار وهو واقف لم يتحرك واستطعت ان اصعد وان آخذ مكاني لاهث الانفاس .. وكان خليقا بالقطار ان يمشي بعد ان وصلت .. فالمهم الا اسقط تحت العجلات .. ولكن القطار لم يسر.. وفهمنا ان خللا بسيطا طارئا يحتاج الى دقائق قد منع القطار عن التحرك كما هي العادة حين ينتهي عقرب الساعة الكبير من دورته التي لا يتعب منها قط ..

ومن خلال نافذة القطار المفتوحة .. كانت الحقول تشرب المطر فتتكسر اعناق الاعشاب تحت وطأة قطراته الثقلة ، وكانت المحطة التي لا تنام تغص بالحمالين الذين انتهوا من نقل الامتعة او البضائع فجلسوا على الافريز يرشفون اكواب الشاي ويتفلون .. وكنت اركز عيني على الباب .. اتأمل بائع الكعك والبيض حين رأيت الرجل الطارق .. يبدو لي من خلال الباب وهو يمسح وجهه وينفض طربوشه المبلل ويلتقط انفاسه بصعوبة ..

ما الذي اتى به الى المحطة ؟ اهو مسافر اليوم ؟ ام انه خشي ان يفوتني القطار ، فعدا خلفي ليطمئن على وصولي ؟... ولم استطع ان اقطع بشيء ، اذ علا الصفير الاجش يشق جو الفجر الرمادي الضبابي ... وصرّت العجلات على الخط ، وعلا ضجيج دورانها.. وابتعدت عن المحطة ، واوغلت في الابتعاد .. فلم تعد هذه امام عيني سوى نقطة سوداء .. تمحي معها تفاصيل كثيرة .

حين سمعت الطرق على بابنا في فجر اليوم التالي .. خطرت لي كل تفاصيل الامس ... وشعرت بالارتياح لان الركض لم يؤذ الرجل وهو يلحق بي للمحطة تحت سماءمطيرة ..

ولذا لم اربط بين عنائه ذاك وبين عدم طرقه بابي بعد يومين.. لقد اعتقدت ان طرقاته قد تلاشت مع لغط البريموس في مطبخنا القديم ، ولكنني تأكدت من عدم حضوره حين سمعت عبدالله فيالقطار يتساءل عن السبب ..

ولم يحضر في اليوم الثاني ولا الثالث ... وكان استغرابنا وتساؤلنا هو الموضوع الذي شغلنا طوال طريق العودة عصرا ، والذي انتهى بتكليفي ان اسأل عنه في دكانه الصغيرة بسوق القماش .. ولقد قصدت السوق قبل ان امر بالبيت ، واضطررت ان اسأل مرتين عن موقع دكانه بالضبط ، ولما بلغتها كانت مغلقة ، والعارضة الحديدية في مكانها ، فسألت جاره فقال : « مسافر او مريض .. هو قليل الكلام ، ونحن لا نسأل .. اذا كنت تبغي شيئا من بضاعته فلدي مثلها واحسن ... »

وحملت الخبر لعبدالله واتفقنا على ان نبحث عن بيته في الغد .. فقد افتقدناه حقا .. وكنت اكثر الجميع انزعاجا .. فقد خشيت ان اكون سببا في وعكة الم به .. ولما رحنا في الغد نفتش عن بيته بعد ان سألنا عن موقعه التقريبي ، انتهى الامر بنا عند باب خشبي فهمنا انه يوصل الى باحة تقع بعدها الغرفتان اللتان يسكنهما الرجل .. ولقد سألنا ولدين التفا حولنا عما اذا كان الرجل قد مر في الشارع اليوم فانكرا ذلك . وهمّ عبدالله بالرجوع.. لقد آثر ان يرجح سفره ، ولكنني لم اقتنع .. لم يكن بوسعي ان ابرر عدم اقتناعي بشيء .. مجرد احساس قوي دفعني الى ان اعالج الباب الخارجي فانفتح .. وكانت هناك ساحة مبلطة في وسطها بركة صغيرة ، وقد قامت على الطرف غير المبلط شجيرات فتنة عاريات من الاوراق .. وامامي انتصب باب آخر ... لم يثبت بالعارضة الحديدية المتدلية من طرف احد الدفتين .. وطرقت الباب فرد علي الصمت ، وقرعت ثانية واشترك عبدالله معي ... وأثار الصوت امرأة تدلت من احدى نوافذ بيت مجاور يشرف على الباحة فوقفت ترقبنا بفضول .. وعدنا نقرع .. وقال عبدالله وهو يتحسس قبضته: « أفضل لنا ان نعود » . ولكنني رفضت ، لقد ثار في الهاجس الخفي، واوجعني ذلك الايلام في ضميري ، فمددت يدي اعالج الاكرة فلم تنفتح، فاتكأت على الباب وبكل القوة التي يحملها ظهري رحت ادفعه .. وكنت موشكا على السقوط من أثر دفعة قوية .. فعرفت ان الباب قد فتح ..

ودخلت بعد ان رفض عبدالله الدخول ، ووقف ينتظرني عند الباب الخارجي ليدلل على انه لا شأن له بكل هذا التقحم .

كانت هناك غرفة في وسطها مائدة عليها كسرات من خبز وبقايا طعام في طبق ، تفضي الى غرفة اخرى داخلية ، فيها سريران من الحديد الاسود ، واحد منسق مفروش ببطانية رمادية ، ولقد خمنت ان يكون للفتى الميت ، اما الاخر فقد كانت الاغطية متكومة فوقه ... فاستجمعت شجاعتي لابلغه فخانتني حين طالعني وجه فاغر الفم وعينان زجاجيتان ...

كان الرجل ميتا ... ككل شيء اخر في الغرفة .. الخزانة الصغيرة القاتمة .. والديوان المفروش ببساط مخطط ... والمرآة المنقطة ببقع صفراء كأنها كلف على وجه بشع ...

ولم يكن هناك شيء حي .. بلى كانت هناك ساعة حائط ... تقوم في الجدار ... رقاصها يميل ، وصوتها يقول تك تك تك ...

سميرة عزام

الفكر القومي امام مستقبله

بقلم مطاع صفدي

لم نزل ، كلما وضعتنا الاحداث تلقاء احراج التفكير ، نشعر ان مشكلة الفكر القومي ليست سوى فعالية عالية للحدث القومي ذاته . وانها بالتالي لاتحيا الا بحياة هذا الحدث ، ولا تقيم ذرواتها الا بعنف الثورة القومية التي تجتاح الواقع العربي اليومي ، من حين الى اخر . غير ان الحدث القومي ، ان كان ينتر ثورته بين فواصل تاريخية من نضج التحرر السياسي ، فان الفكر القومي بحاجة الى ان يكون هو نفسه ثورية مستمرة . فهو وان كان يتغذى من الاحداث العامة ، الا ان له استقلاله الخاص ، ولولا هذا الاستقلال لما سمي فكرا . وانما اعتبر من جملة الاصداء اللاحقة على الحدث ، في مستوى ذهني ، لاتحكمه ولا تقيمه ، بل تنبثق بانبثاقه ، وتزول بزواله ، وهو بذلك لن يكون باكثر من تلك المقالات الصحفية العابرة ، او التعليقات السياسية ، والتوجيهات القومية ، التي ترافق الحدث ، لترفع من التوتر الذهني لدى الجمهور ، الى درجة تدمجه في البيئة النضالية ، وتصنع منه احد العوامل المساعدة على اذكاء صميميتها .

والحق انه علينا ، قبل المضي في هذا الحديث ، ان نحدد تماما ماذا نعني بهذا التعبير : الفكر القومي .

لقد سيطرت على عقول جيلنا جملة اراء حول طبيعة الفكر القومي ، لاتخرج في مخططها العام عن المخطط السياسي . وجعلتنا نربط باستمرار بين مظاهر العمل السياسي اليومي وبين منظومة من الافكار ، تتلخص في جملة اهداف عن التحرر السياسي . ثم مالبثنا ان اردفنا هذه الاهداف السياسية ، ببعض الاهداف الاجتماعية ، كفكرة عن الاشتراكية ، واخرى عن الديمقراطية . وما لبثنا في طور ثالث ، ان صعدنا ، او حاولنا ان نصعد بهذا التفكير الى صعيد فلسفي ، يحيط افكارنا الاولى الطفلة تلك ، بهالة من المنطقية ، الغريبة ، على جوهرها الاساسي . ومع ذلك ، فلقد بقينا في هذه الاطوار الثلاثة ، نحيا على أمنية ان يكون لنا فكر قومي ما ، دون أن نحظى فعلا بمضمون شامل وموجود ، لهذا اللفظ ذي الايقاع الجليل في نفوسنا .

ولنفحص الان خصائص هذه الاطوار الثلاثة ، التي مر فيها الفكر القومي ، الطور السياسي ، فهو ليس بطور بالمعنى الصحيح ، لانه سوف يظل ملازما لكل طور أخر يتلوه . وسوف يبقى كذلك المحك الواقعي لكل مضمون اخر يلحق به . ولهذا فان مشكلة التحقق السياسي بكل موقف فكري ، لابد ان تلازم كل فعالية ذهنية ، ان ارادت لنفسها ان تؤثر في مجال جماهيري واقعي . ولا بد ايضا من أن تكون المعيار الاخير لنوع الحقيقة التي يطرحها هذا الفكر القومي . انه المعيار الذي لايكتفي ان يحكم على منطقيتها الداخلية ، على مدى وضوحها او غموضها ، بل سوف يحكم على صلاحيتها من حيث انها يمكن ان توجد وجودا كيانيا ، اي وجودا يشمل حركة العمل السياسي ، ويوطرها .

لقد كان المثقفون ، في هذا الطور ، لايشعرون بضرورة ايضاح افكار ما ، تتسم بمنطقية مستقلة . بل كانوا يجدون انفسهم امام حاجة عملية مداهمة ، تتطلب منهم العمل قبل النظر ، وتدفع بهم الى حلبة المعركة ، وهم لايتقون الا بأمر واحد ، هو بمثابة الحقيقة المطلقة عندهم ، انه النضال من اجل التحرر المجموعي ، من طغيان مجموعي ، يتسم بصفة يومية ، هي الاستعمار . ولم يكن هذا النضال بحاجة الى فكر ، بقدر ما هو بحاجة الى رد فعل غفل ، شبه غريزي ، يقوم بتحقيقه الوجود الخام للامة ، ضد الخطر المحدق بها . وهو موقف سلبي ، يكاد يكون كله عضويا ، ملتحما بالقاعدة الحيوية لوجود الامة .

فلم يكن ثمة مجال ، في هذا الطور ، لاية مذهبة ايديولوجية اذ لم يطلب العقل النضالي مبررات لذاته ، بقدر ماكان يطلب امكانيات حيوية ، توجه بصورة كيانية نحو متراس العدو ، العدو المشخص في المكان العربي ، بجنده وعتاده ، وآلاته المخيفة .

بل ان اي تدخل ايديولوجي في وحدة رد الفعل العضوي هذا ، قد تفسد من محصلة الاثر الواقعي لها . او ان هذا التدخل الايديولوجي سوف يلقى اللامبالاة ، فينحصر وينعزل عن التفاعل مع العمل العام ، ويسير الى الزوال او الخمود . هكذا مثلا نستطيع ان نجد احد الاسباب الاساسية لعقم التدخل الايديولوجي الماركسي خلال فترة طويلة من عمر النضال العربي ، رغم انه يعتبر اقدم هجوم ايديولوجي ، تعرضت له ثوريتنا الحديثة ، منذ دخول الاستعمار الغربي بعد الحرب العالمية الاولى .

وكان الفكر في هذه المرحلة يكتفي ايضا بشيء كثير من التعميمات ، التي لاتقنع بجدارتها المنطقية ، بقدر ماتؤثر بمدى ماتحمل من شحنات حماسية ، توجه الى اوسع جمهور متظاهر . هذه الشحنات التي قلبت فيما بعد الافكار الثورية الى شعارات كيانية . وجعلت تحديد الشعار بمثابة البرهنة على جدارته وحقيقته . وهذا التحديد يتناول اولا تثبيت نقط الهجوم في مخطط المعركة الثورية . انها تنوب عن الاعلام امام الجحافل الزاحفة . فهي اعلام معنوية فردية . ولكنها بفرديتها تلك ، انما تؤلف أصداء لما هو عام خارجي .

وفي هذا المخطط المكاني للمعركة ، ماكان يمكن للقيادات الفكرية ان تترعرع وتنمو وتظهر . بل كانت القيادة لمدى المجموع الغفل في حركته الهجومية ، تلقاء الاستفزاز الدائم ، الذي يطرحه وجود المستعمر المتحرك ملء المكان العربي .

كانت مسألة التحدي المادي تطرح ذاتها باستمرار ، على الصعيد اليومي . ولا يكاد يمتص الفكر بعض الاصداء ، حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأخذ بصبره وهدوئه ، انتفاضة كتلية اخرى ، في عالم العمل المباشر .

كان الفكر مهزوما وراء مختزلاته ، وراء هذه الثوابت، التي قولبتها النفسية الجماهيرية ، النفسية الشعارية . فان كل شعار ، في الحقيقة ليس سوى جمرة تكثيف لارادة العمل العام . وهو يتخذ حقيقته دائما ، من مشروعيته القومية ، من مدى خصبه في المجال العملي . وكان الشعار قادرا دائما على تشخيص ذاته . فهو بديل عن القائد والزعيم ، انه القائد الداخلي للفرد المناضل . ولذلك فان كل شاعر ، يستمد ذخيرته الدائمة من الايمان . انه يحيا بالايمان ، وليس بالحقيقة ، والمؤمن لايعرف القدرة على التعليل ، لانه لايسأل ، ولكنه يندفع ، ولا يشك ، ولكنه يتحد باستمرار مع شعاراته .

والحق ان الثورية القومية ، في مرحلتها السلبية السياسية انما تطرح ديانة الشعارات ، وطقوسها الجماهيرية ، من خلال سلسلة ردود الفعل المتكتلة ، او المعركة . والديانة وسط متوتر ، هو وسط المظاهرة ، او المعركة ، والديانة الشعارية ، تتطلب فروسية الايمان ، هذا الايمان الذي هو وليد الحماس الجماهيري في حال الاستفزاز . ومثل هذا الايمان المدعوم بالحماس المتوتر ، يختلف عن الاعتقاد المدعوم بالفكر ، والمنظم ضمن ايديولوجية متماسكة ، تماسكا منطقيا على الاقل . فالايمان ، بهذه الصورة ، هو اصداء الشعارات المباشرة في النفس ، وهو وقودها في الان ذاته. وهو قادر على الانتشار بالعدوى السريعة . كما انه قادر ايضا ، على تكتيل الجماهير ، ودفعها نحو اهداف مادية مباشرة . وهي دائما اهداف سلبية ، بمعنى انها اهداف معبأة بطاقة التهديم والاطاحة للعقبات المستفزة .

وكم استفاد منها المناضلون الاولون ، مادام الهدف مكانيا ، اي مادام مبتكرا شاخصا تلقاء حواس الجمهور الغاضب . لقد كان الايمان الشعاري هو الايديولوجية الابتدائية في العمل الثوري ضد المستعمر . وهو الايمان المطلوب ، كلما تشخصت لنا معركة سافرة ، يبرز فيها العدو ببروزه المادي المباشر . وفي هذا الحد الاعلى من التكثيف الانفعالي ، ضمن اطر الشعارية الجماهيرية ،ماكان للفكر القومي سوى دور بلاغي . اي ان القصيدة الحماسية والخطبة الهجومية ، والهتافات الجماعية ، كل هذه الصيغ البلاغية المؤثرة ، كانت تنوب محل النوعية الفكرية الهادئة. وخلال ظروف الثورية الجماهيرية ، كان يولد الشاعر الحماسي ، والخطيب المفوه . وكان الفكر نائيا عن الميدان. فهو لن يستطيع ان يقدم حقيقة حيادية ، مدعومة بالقناعة المنطقية . واما الشاعر والخطيب ، فلهما المكان الاول ، من القيادة الجماهيرية ، خاصة وان كلا منهما لابد ان يدعم الفاظه الضخمة ، والسيكلوجية الايحائية ، بوقائع ثورية من سلوكه . كان شرط الموجه البلاغي ، ان يكون هو نفسه ثائراً عمليا . وان يتصدر المعركة كما يتصدر المنبر .

واما في مرحلة نشوء الاهداف الاجتماعية ، خلف الاهداف السياسية . فالتحرر الكياني الخارجي ، كان يستتبع تحررا ذاتيا داخليا . ولكن التحرر الذاتي ، ما زال يطرح على مستوى مجموعي ، انه يتوجه الى ملء الاهداف السياسية ، التي فقدت حماسة الهجوم المادي المباشر ، بمضمون انقلابي ، بالنسبة للنظم الاجتماعية السائدة .

ان انعكاس الهدفية السياسية نحو الداخل ، سيولد البحث عن مضمون اجتماعي ، تحيط به هالة من التقديس القومي المعتاد . ولا بد للمفكر القومي ، ان ينطلق من هذه الهالة ، نحو اي تحليل للانظمة الاجتماعية فالقيمة القومية، تظل هي المحرك الاساسي لنفسية الانقلاب الاجتماعي . ولقد عودتنا التجربة الثورية الا ننصب اي شعار اجتماعي حول الاشتراكية او الديمقراطية ، او غيرهما ، الا وهو مشفوع بهالة من الدعوة الى الجهاد القومي . فان عنف الهجوم على الاقطاعية ، وعلى النظم الملكية الاستبدادية ، كان يمتح قوته من الهجوم على الاستعمار ذاته . اذ كان على الفكر القومي ان يربط دائما بين الاقطاعي ، والحاكم الطغياني ، وبين نموذج الخائن والعميل الاستعماري . وما كان يستطيع الفكر القومي ، في هذا الطور ، أن يثير ثورية منظمة ضد الاقطاعية والاستبداد ، باسم تبريرات عقلية خالصة ، توحي بها هذه الانظمة ذاتها . فلا بد اذن من ربطها بالثورية السياسية الموجهة بأحقادها المعتادة ضد هذا الشعار السلبي الكبير : تحطيم الاستعمار ، واعوانه في الداخل .

ان مرحلة الاهداف السياسية المباشرة ، قد طرحت شعارات للتحرر من النظام الاستعماري ، ولكنها لم تفسح مجالا للفكر كيما يستبدل هذا النظام بنظام حكم استقلالي اخر . وهذا ما جعل عهود ما بعد التحرر السياسي ، تتخبط طويلا بين اشكال متناقضة من الحكم ، في كثير من الاقطار العربية المستقلة . وكذلك فان مرحلة الاهداف الاجتماعية ، لم تستطع سوى ان تحول الطاقة السلبية نحو هدم أنظمة داخلية قائمة . ولكنها لم تسمح للفكر كذلك ان يضع تصميما بنائيا لانظمة اخرى ايجابية ، تحقق انقلابية صحيحة داخل هذا المجتمع المتحرر من الاستعمار والاقطاع . فلقد نصبت ، في هذه المعركة الداخلية ، شعارات اخرى ، ظاهرها فكري ايجابي ، واما اثرها ، فهو توليد طاقة نضالية ، لها على الصراع السلبي ، القدرة نفسها التي كانت للشعارات السياسية الخارجية. ان رفع شعار الاشتراكية مثلا ، لا يتضمن تحقيق الاشتراكية ذاتها ، بقدر ما يتوجه الى تعبئة الشعور ضد العقبات القائمة في وجه الاشتراكية ، اي الاقطاعية والرجعية . ولذلك ما أن تنهار هذه العقبات ، حتى يفغر فراغ الواقع الاجتماعي التنظيمي فاه، طالبا الايديولوجية المتكاملة ، التي تملك الحلول الجاهزة لتحقيق الجانب البناء من الانقلابية الاجتماعية . ولكن هذه الايديولوجية متعثرة غائمة ، لا يملك الفكر القومي الا بعض لمحات باهتة من مخططها . ومن هنا فلا بد من حدوث الانتكاس الثوري ، او تتعطل الانقلابية الاجتماعية عن تحقيق نظمها المقترحة بدلا من النظم الزائلة ، فلا المنافع الضئيلة التي كانت النظم الزائلة توفرها باقية ، ولا المنافع التي انتظرها رجل الجماهير من شعارات اجتماعية ثورية ، بمائلة امام العيان ، او بواعدة على الاقل بامكان التحقيق في المستقبل القريب . وهذه الهوة السوداء التي تتفرج فجاة بين الشعار كقوة سلبية هادمة ، وبينه كمنطلق لبناء كياني ، هي اخطر باعث على انتكاس النفسية الثورية ، وضياع مردودها النظري والعملي .

وكذلك قل بالنسبة للهدف الديمقراطي من الثورية الاجتماعية . فان طرحه كشعار سياسي ، تلقاء الاستعمار ، لم يكن يعني سوى التحرر الكياني من سلطة الحاكم الاجنبي . واما عندما تحول الى طبيعة الحكم الداخلي ، فانه لم يفعل أكثر من الاطاحة بهرم الحكم الرجعي الفوضوي الذي كان يساعد الاستعمار على

السيطرة الداخلية . ولكنه لم يستطع بالمقابل ان يقدم النظام الايجابي لتحقيق الديمقراطية التلقائية ، أي تلك التي تتخلص من عادة تحطيم القيود الخارجية ، لتتوجه الى حماية حرية الفرد ايجابيا ، بما يساعده على تفتح شخصيته الخاصة ، حسب نموذج جديد مقترح لحضارة عربية .

ولقد واجه الفكر القومي، ولا ريب ، في طور الاهداف الاجتماعية ، اول ازمة تكوين حادة ، القت الارتباك في مخططه . فكما تبين لنا فان الفكر القومي لم يكن محملا إلا بشحنات ثورية غفل ، ورثها عن نضاله الشعاري المباشر ضد الاستعمار . وهو حين توجه الى الداخل الاجتماعي لم يكن يملك الا هذا الشكل الثوري ، الفارغ من اي مضمون ايجابي بنائي . ولهذا فقد عانى من مداهمة المضامين الايديولوجية الجاهزة . بعضها يعتمد على جاذبية علمية ضخمة ، تحمل كل تطبيقات الثورية الحديثة العالمية ، المتجلية في صور الدعوات الشيوعية. وبعضها الاخر جاهز من داخل ، من تراث الامة ذاتها. وله جاذبية افعل وأخطر ، لانه يعتمد على آلية التقليد والانصياع للرموز الايمانية الجماعية، التي تغلفت بطبقات صلدة من عادة التسليم والخوف ، والضمور الانساني. فالفكر الاجتماعي ، ضمن هالة الثورية القومية، كان يمكن كل لحظة ان يجهض محصلته الخاصة ، التي ليست بعد سوى رموز وبذور غامضة . ومن ثم فان الخطر المزدوج الذي كان يداهم نشوء الايديولوجية العربية بخصوصيتها ، ومنحاها الحضاري الانبعاثي الذاتي ، كان مسلحا بنظمه الفكرية ، وقوالبها المنطقية التاريخية ، وطقوسها الموجهة المتسلطة ، ولقد عانت تجربتنا الثورية، في ميدانها العلمي ، خطر التهجين من قبل ماركسية غوغائية ، كما ان هذه التجربة تعاني الان ايضا خطر التفريغ التقدمي ، امام مداهمة الرجعيات الدينية ، بمضامينها الايجابية المختلفة .

كل ذلك يرجع في الواقع الى ان التجربة الثورية ما زالت خالية فعلا من اي مراقبة فكرية جادة ، تحررها من حاجتها المستمرة الى التحريض الجماعي السلبي ، وتفتحها نحو معقولية شاملة . فتعمل هذه المعقولية بدورها ، على قلب نظامها المنطقي ، الى قيم وجودية حياتية ، تصح اسسا انبعاثية جديدة لحضارة عربية مقترحة على العربي الانسان .

ومن هنا يقوم الطور الفلسفي بدوره المنتظر . فالفكر القومي في ماضي تجربته الثورية كان يقتصر على نحت الاهداف من معدن العقبات ذاتها التي كانت تعترض قيام مجرد الوجود والبقاء الخام للكيان القومي ، كان فكرا هدفيا ، يبتكره الواقع النضالي المادي ، وتنفذه الجماهير، ويغذيه الحماس الفدائي ، ويفتقر دائما الى الاعتقاد الايديولوجي ، وان كان يثير في النفوس ايمانا طفليا وانفعاليا . ان تجربة النضال الماضية ، تقدم لنا احداثا جليلة ، ونماذج ثورية مباشرة . ولكنها تصدمنا كذلك بهذا التعثر والارتباك الذي كان يصاحب في كل مرة ، مولد فكر قومي اصيل ، يملك تماسكه الذاتي ، وضمانة صموده امام محاولات التهجين والتفريغ من قبل الايديولوجيات الجاهزة : اليسارية المادية والرجعية الطقسية .

وهذا هو الفكر القومي امام مستقبله .

فما هي الامكانيات التي يعد بها هذا الفكر ، وقد استنفد قصوره الماضي ، وشعر بحاجة التأصيل الذاتي ، المرتبط بتأصيل الامة نفسها في تربة الوجود الانساني المقبول ؟

ان أحدا لا يستطيع ان يتنبأ عن مخلوقات الفكر في مستقبله ، ولكن التجربة القومية الماضية ، والمعطيات الحاضرة ، قد تسمح لنا قليلا ان نضع هذا الفكر امام آماله ذاتها . وكثيرا ما انقلبت الامال الى وقائع تدل عن امكانياتها السابقة ، المتضمنة في الوجدان القومي .

* *

ان المسألة الاولى التي يجب ان يواجهها هذا الفكر القومي ، وهو في حركة تعاليه نحو مستقبله ، هي نوعيه التربة التي سيختارها لبذوره . ولا شك ان احدا لا يمكنه ان ينظر الى اي فكر قومي ، على انه فكر «معزول» في مثل هذا العصر الذي نحياه ، حيث تنحل الحضارات الخاصة ، لتنشيء حضارة عالمية غير ذات صفة ، الا صفة الانسان المطلق ، الذي خلقها .

ولكن لنحترس من هذه الاضلولة البراقة . فرغم ان طابع العصر هو التداخل والانفتاح ، والتفاعل السريع في مستويات العلم والوسائل الحضارية ، الا انه من اشد العصور ، في الوقت ذاته ، تميزا بالنوازع الجبارة الملحة بأرقى انتاجات الحضارة المعنوية والمادية . انه يتضمن انغلاقا نحو مراكز لتجمع القوى ، معاكسا لواقع التداخل الظاهر . وهذه القوى ، تسيطر عليها نوايا متصارعة ، قد تبلورت وراء اعنف صور التعصب للمصالح القومية ، التي لم تعد سوى مصالح استغلالية. ومع ذلك فان الفكر الانساني ، الذي ينتشر حول هذه النوازع ، سواء لتبريرها او لدحضها ، هو فكر يمتاز بغنى لانهائي، في شتى ميادين المعرفة والعمل والاعتقاد. ومن التعسف حقا ان نجعل فكرنا القومي يتجاهل هذه التربة العالمية. ولكنه بالمقابل لن يستطيع ان يشق لبذوره امكانيات الحياة والنمو في هذه التربة ، الا اذا خاطب فكرنا الناشيء عقل العالم بلغته . وليست هذه اللغة الا محصلة لعنف التجربة الحضارية التي خاضتها الانسانية من هيراقليط الى (ماركان هيدجر) و (توينبي).

ان كل فكر يتجاهل هذا التراث العالمي ، لن يستطيع ان يقدم الا خبرة صبيانية في مجمع العقول الجبارة . ولكن تبقى مسألة الطريقة التي يمكن ان ينفتح فيها فكر قومي على التراث العالمي ، دون ان يفقد هويته الخاصة. وهذا ما يجعل فئة من مثقفينا يفقدون رؤوسهم ، وهم يدورون مع عجلات الثقافات العالمية المتنوعة المخيفة .

وبالمقابل علينا ان نذكر انه ليس ثمة من ثقافة في العالم، تملك طابعا حياديا ، حتى تلك التي تتناول ثوابت العلم المادي والرياضي . ان المعادلات الرياضية ، والقوانين الفيزيائية ، رغم موضوعيتها المطلقة ، لا تنفصل عن ارومتها القومية ، عن بيئتها الحضارية التي نشأت فيها ، انها نتاج لمحصلة روحية معينة ، تتسم بالروح الفاوستية كما انبثقت منذ قرنين من الزمن في غرب أوروبا .

ومن هنا فان كل ثقافة اذا ما عزلت عن الكتب والمتاحف والآثار والادوات الصناعية ، انقلبت الى منظومة معيارية من القيم ، الى ايديولوجية حياتية .

ان ثقافات الحضارات من حولنا ، ليست اسيرة مواضيعها . فالفيزياء ليست للمادة ، والرياضيات ليست للبداهة العقلية ، والعلوم الانسانية ليست لموضوع النفس والاجتماع والتاريخ. وانما هي جميعها نبتات ايديولوجية،

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

تشف عن منظومة معيارية للشعوب التي ابدعتها كحقائق موضوعية ، ولكنها في الوقت ذاته تؤلف معقولية داخليه صامته ، لها ، وتنسج تربية حضارية خاصة بها ، تنشىء اجيالها وانماط سلوكها واعتقادهـا وعلائقها الاقتصـادية والنفسية والتنظيمية ، بحسب دلالاتها التاريخية .

فالفكر العالمي ، هو التربة المفروضة بالنسبة لبذرة فكرنا القومي . والفكر العالمي يداهمنا ، ليس كمنظومة من المعارف الحيادية ، بل يداهمنا بصور من الايديولوجيات المختلفة المحملة بأبعاد الحضارات وانماط المعيشة المعيارية التي اختارتها لذاتها قبل كل شيء .

ولذلك فان الفكر القومي ، ان كان سوف يفسح مجالا لنمو المخابر والابحاث العلمية ، وظهور الفلسفات والآداب المختلفة ضمنه ، الا انه لا بد ان يحمل منذ البدء ملامح الوجه الداخلي لحضارتنا ، أي ان يمهد لكل حقيقة في ميدانه ، ان تنتقل الى قيمة ، وان تكون من مجموع القيم ، منظومة ايديولوجية ، تشف عن نوع اختيارنا الشامل لنوع النموذج الانساني الذي سوف نصنفه ونخلده .

واذا كان هذا الفكر القومي سوف يتصف بقدرته على التحول الى ايديولوجية فان هذا ليس معنـاه انه فكر متمذهب سابقا . انه على العكس ، هو الذي يسمح بتولد المذاهب المختلفة ضمن اشمل تيار له ، في وجدان الامة المبدع . فالطـابع الايديولوجي لا يعني التمذهب بالمعنى الضيق . وانما هو الذي سوف يمنح مشروعية لكل مذهب، باعتباره صورة من صور تحققات الفكر القومي خلال تنوع نشـاطاته ، حسب الظروف البيئوية الروحيـة لتطور الحضارة من داخل .

ولهذا فـان الفكر القومي ليس مطالبا في الحقـل الاجتماعي ان يقدم نموذجا واحدا من التنظيم . انه مثلا قد يوحي بنظم واشتراكيات متنوعة، حسب اشكال الواقع الاقتصادي غير الثابت . فليس كمثل فكرنا القومي هذا بحاجة في المستقبل القريب ، الى التحرر من عادة النحت الشعاري . فالفكر الحقيقي لا يختصره اي شعار . كما ان الحرية لا يستنفد امكانياتها أي نظام حر .

وان مرض الهوس الشعاري ، الذي يعاني منه فكرنا القومي ، يجاوره مرض اخر ، خطير ايضا ، الا وهو مرض التدين ، لا بالمعنى الالهي ، ولكن التدين الوثني . فاننا ما ان نخلق فكرة ، حتى نحيطها بهالة من الصحة المطلقة، ومن المشروعية كلها ومن الخلود . وبالتالي تنقلب الى تراث الثوابت في قبو اللاشعور القومي . ولا تلبث حتى تتحول الى مركز ساحة من التحريم السحري، والتجميد العقيدي . فلنثق بانه ليس ثمة من انتاج للفكر ، يمكن ان يعوض عن الفكر كله . ولنثق ايضا بأن أي ضرب مـن ضروب المعرفة او السلوك والقيمة ، الا ويخضع للشك . فالعقلية الايمانية ، ليست هي عقليـة الابداع والتشوق المستقبلي .

ان المنطق الشعاري ، يستند الى كثافة ايمانية ، والى اتحاد مجموعي ، غفل من اي تمايز شخصي . والحق ان الفكر القومي ، مدعو ، في لحظة من لحظات تغير الايقاع الحضاري ، الى بث اعتقاد جديد ، والى مسح ايمان قديم . ان الاعتقاد هو ما يدعمه الوعي بمبرراته العقلية ، وجدارته الواقعية . ولكن عندما تزول عنه هالة الوعي ، الذي يكفل نجوعه وعدم تخثره ، لا يلبث ان يجمد ، ويصبـح وهو نتاج الحرية ، اكبر معيق للحرية . وبالتالي ينقلب الـى ايمان ، الى نوع من التدين الوثني ، يتغذى من حمـاس الجماهير الغفل ، ويحارب كل معقولية تقدم على النقـد الحقيقي . ان اية امكانية لتطور الفكر القومي ، لا تثبت الا اذا صاحبتها صرامة النقد . فالحرية قبل ان تكون في مستوى التحقق العملي ، فانها في مستوى الفكر ، ليست هي شيئا اخر غير امكانية النقد. حتى لقد يمكن ان يعرف الفكر الملتزم لواقعية التطور الحضاري ، انه فكر معياري، اي لا يمكنه ان ينفصل عن امكانية النقد الذاتي له ، ولكل انتاج آخر يحمل شعار الفكر ، الا وهو الحرية .

* *

لقد اعتمد الفكر القومي ، خلال تجربتنا الثورية ، حتى الان ، على زاد قليل من الايجابية ، وزاد كثير من السلبية اما ايجابيته النادرة ، فهي في محـاولته لتثبيت ابجدية القومية العربية . وكان هـذا التثبيت عملا يدور حول الذهنية الشعارية . كان يستوحي من شعار ، او يشرح شعارا ، او يمهد لشعار آخر . ومثل هذا النشاط كان يولد عملا مفصليا هيكليا . فلو اننا تفحصنا الكتب ، التي تحمل عناوين قومية في السنوات العشر الاخيرة ، لوجدنا ان معظمها ، يريد ان ينافح عن شروط قيام الامة العربية من خلال ادلـة تاريخية ، او مناقشات ضد الافكـار والايديولوجيات المناقضة. وكان لا يخلو بعضها من شطحات شاعرية ، أو نزعات مثالية ، او انحرافـات تعصبية او رجعية . هذا الى جانب انها تتفق جميعها ، في موقفهـا الفكري الطفولي . ولقد استطاعت رغم ذلك ان تخلق لدى العربي الجديد ، عفوية الاعتقاد بأصالة قوميته، وضروراتها الاجتماعية والانسانية ، وان تثبت في وجدانه حقائق الانبعاث الاولية، حتى اصبحت بديهيات تؤسس له جدارته بعين ذاته .

وفي هذا الاتجاه ، لا بد ان ينطلق الفكر القومي مـن هذه الابجدية الى انشاء الاطار الفلسفي الشامل للعقيدة العربية . هذا هو الوعد الاكبر المنتظر . ولكن لنتفهم ماذا نعني بالاطار الفلسفي للعقيدة العربية .

والحق انه علينا أن نبدل لفظ الاطار الفلسفي بكلمـة اصح ، وهي الرؤيا الفلسفية ، التي سوف تصبح مغزلا اساسيا للعقيدة العربية . ان هذه الرؤيا ستكون بمثابة الرشيم الاول للحضارة المقترحة ، المتولدة عـن حركة الانبعاث الشمولي للامة العربية .

ولا شك فان احدا من المفكرين لن يكشف هذه الرؤيا . وانما لا بد ان نترك نواة حضارتنا لخصبها الذاتي ، فتعطي لنا كافة الانتاجات في ميادين الفعالية الانسانية . ومن ثم يقوم الفكر القومي بحركة استرجاعية ، يراجع فيهـا حركة هذا الخصب ، ويكشف عـن الوحدة في تنوعها ، وعن التناغم في لا تجانسها . وبذلك يتاح له ان يدرك وحدة البذرة الاولى ، التي انشأت هذا النتاج . ولن تكون هذه البذرة الا الصورة المكثفة في رشيم لمخطط شخصية حضارية متكاملة ، تنبت من مختلف الفعاليات العمليـة والنظرية للامة .

كل ما نستطيع ان نفعله من اجل تحقق هذا الفكر القومي في المستقبل التاريخي للامة، لن يكون في تحديد مضامينه سلفا . كما لن يكون في قلب موحيات هذا الفكر الى قواعد عقيدية جامدة ، تمنع حركته العفوية من ملاحقة خصبها وتجددها . ان ما نستطيع ان نفعله حقا من اجل هذا المستقبل ، هو ان نحرث التربة جيدا ، وان نفتح اعماقها لغيث عظيم ، اسمه : الحرية .

ولكي نخفف من ايقاع هذه الكلمة السحري في نفوسنا،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلنقل ان الايديولوجية الاشمل ، والاعظم انفتاحا ، هي تلك التي تسمح لنا بوعي نقدي حاسم ، في كل لحظة ، من تحقق الوعد المستقبلي للانبعاث القومي .

ان كل حقيقة سيكشفها هذا الفكر القومي ، ستكون كذلك محط قيمة لما هو اوسع من الفكر القومي ، للوجدان الانساني . فلا حيادية في علم الذات القومية ، وانماهناك انحياز مطلق الى مقياس المشروعية او عدم المشروعية ، لكل تحقق مستجد في تاريخية التكون الحضاري للامة.

ان الفكر القومي ، عندما ينقلب الى مقياس المشروعية او عدم المشروعية ، سوف يتحول هو ذاته الى ايديولوجية شمولية . وكل ايديولوجية هي وجهة نظر . انها تنطوي على حدس برؤيا ميتافيزيقية ، تظل تحيا في خلفيةالتطور الواقعي لمنجزات المجتمع . والمهم لدى الفكر القومي ، ان يجد العلاقة الايجابية بين هذه المنجزات ، وبين الرؤيا الميتافيزيقية التي يحملها ضمير الامة . من هنا كانت هذه المنجزات مجرد رموز حية لهذه الرؤيا . انها تبرز وحدة الرسالة التي تقترحها الامة على ابنائها .. هذه هي الصلة الرحمانية ، التي كان يبشر بها رواد الفلسفة العربية الانبعاثية ، صلة بين البطل وبين جذره الروحي في اعماق امتـه .

ان هذه الصلة ، هي التي تستطيع ان تقلب كل انتاج لفكر قومي ملتزم ، الى قيم سلوكية ، معيارية ، ترفع من وجود الامة اليومي ، الى مستوى نموذجي مثالي . ولولا هذه العملية ، لامحى هذا المد الشعوري الوجداني ، الذي يجعل احيانا طابع العمل القومي ، اشبه بالاستشهـاد الصوفي .

لقد حان الوقت اذن الى ان نحرر عقيدتنا العربية من وثنية الشعارات ، وان نرجع كل امكانية شعار سيولدفي المستقبل ، الى ينبوع التجربة الرحمانية ، التي تجعل كل واقع قومي يشف عن رؤيا شمولية ، لحركة التاريخ الانبعاثي ، نحو تأكيد رسالته الانسانية . ان عقيدة في الحرية ، لا تعني الا عملية شق الدروب دائما ، وليس طمس هذه الدروب في سبيل درب واحد .

والمستقبل لا يعني ، بالنسبـة للايديولوجية العربية ، تبعثر السواقي المتسربة من الينبوع ، ولكنه يعني البحث عن ينبوع اعمق في اقصى حركة للمصير ، نحو الكشف عن ذاته .

لا شيء يمكن ان يحمي الفكـر القومي من امراضه ، الا هذا التنبه الداخلي ، الذي يجعله مسلحا دائما بعدم القناعة بالنسبة لما هو موجود ، وبطموح واع نحو اقسى موقف نقدي ، من المنجزات ، في سبيل ما لم ينجز بعد. بذلك وحده ، نحرز ايضا هذا الفكر من تبعيته للاحداث اليومية التي تحتكرها الفعالية السياسية المتناقضة . نحرره من هذه التبعية ولا نعزله عنها . لان هذا التحرر يتضمن نوعا من المراقبة الدقيقة العالية ، من قبل هـذا الفكر على الواقع السياسي . بذلـك فحسب ، يمكن ان نقتل طابع الصدفةوالاستثمار الطارىء، ومحاولات النكوص والارتداد ، التي يفاجئنا بها طغيان اليوميات السياسية، وشحوب المبادىء الايديولوجية تلقاءها .

ان مستقبل الفكر القومي ، لا يعني خلق الفلسفـات العقائدية ، أو النماذج الحضارية . ان هذا المستقبل يمهد لنضج شروط كل فلسفة ، كل حضارة . هكذا فحسب، نضع تجربتنا الثورية في الدرجة القصوى من مطامحها ، وهي ان تكون ثورية دائمة ، لا على مستوى الاثارة السلبية ولكن على مستوى الشرط الانساني ، لكل عملية خلقذاتي لوجود الامة ، ووجود العصر الانساني من حولها .

ان الانتاج الثقافي للامة ، حسب مراحل نضجهـا الحضاري ، لا يشف عن روحية هذه الامة فحسب، ولكنه ينقلب الى تربية وجدانية لها . وبهذا فان الثقافة ، عندما تحقق شرط هذا الالتحام الذاتي بروحية الامة ، تتطور الى معايير . ولكن هذه المعايير ، لا تقف عند حدود التقييم الاخلاقي ، بل انها تتوجه الى التقييم الكياني ، من حيث ان هذا الكيان الذي صنعته الثقافة لذاتية الامة ، يعبر عن وجودها السوي النموذجي ، او انه منحرف او مزيـف . ولذلك من التعسف ان نعتقد ان الفكر القومي ، هو اعداد العقيدة ، ذات النجوع العملي المباشر . لان العقيدة، في حد ذاتها ، ما ان تنقطع عن القدرة الابداعيـة والنقدية للفكر ، حتى تفقد روحيتها الخاصة ، وتتحول الى آلية طقسية سحرية ، ككل العقائد البالية الاخرى .

ومن هنا فان خط المستقبل ، الذي سيحدد نضج الفكر القومي ، لا بد ان يتحد مع متعاظم في القدرة على كشف الذات العربية ، وعرض مختلف مظاهرهـا الجماعية والفردية ، السلوكية والاعتقادية ، على معايير الحضارة المقترحة لوجودنا القومي السوي . فان توجيه فعالية الفكر نحو بنيانه الذاتي ، هو الذي يكفل له ارضا خصبة من الفعالية والانتاج . فلقد سمحت لنا الاحداث السياسية دائما ، ان نغفل مواجهـة الذات ، وان نقنع مشاكلنـا الاجتماعية ونوازعنا الانسانية، بتعبئة الجهود نحو الهدفية السياسية المباشرة . ولا ريب ، فان هذه الهدفية تقـوم على مستوى مثالي شاهق بالنسبة لواقعنا اليومي. ولذلك ما ان تفرغ التعبئة الهجومية في المعارك السياسية ، او تمنى بشيء من النكوص والتردد ، حتى تتقلص ثوريتنا ، وتفترسها رواسب شخصيتنا القديمة، بعاداتها التشاؤمية، واعتقاداتها النكوصية التسليمية .

ان اعداد الاهداف الكبرى ، ليس هو الا الجزء الاضأل من نشاط الفكر القومي . بل يكاد يكون الفكر غائبا فـي هذه العملية ، بينما تنشط ردود الفعل الغريزية عوضـا عنه . واما المهمة الاخطر للفكر ، والتي لم نجرؤ بعـد على طرحها مباشرة ، هي اعداد البنية الوجودية الحقيقية، التي تؤهل الاجيال الىتحقيق مثل هذه الاهداف الكبرى. فنحن استطعنا حتى اللحظة الحاضرة من تجربتنا القومية، ان نتقن فن التعبئة الجماهيرية ، وان نحذق في صياغة التظاهرات ، وما يحاك خلفها من حلزونيات سياسية ، ولكن فكرنا القومي لم يفعل شيئـا بعد ، بالنسبة لاعداد البنية الحضارية للعربي الانسان . فما زال عقله يتعامل بثوابت القرون الوسطى ، وما زال سلوكه مضغوطا تحت كوابيس المحرمات ، وما زالت نفسيته تشكو من كل العلل التى يشكو منها انسان مذلول بروحيته ، مقهور برغباته، مشدود الى الاف الطقوس التي تجمد حريته ، وتجهض ثوريته .

ماذا فعل الفكر القومي بالنسبة لانسان العمل والبيت والمكتب والشارع . لقد طرح عليه اهدافـا جماعية ، لا تواجه مشكلاته الفردية . وجعله لا يذكر هذه الاهداف الا ليشكو من تعثرها او استحالتها . كل ذلك لان المـد الانقلابي ، لم يلمس سوى سطح هذا الانسان ، ولم يصل الى امكـان خلق عادة التحرر الذاتي ، والتخلق باخلاق طليعية ، في زوايا حياته الظاهرة والخافية .

ومهمة اخرى تنتظر نزالا وحشيا مع هذا الفكر القومي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العتيد . ان عليه ان يثقف مثاليته بالعلم . وأن يجعل من العلم اكثر من حقائق مجردة ، قد تمدنا بشهادات والقاب، ومناصب اجتماعية . فلقد اعتدنا ان نشكو من الجهل كظاهرة مسلم بها في مجتمعنا . ولكننا منذ ثلاثين سنة ونحن نخرج اجيالا من حملة الشهادات . فهل نقول انه قد اصبح لدينا عدد يكفي أن نفحص مستواه العلمي ، لكي نجد اننا ما زلنا عند حدود استعارة حضارات الاخرين من مستعملاتها الخارجية ، دون ان يكون لدينا ذلك الحس الايجابي المنظم الذي يجعلنا قادرين على الاختيار ، وقادرين بالتالي على تمثل ما نختار ، في سبيل تغذية شخصية خاصة بانبعاثنا الجديد .

ان التناقضات اليومية بين مستويات الثقافة ، ونماذج السلوك ، بين الاعتقادات الغيبية واصطناع كافة مظاهر التحرر السطحي ، والتناقضات حتى بين أفراد الطليعة من كل جيل ، عندما يحلمون ، ولا يدرون كيف يحققون احلامهم .. كل هذا الواقع المليء بالصدفة والاتفاق واللامعقول ، كل هذه المظاهر الحلزونية للانسان العربي ، تجعلنا نؤمن ان الفكر القومي لم يلد بعد ، لان النقد ما زال امنية بدون جراة . ولان تعرية الذات وفضحها ، وتدمير طقوسها الانحلالية ، هي من اصعب الامور بالنسبة لمجتمع ، يفضل ان ينقل معركته الى خارج منه ، محار يأكل اعداءه الظاهرين مؤجلا دائما عدوه الذاتي ، الضامر في رواسب تكوينه الحضاري البائد . ان من اسهل الامور ان نفرغ طاقتنا السلبية ضد اعداء خارجيين ، ومن السهل ايضا ان ننصب هدف الوحدة ، ونتحاشى بناء عقلية الوحدة واشاعة اخلاق الوحدة .

ومن الهين اليسير كذلك ان نرفع لواء الاشتراكية والحرية ، وان نهرب من خلق البيئة الشعبية لتحقيق الاشتراكية ، ومن نسج نفسية التحرر وغرزها لدى كل فرد عربي ، سواء أصمه تظاهر في الشارع ، او عانقته احلامه بين اربعة جدران في غرفته ، او تعامل مع اب وام واخ وصديق وحبيب .

ان العقلية الانقلابية ، لا يمكن ان تنمو وتتحقق بالاثارات الحماسية . فلا بد لعقل صارم ، مسلح بالاعتقاد والمعرفة ، والرؤيا الشمولية ، كيما يهيء ثانية عادة التخلق الحر لدى انساننا ، في كل مجالاته اليومية . فلنقل اذن ان ضمانة الانتصارات الكيانية لمجموع الامة ، في ميادين صداعها المختلفة ، لن يأتي من زرق الحماس الانفعالي بحقن خارجية . فالثورية السياسية ، ترتكز الى اخلاق ثورية ، والاخلاق الثورية تستمد فعاليتها من اصالة الفكر النقدي . وليس من فكر بقادر على نقد منجزات ذاته وذات غيره ، من دون ان يكون بنيانه نفسه قد صنعته الحرية الواقعية لبنة فلبنة .

اننا اخيرا بحاجة الى ان نواجه شرطنا الميتافيزيقي العميق . أن نفحص الكثير من اعتقاداتنا الغيبية ، التي قد تتخذ لنفسها كثيرا من الاقنعة الثورية . فتعمل على اجهاض كل مكتب ثوري ، واملاء مضمونه بذخر رجعي غيبي . ان الفكر القومي مدعو اخيرا ، الى ان يحل في نفوسنا دين التقدمية ، بدل الاعتقادات التي فقدت الهتها، وتحولت الى آليات طقسية وثنية .

فما هو مستقبل الفكر القومي اذن ، ان لم يكن هو نفسه اعدادا باطنيا وحشيا ، لقتل الوحش في صميم تكويننا التاريخي ، لقتل عادة المذلة امام المطلق ، والحاكم ، والحاجة انى ظهرت ، وكيفما تحققت .

هكذا نجتث من الصميم قابلية كل مذلة ذاتية او جماعية ، سرية او مفضوحة .

هكذا نمهد لتكوين الحضارة المقترحة ، بان نسلب عن انفسنا قناع الحضارة المهترئة القديمة ، ونجرد سلوكنا اليومي من عادة لصق اعلانات الحضارة المستوردة ، على جسدنا المهلهل .

قبل ان نرفع اي شعار في المستقبل ، فلنعمل على خلق عقلية هذا الشعار ، وعلميته الواقعية ، لنجعله يحس بانه في ارضه ، وانه لدى الشعب الذي يستحقه .

* *

الفكر القومي لم يولد بعد ، ولكن ولدت النية العظيمة على تحقيقه ، فهل نحن جديرون بعبء هذه النية ، لنكون جديرين بمستقبل الحضارة العربية المنشودة ، في نفوسنا .

تلك هي صلاتنا الاخيرة ، في هيكل لا اوثان فيه ، ولا سماوات غامضة . هيكل تضج فيه ارادة الخلق والانبعاث وحدها . (*)

مطاع صفدي

(*) محاضرة القيت في النادي الثقافي العربي ببيروت

الخطوط البحرية التركية
« DENIZYOLLARI »
تعلن عن استئناف خطوطها البحرية الاسبوعية على البواخر الفخمة
اسكندرون وسمسون
السفر من بيروت
كل اربعاء الساعة الثانية عشر ظهرا
الى الاسكندرية - نابولي
مرسيليا - جنوى
وبالعكس
لرحلات القادمة :
اسكندرون ٢-٨-١٩٦١
سمسون ٩-٨-١٩٦١
اسكندرون ١٦-٨-١٩٦١
سمسون ٢٣-٨-١٩٦١
اسكندرون ٣٠-٨-١٩٦١
لجميع الاستعلامات اتصلوا بالوكيل العام :
فوزي غندور شارع اللنبي
صندوق البريد ١٠٨٤ - بيروت
تلفون ٢٢٠٢٠٧ و ٢٢٤١٢٤ وجميع وكالات السفر

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الاختناق

عيون « يوحنا » معي ،
وفي فمي ،
الف لسان يرتمي
كالميت ، كالصبّار
تأكل وجه غربتي الدروب
كمبردٍ ، تأكلني الدروب
ولا أحسُّ في دمي تمزق الغريب ..
احب حتى العظم ،
لا احسُّ نشوة الحبيب
ادوس فوق الزهر ، ابكي ،
اشتهي ، اخيب ...
ينفضني ملهى ، الى مقهى ،
الى بيت وزائرين ،
اودُّ لو امنعهم ،
لو مرة اشعر ، اني فرح ، حزين ..

* *

تعضني أمي التي اثداؤها حجاره
وأرضها ، ملح ، وياسمين
بيوتها ، مغاور الدعاره
وجوهها احذية الجنود
تسأل عن عينيَّ اذ تجوع
وعندما تزرقُ ايديها من الصقيع
تبحث عن قلبي كي تنهشه ،
وتعرف اسمي حينما تضيع ..

* *

لا .. لست منها ،
لم اعد احتمل الدخان والشكوك والسعار
ولست « لوطا » كي افرَّ ،
أين يا أنا الفرار ؟!
وان فررت كيف لا ارنو الى الوراء
ولا اريد ان اصير ..
عمود مالح كالحٍ ، يغسله الغبار
أليس عمري ، وخطاياي التي تختنق
مدينتي ، ووجه طفلي ،
كهف لذاتي ، فمي يحترق ؟!
احبها مدينتي ..
في مهجتي احياؤها المرهقة السوداء
تلك التي تعيش في الخفاء
انسانها يبحث عن عذابه ،
بضوء عينيه ، بساعديه ،
يصلب كل يوم ،
ولا يذوق نشوة الغداء ...
احبها ، قلباً بلا ارتواء ..
وجنة ، اسوارها الخطيئة
امقتها ..
لانها تبكي على سكينة الجزار
مصلوبة عيونها
في فم اسطول ، وفي سيجار
آمالها دائخة الضمير
تمضي بلا مصير ..
كورق الاعلان ، اذ تصفعه الرياح والاقدام

* *

اواه يا مدينة المهربين ، واللصوص
يا جنة النساء ، والفراغ ، والجريمه ..
متى يسيل الدم في عروقك القديمه ؟!!

رفيق الخوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأيان آخران في رواية

المهزومون

— ١ —

((العبث والتمزق في ((المهزومون))

بقلم حيدر حيدر

✶

عندما نالت رواية المهزومون ، جائزة الاداب لعام ١٩٦١ ، سجل انتصار جديد لجيل الناشئة ، في عالم الادب ، بعد ان كانت الجوائز ، وكان التصفيق والاعجاب تعتقل لصالح فئة من الادباء ، يسمون بعباقرة العصر.

الجائزة كقيمة مادية ، يمكن اعدامها ، ولكنها كاعتراف فذ ، لهذا الجيل الممزق في تجاهله وانغماره ، في صراعه الصلب ، واحتراق ذراته مع القيم المهلهلة العفنة ، هذا الاعتراف ، يعتبر نصرا لغزو هائل فريد ، سفح في سبيله ((بشر)) ورفاقه الغزير من التضحيات ، والمزيد من الاحتراق والتمزق .

تقف ((المهزومون)) كرواية جريئة لبنة صامدة في صرح ادب القصة في عصرنا ، تتحدى في لا مبالاة قيم اجيال متراكمة من الانحلال والتفسخ والقدرية ، اكلت شعبنا وسحقته ، خلال اعوام موفرة في القدم والتعفن.

يهمني من المهزومون فكرتان واضحتان تماما :

العبث ، والتمزق .:

وهاتان الفكرتان ، تمتاحان الرواية امتياحا جريئا هائلا ، ويمكن تسمية الرواية بـ ((العابثون ... او الممزقون ...)) دون ان يكون هناك خروج – اي خروج – عن الهدف الحقيقي لها . هذا الى جانب الجرأة التي تزخم بها الرواية في سرد هذا العبث وهذا التمزق ، لجيل يعاني ضغوطا هائلة في حياته الموسومة بالقلق والرفض ، باحثا عن ذاته ووجوده ، في بلاد الصمت والكآبة .

وعندما قرات الرواية لاول مرة ، تساءلت :

الن تصادر هذه الرواية من الاسواق لو اتيح لحلقة من الشيوخ ورجال الدين ان تعطي حكمها فيها ، لانها تلسع في خفة وهروب رواسب حياتهم المزيفة ، كما صودر كتاب ((الله والانسان)) لمصطفى محمود مثـلا ؟

ولكن السؤال جاء مخيبا حتى الان ، فشعرت بنسمة حرية تهب علينا من نافذة ما من بلادي ..

تتناول الرواية قطاعات معروفة في حياتنا ، ونماذج مختلفة تعريها في بساطة وصدق متناهيين . هذا الشيخ الذي يثمل ((في باب توما)) فقط . وتلتقطه الشرطة لتعيده ثملا الى الجامع ، ان بشرا لا يكاد يصدق ذلك ، فيحاول الهرب بكلمات لا مبرر لها :

وتبدأ محاورته له بسخرية ملعونة ، بعد ان عرف قصته من ((ملك)):

((لا بد وانك منتش من الزواج))

بشر يعرف ببساطة ان الشيخ لم يتزوج ، وقد تعمد كلمة ((منتش)) ليشعره في شفافية عابثة ، انه يشرب الخمرة المحرمة التي يجيب عنها في اصفرار من ضبط يعاقرها :

((النشوة تاتي من الخمرة ، والخمرة مكروهة لدرجة التحريم)) .

الخمرة محرمة شرعا ، ومع هذا يشربها الشيخ ، فاي قرف يمكنه الا يشيل في اعماق بشر بهذه السخرية العابثة :

((اعترف لك انني شربت زجاجة بيرة امس))

ويقتحم عقل الشيخ تبرير يتقيا ذاته :

((البيرة ليست محرمة))

ماذا يملك جيل بشر امام هذه الكتل الكاذبة المهزومة التي يمثلها الشيخ في بلادنـا ؟

يريد اغتصاب خديجة ، في زواج لا متكافيء منخور ، وهو فارغ لايملك سوى رغبة حيوانية تنطفيء في ذروتها .

وقف الشيخ على باب الغرفة التي زربت فيها خديجة ، وناداها في خشوع التبتل ، ونقر على الباب ، ولم يسمع نامة ، وطفق يضع راسه منصتا ، وبشر يشاهد هذا المنظر المقرف ، فيثور ويتمزق :

((وتراءى لي في تلك اللحظات اشبه ببرميل مليء وخما وقذى وعقما. نظرت اليه هذا الممتنع عن شرب الخمر الا في باب توما ، وبلعت ريقا كنت اود لو بصقته ..))

واخيرا تجيب خديجة بسلبيتها الهائجة ، تريد قتل كل صبوة في اعماق الشيخ :

((اذهب .. اذهب .. اذهب ..))

وينسحب بشر يجرر هزيمة العالم وفشله ، لا يملك الا تمزقه :

((انسحبت من الغرفة ممتلئا بقرف هائل ، تناثر في غرفتي شتائم وبصاقا ضخما ورغبة في التحطيم ..))

انه يعود الى بيت اخيه ، لتتعالى شامخة مآذن دمشق في وجهه.

((ان سبعا واربعين مئذنة اخرى تتعالى في قيلولة ابدية)) .

ويناديه جاره ليربح له ثوابا في الجامع ((تعال اربح لك صلاة ... الجامع قريب .. لن تكلفك سوى بضع دقائق))

ثم اسرح في دروب المدينة ، وكل شيء مسموح ، هذا هو المعنى الكامل للدعوة . ويجيب بشر على هذه الدعوة الحارة من جاره المهزوم كقطيع المصلين المندفعين منذ الاف السنين نحو الجوامع والكنائس ، يجيب بلسان جيل باسره : ((كلا لن اصلي ...))

لن يصلي ، لا لانه جاحد ملحد ، ولكن لانه خاطيء ، والصلاة لا تطهر الخطيئة . الانسان موسوم بالاثم ، والجامع والكنيسة لايمحوانه . ان خللا ما ، مرتبط بجذور المجتمع ،وهذا الخلل ، هذا الخطا يجب ان ينسف ويدمر ، ان المجتمع يجب ان يلغم ، لان قيما ومفاهيم جديدة تنذر ،تتحدى تنبت ، في صحاري بلدي الجديبة .

((ما احوج الانسان إلى ان يغرق في شيء ما ، يغرق بجميع ابعاده، فلا يستفيق الا على اجراس نبي جديد))

ويتبدى العبث موقفا وردا على عقم الحياة ، ولا جدواها ((وامسكت بعصا ملقاة على الرصيف ، وطفقت اضرب بها بعض الحصى المبعثرة ..))

هذه الحصى تبقى رمزا ربما لم يتقصده الكاتب ، لكنها الدمامل المنثورة ، تنز صديدها ، وهي بحاجة لمبضع ، ونحن لا نملك سوى الكلمة المقلوفة ..

وهكذا تبدو الهزيمةوالفشل ، وليدين شرعيين للتمزق والعبث ،كموقف هروبي ماساوي ، هو قدر هذا الجيل ((وديعة ، انا عائد ، بخاطرك))

((بعد قليل اخذ وقع خطواتي يضايقني ، فجلست على عتبة بيت صديء ارتاح واتمتع بخلو الشارع من الناس)) هارب من ذاته ، يحس

لا جدواه تلاحقه ، ومع ذلك يتابع خط حياته الرقعة ، لانه محكوم عليه بالحياة .

وتتبدى عملية التعرية ، عملية واضحة في الرواية ، وهاني الراهب، يكشف ذلك في تلقائية ، يلقي كلماته في لا مبالاة وتخطف ، يفضح المدينة المهروسة بمطارق الزيف والتفسخ والقدرية .

. . . . .

بعد ان عرف بشر من ملك ، ان زوجة الحلاق « ثريا » تضرب وتعذب كل يوم ، وتشتم شتما فظيعا ، لانها تتاخر في تسخين الرز يسال « ملك»:

« الا تخون هذه المراة المليئة زوجها ..؟؟ »

انتهرته « ملك » « هـه ... هـه .. انها من اشرف عائلات دمشق »

ربما لم تكن « ثريا » من اشرف عائلات دمشق ، لكن هاني ، تعمدهـا ليعري طبقة بالذات ، تدعي الشرف وتحتكره ، ثم تتعهر في محيطها المغلق المسدود بطريقتها الخاصة . وبشر عندما يضاجع ثريا السجينة في بيت زوجها ، المغلوبة على امرها ، يصلب ، هذا الشرف .. العائلي ... المزيف ، على صدر دمشق ، فيدين بذلك حضارة وقيما وشرائع ، سنتها هذه الطبقة لذاتها ، واجترتها منذ الازل .

يصطاد ثريا بطريقة عابثة : « ارجو ان تسامحي تطفلي .. نحـن شباب ، وناخذ الدنيا عبثا ، نفعل اشياء كثيرة ، لا مبرر لها ولا غاية. »

وتتلاحق الهزائم ، فشل-اثر فشل ، وعبث ولا مبالاة ، وتمزق في « قلق البحث عن مصير » .

ان هاني ينتقل ببساطة من الوخم الديني السائد ، الى الاغتصاب الجنسي يمارس علنا تحت ستار جريمة يحميها ويشجعها القانـون تسمى خطأ « الزواج » ، ثم الى المولد في طرائقه العثمانية البهلوانية العتيقة ، مما يذكر بعهود ماقبل التاريخ ، ورقص قبائل الغاب الوحشي حول النار المقدسة ،... جميع هذا يجري في دمشق ، مدينة نـزار قباني وكوليت خوري ، ومطاع صفدي ، وزكريا تامر ، وهاني الراهب ، هؤلاء الانبياء في بلد ، يعبد الوثنية الاخلاقية الموروثة .

ينخر دمشق التناقض ، ويمزقها العبث ، او ليست دمشق في قيمها المتناقضة ، ككل مدن هذا الشرق ، تمزق اجيالها ، تمتص دماءهم ، وعيهم الحار ، تضغط حتى التشرد ، حتى الفقدان ، على ذرات ايمانهم ، ترميهم في جحيم فضائلها المرفوضة ، فتبدو لعيونهم رمز العقم والجوع والعدم؟

يمزق الفجر قلب بشر ، فيحترق :

« لست ادرى ماذا افعل بايامي ، انها مليئة بالبعثرة والتردد ، مفعمة بالاستحالة ، ما احوج الانسان الى ان يغرق في شيء ما ، يغرق بجميع ابعاده ، فلا يستفيق الا على اجراس نبي جديد .. »

الخط الواضح نفسه للمد الروائي ، البحث عن قيم جديدة ، على انقاض المثل المنتنة السائدة ، لكنه يبقى بحثا يائسـا ، لا يملك بشر وصالح ودريد وسحاب ، وجميع ابطال الروايـة ، ازاءه ، الا الثورة والعبث والرفض بمحاولة الانعتاق مما هو كائن ، لكن ثورتهم فاشلة ، ورفضهم مهزوم ، وقضيتهم الحقيقية ، هي ان يغرقوا ، حتى القمة في حياتهم ، ويحيوها بصدق وجـراة ، ولو كره الاخرون ، والامـه ، والمجتمـع .

يلقي دريد مرة في لا مبالاة : « نحن تافهون » .

ويردد ، عندما تطاير من امامهم باص المهاجرين الضخم ، ينحدر نحو الحميدية ، « عندما كنا صغارا علمونا القناعة وحب الله ، ومحمد ، وما بني عليه الاسلام » .

ويجيب بشر في رد تناقضي جرىء « ثم قرانا بعد ذلك ــ الذباب ــ وكالي جولا ــ و ــ العادلون » .

ان هذا الجيل الذي يقرا « سارتر وكامو » ريلكه وكافكا ــ ولسون وهامنجواي ، لا يغترب ، ولا يبتعد عن قضاياه ، ولكنه يتعرف الـى الانسان في حقائقه العارية ، في ماساته الحادة ، واعتقد ان مصير الانسان ، في قلقه ويأسه ، وهجره ، في حريته ومسؤوليته ، يتجمع اليوم ويتبلور تحت محرق الوجودية ، تكشفه وتعريه ، في بسـاطة وصدق ، فاي عار يكمن في قراءتنا وتعرفنا على الوجودية ؟

يصرخ صالح : « بدلا من العمل السياسي ، سنتحول الى العمـل العـاطفي » .

ويرد بشر : « المشكلة ، انه ليست لدينا مشكلة ... لو ان احدا منا يعاني ... لا ادري كيف اعبر » .

يبدو هنا مهزوما بشكل ما ، يخاف التصريح ، هذا المصدوم الخائب، من جيل الصمت ، يرف على شفتيه شبح كلمة ربما القته بزنزانة ، فيبتلع الكلمات ، وهنا فقط ، لا يبدو على حقيقته ، لانه يستتر ، هـذا المهزوم « العاطل عن النضال » .

. . . . .

المجتمع صفر ... عند « سحاب » رمت وليدتهـا على رصيف الحديقة ، ورفضت ان تقابل زوجها ، رغم انه صرف عليها في شهـر العسل ...١٢٠ ليرة ، يبيع بشر وصالح ودريد وانا معهم ، رقبتنـا بنصف هذا المبلغ ، انها تتمرد على عبوديتها بطريقتها الخاصة ، عندما يرفض الاخرون حل قضيتها ، او الاستماع لتمزيقها الضمني ، وعذابها مع زوجها ، هذا المليونير الشحاذ لكلمة حب ، الخانع على اقدام امراة تهينه وتكرهه ، وتطلب طلاقها منه .

ويتابع هاني رحلة العبث ، في زورقه التـائه ، على شكل سخرية حينا ... وجد حينا اخر .. في الشوارع ، في الجلوس على رخام المنازل .. في مناداة امراة في الطريق .. او تقبيلها .. « اذا صادفت فتاة في الشارع فساقبلها » اعلن دريد .

« لا بد من نومة في النظارة ، انا اشتهي ان انام في النظارة مـن سنين » قرر صالح .

الجميع يبحثون عن الاستغراق فيشيء ما، في حادث ، ولو كان تافها، شوق البحث عن احاسيس جديدة مفقودة في عالم المأذن .. والاغتصاب الجنسي والطبقية ، وشراء الزوجات .

عندما يسال بشر عن المجتمع والدين ، يجيب « ان المجتمع والدين لا شيء ، الشيء الوحيد هو انا .. عني تنبع المثل العليا ، وبالنسبـة لي ، تقدر قيم الاشياء .. »

ان الانسان ينبوع القيم ، تتفجر منه كل تيارات الحياة الواعية ، وتتحدر منه جماع المصائر على الارض ، انه اله الارض .

بشر يرفض مجتمعه ، عقليا وروحيا ، ينفصل عنه بحركة ايجابية ، لا سلبية ، كما تبدو للوهلة الاولى هذه الحركـة ، مرادهـا التغيير والتبديل ، وسحاب ، هذه التي يصمونها بالاباحية ، تجيب في ماساة توحدها واغترابها الروحي الكالح :

« الدين موضة قديمة ، ان مجتمعنا في منتهى الحاجة للتغيير ، وان الدين لا يهيؤه » « ان الراي العام عندنا يؤمن ايمانا قطيعيا ، بقيم ومعايير ، وجدت لمجتمع سابق ، ولا يعرف لماذا يؤمن بهـا ، ولذلك ، عندما تهاجم ايمانه ، يشعر بانك تهاجمه شخصيا » .

وعندما ترفض سحاب في اوج تمردها ــ وبالقوة والثورة نفسيهمـا اللتين رمت بهما وليدتها على الرصيف ــ الله ، ينبري بشر ليدافـع عن الدمدمة التي سرت بين الجميع ، ليصم مائز ، وقطيع العـاديين القدريين ، من محرضي الايمان القطيعي المعلق .

« لا تفترض حلا ميتافيزيائيا ، هذه مشكلة ، لا تعرف حلها ، ليس من الضروري ان تعرف سر خلق الانسان » .

ويتمزق .. فيسم .. ويعرى .. ويتحدى .. ويعرض التراجيديا الحـادة هكذا !

« الضروري ان تعرفه هو : ان هناك زوجات تجلط رقابهن وامهات يشلهن الروماتيزم ، ثلاث سنوات ، وشبابا يبصقون دما في السـابعة عشرة ، ورجال دين لا يمكنهم الزواج ، انهم عقيمون ما عادوا يصلحون للحياة ، المهم ان تعرف ان في العالم احرارا يحاكمون ، وشعوبا تقل وفي الجزائر ابطالا لا زالوا يموتون باسم الحرية ، اليس من حقارة القرن العشرين ، ان يوجد فيه حتى الان بعض من يموتون من اجـل الحريـة ؟!! »

من يحمل بين جنبيه هذا القلق المصيري ، يحمل صليبه ابدا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويشيع جنازة فشله ، والحياة لديه عطاء ممزق ، وهو مهزوم مسبقا، كما حدس « هلال » : « انت عاطفي وستنهزم » .

الاخرون يهتكونه ، لانــه يحب سحاب ، وهو يهتــك المجتمع ، « ساتزوجها » انها في عرفه لحن التحدي ، وهو يهوى التحدي حتى الفشل ، هذه قيمه ومعاييره ، ان بلادا يعبد شعبها البكارة ، لا تفهم سمفونية الحب الحقيقي .

يكتب لسحاب: « نحن جيل جديد ، وعلينا ان نبني اخلاقنا بنفسنا، كوني لي بكل وجودك وعواطفك زوجة وصديقة وملهمة ، وبعد ذلك ستسقط كل الاحتمالات وكل العقبات » .

يصفع خرافة المرأة المستعبدة ، انها زوجة وصديقة وملهمة ، انهـا اكثر من طباخة وغسالة وكناسة ، وسرير متعة ... ومخزن اطفال وان البكارة لا تساوي نحاسة ، كما قرر صالح ...

وثريا تهوى الانطلاق نحو حياة حقيقية ، هربا من سجن البيت ، واغتصاب اصلعها الحلاق ، وبشر هو مثلها الاعلى ، هو حقيقتهـــا تسعى وراءه الى غرفته بعد سفر هلال وملك ، انها تحبو الى قدرها الفحل ، في استسلام عاطفي ، تسميه ارتخاء وتخاذلا طبيعيا ، وعندما يسألها بشر « ثريا ، الا تؤمنين بالفضيلة » تخرج نفسا قصيرا ساخرا، فتهمهم « اذا كان ايماني قد تزعزع ، فكيف بالفضيلة » .

« في دمشق ، كل شيء قد مات ، عندما يتمامل الجسد ، تنهزم الاخلاق ، انا لا اقبل ان اتقيد ، فاتعذب مقابل لا شيء ، ان الاخلاق لا تلبي حاجاتي ، فلست اعتقد ان جهنم اشد عذابا من الحياة » .

هذه المحكوم عليها بالعذاب ، لو اختارت بنفسها شريك حياتها ، وقررت مصيرها بنفسها ، هل كانت تزحف مستسلمة الى غرفة بشر ؟ فاي تمزق شنيع ، هذا الذي تعانيه ، هذه الانسانية ..؟؟ اتلام اذ تخون زوجها ، وهي تمارس الخيانة الحقيقية معه مرغمة منذ ثلاثة اشهر ؟

ورغم ما يحاوله بشر مع سحاب ، فهو فاشل في ان يكون كمــا يريد ، اهلها لا يسمحون ان يمشي معها انسان في شارع ، انه تبرير كاذب ، فالتي ترفض الله وتدوس على الزواج وتطرح وليدتها علــى رصيف ، من ارصفة دمشق ، لا يهمها رأي اهلها ، ولكنهــا جريحة وجرحها ما زال ينزف ، حاقدة على كل شيء ، تكره العالم ، وبشر مهما سما ، لا يستطيع حمل عذابها ، رغــم عظمة قلبــه وعاطفته الجموحة ، يدعوها لحفلة تنكرية ، فتجيب في كذب ، يشير القهقهة « ساذهب مع بابا ... »

ويتمزق بشر في ردهـــا اللامقبول ، فيمزق البطاقة وكانه يفتت ذاته : « سحبت البطاقة من جيبتي ، فمزقتها، وسرت صامتا » وسالته سحاب « لماذا مزقتها » ..؟؟ ويجيب « لم يحن بعد الوقت الذي احضر فيه هذه الحفلات » وكانه يعلن اننا مولودون قبل الزمـــان الحقيقي لوجودنا ، وهذه هي ازمة الممزقين ، في ارض يسمها الزيف والخوف واللاحقيقية .

ومع هذا تشرح سحاب في خوف ، وتأثر ، وصراحة ، ازمتهاالحادة « ان علاقتنا غير طبيعية ، يجب ان نبقى اصدقاء ، ان الناس مليئون باستعداد ضخم ليتقيأوا مبادىء التحرر الفكري والاجتماعي ، بسرعة مذهلة ، وهم ينهشون ببراعة سمعتي ، فيتهمونني ويقضون علي ، ان اكثرهم تحررا ، ينتكس امام اول تجربة تحرر يمر بها، وانا لا استطيع ان اعيش كما يعيشون » .

ترفض جدران « الحرملك » ، الحياة فيها اعظم من اربعة جدران، والواجب الزوجي لا يفرض من خارج ، انه ينبع من صميمية الحب، انها لا تقبل ببشر مصليا صائما ، ذاكرا الله ، في كثير او قليل ، ومع ان بشر ليس من هذه النماذج ، اذ يجيبها « انني اشرب كل حرف تفوهت به ، واعبده ، سوف نبقى كما تريدين ، ولن اطالبك حتى بمشوار » .

ويهرع يبشر دريد ، « سوف ترى في المستقبل ، اية زوجةساتزوج، اية روعة ، وآية الوهية ، فتاة يتمجد في فمها البعث ، وتمحى من وجودها العقد وعفونات التاريخ » .

تتبدى الازمة ، وكانها حلت ، او في طريقها للحل ، ولكن الانهيار والفشل يرعى صميم هذه العلاقة ، وهي ليست اكثر من غيمة صيف خادعة ، يتعلل بها هذا العاطفي المهووس، المرصودة مغارته ، بالنحس والفقدان ، لانه سابق لوجوده ، لم يولد زمانه الحقيقي بعد ...

• • • • •

اللاذقية لؤلؤة مرمية على شاطىء بحر في اهمال ، تغفو بين جنباتها ذكريات بشر الطفولية ، والم فشله في حب منيرة ، التي لم تتزوجه ، لانه رفض ان يكون ضابطا ، « لان نظامه فوق مستوى فوضى الروح» هكذا صارحها بشر بعد ان خرج من حانوت اخيه ابراهيم ، هذاالعتيق الذي يردد آيات القرآن منذ ثلاثين عاما ، والذي طرده في جفاء وبلادة « لا تعد ثانية الى الحانوت » ويردد بشر سمفونية العذاب « الحيـاة مع اخوتي لا تطاق » لقد سمعوا انه خطب سحاب ، هذه التي يسمونها بتعبير فيه الكثير من التجني ، (عاهرة ...) اصحيح ان سحاب عاهرة ؟ الانها مطلقة ؟ اليس افضل من بقائها تزني مع زوجها في قرف لا نهائي قاتل ؟.

ويغادر المدينة التي تنضح التقزز والغبـاء الى القرية ، موطنه البريء ، حيث البيوت لم تتغير ، والناس معزولون في قواقع ابدية « الاهالي والوحل وهواء القرية النقي ، ما زالوا يسبحون اللـــه ويحلمون بجزر الواق الواق ، « وكامل رشيد » ما زال يعرج ويتنبأ للناس بمصائرهم » هذه الملامح الراضية ، لا تعرف كيف تثور ، وعيها متحجر منذ آلاف السنين .

ويلتقي بامه ، مطروحة على السرير ، شبح الموت يتبدى في جسدها المنهد ، تحت ضغط المرض ، فتثار سخرية بشر اكثر من المه ، ان العبث الاكبر ينتصب في تحد وجبرية مهينة ، تذل الانسان ، وترميــه كالحيوان في حفرة موحشة كئيبة .

« انه ليس معقولا ان تموت امي ، كما انه ليس معقولا ان تعيش ، ومع ذلك ، فلا المرض يقبل بالرحيل ، ولا انــا اقبل بان تموت ، رفضان لا يمكن الاستفسار عن سببهما مطلقا ، انهما موجودان بصورة قدرية ، وتلك هي المشكلة ، بعد قليل سيتحول انسان حي ميتا ، وهذا الانسان امي ليس غير » .

هذا القلق وهذا التمزق ، يتركان في الارض الف تساؤل : « لماذا نحزن ..؟؟ لماذا نمرض .. ؟؟ واخيرا لماذا نحيا اذا كنا سنموت ..؟؟ اصحيح ان جميع هذا حكمة الهية ..؟؟ اي عبث هذا التلاعب بحياتنا على هذا النحو المقرف ..؟؟ ما معنى ان نثابر صراعنا في الوجود ، نحمل فناءنا في كل خطرة ..؟؟ مـــا هدف الاستمرار الى ما وراء العدم ..؟؟ اية ماساة راعفة تلف هذا العالم المحكوم عليه بالرعب..؟؟

« عند الفجر ماتت امي بكل حتمية ، فما اضيع الشقـاء الذي تكبدته طيلة اكثر من نصف قرن .»

هكذا تبدأ الهزيمة الكبرى للانسانية في بشر، يغلفها الكفن في لحظة الموت عندما يعبث بحتميته اللامقبولة .

• • • • •

ويعود بشر من اللاذقية بعد ان اصبحت الحياة لا تطاق هنـــاك ، وبعد ان ماتت امه ببساطة ، بلا مبرر ، فيلتقي بسحاب ، تحدثه عن بور سعيد والقاهرة والنيل والقناطر الخيرية ، وتشيد له بكرم قبطان الباخرة ورجولته ، ويسمع اللغط بين طلاب الجامعة عن انحلالية سحاب وعهرها مع القبطان ، وعازف الكمان ، في الزورق النيلي ، فلا يزداد الا تصميما ، ويحاول اقناع نفسه بطريقة منطقية .

« اذا كنت اقبل بسحاب ، بعد ان عاشت مع رجل من الكويت سنتين ، فكيف ارفضها اذا عاش معها قبطان يوما او اثنين ، العملية نفسها ، غير ان الاولى تمت بورقة ، اما الثانية فبالارادة » .

ويرتدي الجدل مع فائز طابعا ثوريا صريحا ، يشعره بضـآلته وعاديته، رغم انه طالب جامعة ، انهما على طرفي نقيض، ان عالما كثيفا وصفيقا من رسوبات الاجيال العقيمة ما زال يفصل بينهما ، ويغادر

الجامعة وهزائمه تدوم في رأسه كالخذروف ، وتدخل ثريا فيخبرها بموت امه بطريقة عابثة ، ويجتاحه احساس سديمي معدوم التوضح، كان ظهرها « قوس شهوة » وهي تهيء الشاي ، واحس لاول مرة بالقبلة توهن قواه ، وتقلص احساسه بالعالم ، واستغرقهما السرير.

يضاجع ثريا تماما ، كما فعل « مرسو » غريب كامو مع « ماري » ضاربة الآلة الكاتبة ، الموقف العبثي ذاته ان يكون الاتصال الجنسي هو الحد العبثي الوسط بين الحياة والموت، كما يعبر ت. س. اليوت: « الحياة فالاتصال الجنسي فالموت » .

هذه هي نغمة الحياة الناشزة ، التصادم المستمر بالصخور البشرية والعبث اللانهائي ، ويتيح له موقفه هذا المقارنة بموقف سحاب ، « امس كان فائز يتهم سحاب بخرق ما يدعوه بالحرمات ، وامس خرقتها بنفسي » .

ويسخر من قيام فائز وقوانينه ، هذه التي تتيح للرجل كل شيء ، وتحرمه على المرأة ، انه لا يحب سحاب لتخلص له ، او لا تخلص لتكون ورعة او داعرة ، هذا يأتي كمحصلة بعد ذلك ، يحبها لانها متمردة تعيش صدق الحياة اللامزيف ، وهي احدى نماذج هدم القيم المنخورة ، انها وهو ، وكل جيل التمزق والعبث يبشرون بنبي جديد، وولادة حقيقية . انهم باعصابهم بكرامتهم، يشقون الدرب ، ولكل ثورة وانقلاب ضحايا ، فلماذا لا يدفع هو الثمن بزواجه من مطلقة اباحية ، يلعنها المجتمع والدين والله ... هذه الفكرة لا يقبلها الكثيرون ، ويسمونها فجوراً وفوضى وانحرافا ...

. . . . .

راديو احد البقالين يهدر : في الخضراء ثورة ... والعالم ينصت للحدث ، بشر ودريد وصالح يرقصون في طريقهم الى الجامعة ، اخيرا تحرك الرجل الصامت ، لكز صالح بشر « اكتب ان طلاب الجامعة كلهم يطلبون التطوع ... ابا البشر ... اكتب عنوانا كبيرا ، وطلاب الجامعة من الجمهورية العربية وغير الجمهورية ، اكتب لعينيك ... عاش صاحبنا » .

ويصيح دريد في غرفة بشر « انفخ في الشبابة لحنا فوق مستوى البشر .. اليوم مناسبة خاصة ، وانا احب أن اسكر بلا نبيذ ولا بيره » .

ويجيب بشر في وعي سابق ، بلهجة انهزامية منفعلة « دريد، الثورة لم تنجح ، دعك من المناسبة ، فهي ستضيف لنا انهزاما جديداً » .

ويحاولون الذهاب الى حيث يموت الانسان العربي .. كالنعاج والكلاب .. ليموتوا هكذا يدينون بموتهم ، التاريخ ، ومتفرجي العالم، وجزاري السلام . لكنهم يفشلون في مشروعهم ، وتصاب الثورة بنكسة ، كما حدس بشر ، اضافت بها هزيمة وفشلا جديدين ، لبلادنا الممزقة .

. . . . .

عندما كان الترام ينحدر في قلب دمشق ، وبشر يودع من نوافذه الناس والاشياء ، بطريقة صامتة ، وكأنه يرى هذه العالم لاول واخر مرة ، كان في طريقه لتتويج هزائمه بالانتحار العقلي ، كما فعل « ت. ي. لورانس » بانتسابه الى الكلية العسكرية .

حدث هذا بعد ان فشل نهائيا في ان يكون كما اراد لنفسه : ماتت امه بلا مبرر ، ولفتها حفرة جامدة ، واكتشف سادية سحاب ، بعد زواجها من مدير السكك الحديدية ، وارسل صالح الى « الفحقة » الباستيل الجديد بعد عذاب وحشي من الطغاة ، واكتشف حب واحة وهي تموت ، وهو لا يستطيع تقديم دمه لانه مسلم وهي مسيحية ، تموت بعد ان تتفتت وتوصي بدفنها في التلة الشرقية في قرية بشر..

هذه هي الرواية ، المأساة ، في عبث ابطالها وتمزقهم ، في فشلهم وهزائمهم المتلاحقة ، في اندفاعاتهم المجنونة ، ولا مبالاتهم ورفضهم لما هو كائن ، مزيف لا حقيقي ، في سبيل ما هو اصيل وصميمي ، يظلون ابدأ في توحدهم واغترابهم ، في عذابهم الابدي شبقا روحيا عقلانيا واعيا لقيام حضارة جديدة ، على رمم واشلاء قيم وحضارة تحتضر ...

وتظل « المهزومون » سبقا جريئا مركوزا في مطلع الدرب ، تتحدى المباقرة ...

تحيتي « لهاني الراهب » في انتاجه الاول ، وشكرا « للآداب » في تقديسها للفكر وتسليم الناشئة بداية الطريق المتعبة .

طرطوس — **حيدر حيدر**

★

— ٢ —

« المهزومون » ومشكلة التكنيك

بقلم جورج طرابيشي

★

قد ابدو لمن سيقرأ هذا المقال قاسيا ، وانني لم آخذ بعين الاعتبار ان مؤلف هذه الرواية ، هاني الراهب ، شاب في الثانية والعشرين ، وانها اول رواية له ، وانها قد فازت من بين اربع عشرة رواية بجائزة « الآداب » الاولى . وبالفعل ، فانني لم آخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار ، لسبب بسيط هو انه ليس هناك كاتب ناشيء او كاتب صغير السن ، بل هناك كاتب . كاتب يقترح على القراء عملا ما . و لايحق لاي ناقد ان ياخذ بعين الاعتبار الا هذا العمل بالذات، بغض النظر عن شخصية مؤلفه(١) .

ما هي « المهزومون » ؟ انها تحاول ، كما هو واضح من العنوان، ان تكون قصة جيل . جيلنا الشاب ، المثقف الجامعي ، الذي يريد ان يعتبر المجتمع صفرا حتى يستطيع ان يعيش حياته بكل عمقها ، دون ان تحده التقاليد البالية التي هي ، في مجتمعنا ، من مخلفات القرون الوسطى .

هذا الصراع بين جيلنا الشاب والتقاليد ، حاول هاني الراهب ان يعبر عنه بقصة الحب التي ربطت الطالب الجامعي « بشر » بالطالبة « سحاب » وهي فتاة مطلقة تلوك سمعتها الألسنة . ان « بشر » يعلن تحديه للتقاليد عاليا عندما يعلن رغبته في الزواج من «سحاب» بغض النظر عن ماضيها وعن تحررها الجنسي وعن استعدادها للنوم مع اي رجل يرضيها ويعجبها . ذلك ان « بشر » يعتبر « سحاب » اخلاقية في تصرفها هذا لانها تقدم عليه بارادتها لا اكراها . وهو عندما سيتزوجها ، لن يحاول مطلقا ان يرغمها على ان تكون مخلصة له باسم الاخلاق ومبادىء الزواج ، بل عن طريق حبها له . فهي اذا احبته كان من الطبيعي الا تنام مع غيره . وما دامت هي لن تحبه بعد ، فهو لن يدينها ابدا على تحررها الجنسي ولن يكف عن حبها ، مهما قال الناس والطلاب .

هذه هي الفكرة الرئيسية التي تدور حولها « المهزومون » ولكننا نظلم هاني الراهب اذا قلنا انه لا يقدم غير هذه الفكرة بل ، على العكس ، ان في روايته اشياء كثيرة وقصصا عديدة . ولكن المهم ان نعلم ما مدى ارتباط هذه الاشياء بالفكرة الرئيسية ومساهمتها العضوية في بناء الرواية ؟

ثمة ملاحظتان عامتان قبل الاقدام على تحليل الرواية . فهي اولا رواية هادفة توجيهية تقوم على اساس فكرة معينة يريد ان يعالجها الكاتب ، أي هي من النوع الذي يسمى بالفرنسية Roman à thèse ، لذلك فهي تشكو من العلة الخطيرة التي تشكو منها كل رواية à thèse ، أقصد الذهنية التجريدية .

وهي ثانيا مكتوبة بضمير الانا ، ولكن كاتبها وقع في اخطر ما يمكن ان تقع فيه الرواية المكتوبة بضمير الانا ، اقصد عدم التمييز بين التجربة الشخصية وبين التجربة الفنية . لذلك نجد في « المهزومون » اشياء كثيرة قد تكون صادقة حياتيا ، ولكنها « غير صادقة » فنيا ، كما نجد اشياء كثيرة قد تكون هامة للغاية في حياة الكاتب ، باعتباره بطل

(١) اعتقد ان الاخ هاني نفسه لا يريدني ان آخذ بتلك الاعتبارات.

الرواية ، ولكنها لا تسهم مساهمة عضوية في بناء الرواية ، لذلك نشعر بانها غير مبررة فنيا وفاقدة الدلالة بالنسبة لمجموع الرواية .

اما المثال على الذهنية ، فنستطيع ان نجده في شخصيةسحاب، التي هي البطلة الثانية في الرواية . انها شخصية شاحبة الى حد مريع . اننا لا نعلم شيئا عنها من حياتها هي وتصرفاتها هي . كل ما نعلمه عنها ياتينا من خلال اذهان الابطال الاخرين ، او من خلال المناقشات الفكرية الباردة ، او من خلال الالسنة التي تريد ان تنال من سمعتها . وبتعبير اخر ان شخصية سحاب لا تتكشف لنا من خلال الحدث ، بل من خلال الحوار ، والحوار الفكري الصرف . اننا نعرف افكارها مثلا من خلال المناقشة التي جرت بين طلاب الجامعة في قاعة الموسيقى حول الخجل في علاقات الجامعيين (ص ١٤٩ – ١٥٣) . او لنستمع اليها تشرح لبشر سبب تصرفاتها (ص ٢٩٠) :

– انني سكرانه دائما ... سكرانة لاني اشعر دائما ان كل ما جاء به البشر حتى الان ، ليس الا تفاهة مغرقة في الضحالة . لقد قضى المفكرون اجيال الزمن الغابر وهم يحاولون ان يقيدوا البشر بلعنات سموها اخلاقا . ولكن احدا منهم لم يحاول ان يفهم ان البشر دوافع ، وكتل عاطفية تقيدت جسدا ، ولا ترغب في ان تتقيد روحا ، لا تريد هذه السجون الحمقاء ان تكبلها ... ما الذي تفيده الاخلاق اذا كانت وظيفتها الحد دائما ؟! لقد وجد الانسان على الارض ، ووجدت معه نزعاته وطبائعه ... ولكن الله منذ بدء الخليقة يشترك مع الفلاسفة في ايجاد كل ممكن ليكبتوا به هذه النزعات وهذه الطبائع .. هاه .. عفوا .. انهم لا ياتون بحلول .. ونحن نريد ان نودع هذه العاطفة قلب الكون ، ونعتنق من تقويمنا .. انظر الينا ايها الله ، اننا نموت جوعا .. انت محب ولست قاضيا . ان حياتي مضيعة بين اشراق الزمن الرهق والمسافات المتقعرة . وهذه الايام التي تمضي ، فيزداد تثاقلها بالالم والتعب واللايطاق ، اراها تجرجر اثقالها على حسابي .. اني اعيشها باعصابي ودمع عاطفتي ، وشجن افكاري ، والبقية من طاقتي ...

انا اعلم ان مثل هذه الخطبة الطويلة لا تكفي وحدها دليلا على ذهنية الرواية ، لان ليس ثمة مبدأ فني يحرم على الكاتب اللجوء الى مثل هذه الخطب (روايات دوستويفسكي وتولستوي اول شاهد على ذلك) . ولكن الشخصية الروائية تقع في الذهنية والتجريد عندما لا يكون لدى الكاتب من وسائل يقدمها بها الينا غير هذه الخطب .

وليت هذه الذهنية اقتصرت على الشخصيات ، ولكنها امتدت ايضا، مع الاسف ، الى المواقف . فبشر مثلا يصاب بالقيء عندما حضر حفلة من حفلات المولد . لقد حاولت عبثا ان افهم كيف يمكن للانسان ان يتقيأ لمجرد انه قد اراد ان يدين هذا النوع من الحفلات الذي هو من مخلفات القرون الوسطى ، فلم يجد سوى القيء يعبر به عن ثورته واستنكاره . (وبالمناسبة استطيع ان اؤكد ان حوادث القيء في القصص التي يكتبها ادباؤنا الشباب قد تضاعفت بشكل عجيب منذ ان عرفنا ان لسارتر رواية بعنوان « الغثيان » ومنذ ان تكلم كولن ولسون بشكل مفصل عن هذا الاحساس الذي يتملك الانسان عندما يشعر بزيف وجوده او وجود الاخرين) .

وذهنية الموقف هذه تتجلى مرة ثانية عندما يرفض بشر جسد ثريا على الرغم من انها عرضته عليه . وهو لم يلمسه على الرغم من انها قضت ساعات طويلة في غرفته ، بمفردها . فكيف يستطيع الكاتب ان يبرر مثل هذا الرفض وكل ازمة بشر ، كما يتضح من الرواية هي ازمة جنسية وان تقنعت احيانا بقناع الحب الرومانتيكي ؟

ولكن لا بد هنا ان اسجل لهاني الراهب انه ان كان لم يستطع ان يبرر استنكاف بشر عن امتلاك جسد ثريا ، فهو قد عرف فيما بعد كيف يبرز امتلاكه له . فالمرة الاولى التي ينام فيها بشر مع ثريا ، كانت عندما عاد من قريته ، مسقط راسه ، حيث ماتت امه . فكان هذا الموت جاء ليذكر بان الحياة تمضي ، وان الفرصة التي تضيع لا تعود ابدا .

ولكن الذهنية تعود من جديد للظهور في علاقته مع ثريا عندما تاتي لتخبره انها حامل منه . وكاني بهاني الراهب قد اوقع هنا نفسه في مازق لم يعرف كيف يخرج منه . فمن المعلوم ان الرجل ، عندما تكون علاقته بالمراة جنسية محضة ، يحذر كل الحذر ان تنجب هذه المراة منه ابنا . واذا كانت هذه هي الحال بالنسبة لرجل عادي ، فكيف الامر بالنسبة لطالب جامعي لم يتجاوز العشرين ، ويحب امراة اخرى ؟

ولكن لنفرض ان هذا الحبل قد تم صدفة وبغير ارادة من بشر ، فكيف يكون الشعور الذي تملك بشر عندما اخبرته ثريا بحملها «شعورا غريبا بالفرح ، وشعورا فظا بالثورة » (ص ٢٧٢) ؟ في حين ان الشعور الوحيد الذي كان يجب ان يتملكه هو شعور بالخوف ، الخوف من نتائج هذه العلاقة الجنسية التي لا تقوم على الحب ، والتي قد توقعه ، بسبب الطفل ، في مازق حرج ليس اقل ما فيه ان تعلم سحاب بخيانته والا يستطيع الزواج منها .

ان كل شيء هنا يؤكد ان هاني الراهب عندما « اختلق » حادثة الحبل هذه ، لم يعرف كيف يسير فيها حتى النهاية . فالحل الذي اوجده لها حل ذهني محض . ان بشر لا ينظر الى هذا الحبل الا من زاوية واحدة هي ان ابنه من ثريا لن ينسب اليه بل الى زوجها . وهذا ما يحنقه في المشكلة (؟) ولهذا يطالبها بالاجهاض . ولو كان البطل اكثر صدقا ، ولو قال لنا انه اتخذ من هذا السبب (ان يكون ابنه باسم رجل غيره) حجة لكي يقنع ثريا بالاجهاض ، لاقتنعنا معه . فلو كان حريصا حقا على ابنه ، لطلب من ثريا ان تطلق زوجها لتصبح زوجته . ولكنه لم يفعل ذلك ، لانه في الحقيقة يريد ان يتخلص من الورطة التي اوقعته ثريا فيها . ولكن لم المثالية في مثل هذه الحال ، وادعاء الحرص على انه لا يريد لابنه ان يكون باسم غيره : « نظرت الى بطنها بريبة كنت احس بضهورتها . احقا تستقر هنا نواة سوف تصنع في المستقبل ولدا ؟.. هذا يعني انني صرت ابا بالضرورة ، وغدا عندما يولد صبي صغير ، كيف يمكن ان اتوارى من حياته ، واتركه ينادي هذا الاصلع البشع (زوج ثريا) « بابا » ؟ ان هذا ليس معقولا !.. » . (ص ٢٧٣) .

ان هذه المثالية ، غير الصادقة ، ليست الا نتيجة حتمية لذهنية الحادثة وعدم واقعيتها . (وبالمناسبة ، اننا نلاحظ ان بطل الرواية انسان مثالي الى حد كبير . ولا اقصد بالمثالية هنا الطوبائية ، بل الرغبة اللاشعورية في الظهور بمظهر الانسان الاخلاقي ، الذي لا تعيبه شائنة . ولعل هذا راجع الى ان الرواية ذاتية ، بطلها هو الكاتب نفسه . وهذا يفسر لماذا زيف بشر المشكلة ، وثار على ثريا واتهمها بانها تريد ان تنسب ابنه الى غيره ، مع انه كان من المفروض ، فيما

– التتمة على الصفحة ٧٨ –

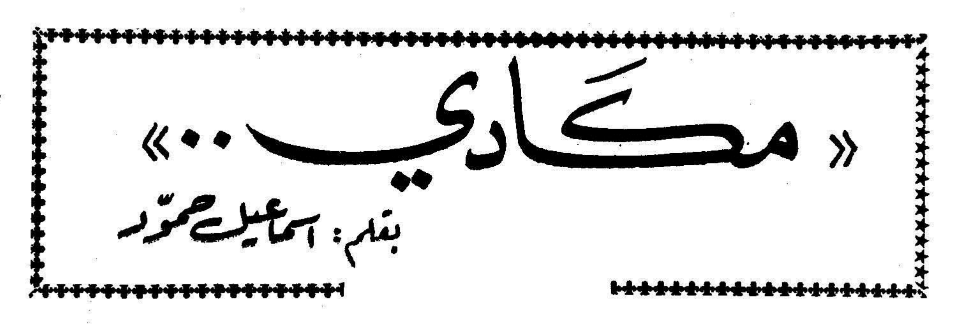
كتابان خطيران

عارنا في الجزائر — لجان بول سارتر

الجلادون — لهنري اليغ

ترجمة عايدة وسهيل ادريس

دار الاداب



ولادة الشاعر حدث فريد ، وكذلك موته . فهو لا يوجد كبقية الناس ولا يموت موتهم . ان ولادة الشاعر تعني ولادة دنيا جديدة . وخلق عالم خاص يصوغه لنا من وراء روحه ، ويزخرفه بجودة صنعته ..

اننا نحن ، بقية الناس نولد مزودين بامكانيات خلق وابداع ، وكثيرا ما نحس بذلك فينا . لكننا ما نكاد ندخل الحياة حتى نقبل هذا العالم الجديد ـ عالم الاخرين ـ كما هو . فنقوم بعملية تعاقد ، ونتنازل عن الكثير من ذواتنا حتى يتيسر لنا العيش مع الاخرين وتحقيق بعض متطلباتنا الحياتية والمعاشية التي تلح علينا وتلقي علينا الواجبات بصيغ حتمية قسرية فنضطر لنوع من الاستسلام رخيص بسبب ضعف مقاومتنا او ضيق خيالنا او شدة الاسر في اطماعنا واهوائنا .

وهكذا نبدأ بالابتعاد شيئا فشيئا عن امكانيات الخلق التي تكلمنا عنها ، ونتنازل عن حقيقتنا الداخلية .

ومن ثم تتحكم فينا وتسيرنا عادات عقلية واطر فكرية مقتبسة وسائدة . فنتخلى عن الاصالة الفكرية الذاتية ، وتخمد فينا جذوة المشاعر والاحاسيس الداخلية . نتهافت الى هذه الدرجة حيث تغدو نماذج متشابهة مصاغة من ـ عالم الاخرين ـ لا من عوالمنا الداخلية .

تغدو الحياة بالنسبة لنا امرا جاهزا خالية من الاثارة لانها تأطرت وتقومت بقيم جاهزة ميتة الجذور .. وتغدو بالتالي نظرتنا للحياة امرا منجزا سلفا . اننا في هذه الحالة نكون قد فقدنا علاقتنا الصحيحة بالحياة اي فقدنا حقيقتنا . فنمضي العمر على هامش الحياة وعلى هامش الحقيقة الانسانية . اذن نولد ونموت في بدء ونهاية زمنيين فقط ، مؤرخين تأريخا ، ونحن مجردون من المعاناة للحقيقة الحية .

هكذا تأتي وتروح افواج البشرية مخلفة وراءها التكرار الممل ، والفراغ ، والغفلة . افلا يتسنى لنا ان نستيقظ من هذه الغفلة ؟ الا نقدر على تمزيق هذا النوع من القبول المطمئن السطحي للحياة اخلاصا منا لذواتنا ، ولحقائقنا الانسانية الكامنة في داخلنا ؟

مرة واحدة ، في لحظة ما ، الا تقدر على المجازفة ؟ على التضحية بما هو جاهز ومعطى ومفروض ؟ الا نقدر على السماح لانفسنا بان ننظر الى الحياة وان نتأملها باعيننا ؟ هنا تكمن الحياة الحقيقية التي لا يشرفنا امر كمثل النظر اليها واكتشافها . وهنا يغدو الانسان جديرا بالحياة حينما يسلط عليها وعيه فتصبح بالتالي حياته ، حياة الانسان ، محملة بقيمة غنية بمشعره واحسيسه ، واضحه بفهمه وادراكه . واعتقد انها هي الحياة الجديرة بالخلود .

هكذا يولد الانسان الفذ ، مرة واحدة في لحظة ما . وهذه هي الولادة الصحيحة للانسان سواء اكان مفكرا ام اديبا ام فنانا .

وتجاوزا لما لهذه النماذج الانسانية من فروق جديرة بالبحث في هذا المقال ـ مع ان المجال يوحي بالسماح بذلك ـ تجاوزا لكل ذلك نصل الى نموذج الشاعر من خلال عبد الباسط الصوفي .

لا يهمنا كثيرا ان نعرف عن عبد الباسط انه ولد ونشأ في حمص واكمل تحصيله العالي في جامعة دمشق ـ الاداب ـ ونال الوظيفة . يهمنا كيف ولد وماذا رأى وعلى اي وجه . كيف مات بل هل مات حقا عبد الباسط الشاعر .

تهمنا يقظته ، يقظة الانسان في داخل كيانه .

من المفروض بالشاعر انك تستطيع دراسته بمعنى ان تتعرف اليه ، والى حياته ، والى معرفته بالحياة وكيفية فهمه لها من خلال آثاره . وما « مكادي » الا احدى قصائد ديوانه الوحيد « ابيات ريفية » الصادر عن دار الاداب . والتي احتلت في نظري مكانة خاصة لما فيها من ترجمة صادقة واصيلة عن روحه الشعرية من ناحية . وعما يتلامح فيها من ترابط بين مغزى الحياة الذي ادركه الشاعر وبين نهايته المفجعة . فهو الذي مات في غربة عن وطنه واهله وبلده ، وهو الذي رأى الحياة ضياعا مستمرا ، والانسان فيها سيزيف يحاول دائما القبض عليها ولا يتمكن . وهو الذي قال في قصيدته « اضاع على الموج ايامه ، فكان رحيلا بغير اياب ».

شغل هذا البيت معظم العارفين لعبد الباسط واكثروا من ربط هذا البيت من قصيدته بنهايته وبموته . فكان لمكادي صدى يحمل طابع المأساة .

جلست معه قبيل سفره الى غينيا في مقهى الهافانا بدمشق فقال لي « يجب علي ان اظل اجهد ببناء نفسي حتى يستحق هذا الذي انظمه ان يسمى شعرا ، اننا بحاجة الى جهد مستمر حتى نصبح شعراء » . واضاف مؤكدا انه لا يبغي من ذهابه لافريقيا الا ان يعيش تجارب جديدة يتوقع فيها الغنى الشعري لا الغنى المادي.

واخيرا مات في افريقيا فماذا تركت له افريقيا . او ـ اخلاصا لتأكيده الاخير ـ ماذا ترك لافريقيا ؟!

يقولون هام بافريقيا عاشق في ضمير البحار وغاب .
يغلغل في الافق اسود كالقار عريان يلطم صدر العباب
يطير مع الوهم تركض عيناه ينصل من سدفي الاهاب .
اضاع على الموج ايامه فكان رحيلا بغير اياب .

تجربة ضياع افريقية الملامح . البحار والقار الاسود والعري وافريقيا . وروح تجلى غناها وبعد مراميها بصور الهيام بقارة (افريقية) او الطيران مع الوهم وركض العيون . انها روح الشاعر التي لا تحد والتي اغتذت هذه التجربة الجديدة ومع ذلك فالنتيجة سلفا : ضياع على الموج ولا اياب .

هكذا اذن الحياة ؟ . اذا كنا نبدأ بهذه القوة الضخمة ونحمل هذا التحفز المجنح ، فهل ننتهي هكذا على ذلك الموج ؟. ان عنفوان الموج وصخبه في عرض البحار سرعان ما يتلاشيان على صخور الشواطىء . ويضيعان بسهولة يائسة بين حبات رمل صغيرة اذا كان ذلك هو البدء فهل تكون النهاية هكذا ؟. هل نستسلم اذن ؟ وماذا يمكن للانسان ان يفعله ما بين البدء والنهاية ؟ يرى عبد الباسط ان يفني هذه الصورة ثانية . وبشكل اخر .

مكادي : انا والشراع الصديق وقيثارتي غربة وارتحال
شددنا الى البحر والبحر في الزرقة الابدية قبر الرجال
تميل بنا نزوات الرياح بانوائها الصافرات الصخاب
شددنا : عيونا وخفق شراع صديق وقيثارة من عذاب

لفظة مكادي توحي باستراحة يستجمع بها الشاعر انفاسه من عذابه المستمر بين البدء والنهاية دائما . يخاطب ويشكو . يقاوم . يتلاشى . فما تكاد تبدأ رحلة الحياة آمنة متهادية مع شراع صديق في لهجة هادئة ترافقه قيثارته يعزف الحانه الجميلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي لحظة يلفي نفسه أمام الابدية المتجلية بزرقة البحر وعمقهـا وما تحفظه من اسرار عمن اضاعتهم . وفجاة تعاركه الرياح الصافرة الصاخبة فيدرك ان هذا هو القدر الذي - يميل - بنا .

اذن هذا هو « التخطيط » العام للحياة .

١ - الحياة لا تتحدد ببدء زمني ولا بنهاية تاريخية . حياة كهذه لاقيمة لها كما قلنا . ان اعيش كذا من السنين امر لا يحمل اية قيمة . انه مجرد امتداد زمني يقبل القياس بوحدات قياسية تقبل التكرار فهي متماثلة متشابهة .

٢ - اما الحياة الحقيقية فهي تلك الحياة التي تكون مجالا لتحقيق الروح ، مجالا ليمارس الانسان نشاط روحه في محاولات مختلفة لوعي العالم . للانخراط في امتداد الحياة محاولين وعيها « والقاء القبض » على اللحظات العابرة .

٣ - ولا يهم كثيرا ان تكون الحياة مجدية ، قابلة لان تعاش ، مدعاة للتفاؤل ام لا . ليس المهم ان استفيد ، او ان اسعد ، او ان اغتني في هذه الحياة . بقدر ما يهمني « امتلاكها » عن طريق الوعي . ففي الوعي يتحقق الظفر الوحيد عليها حتى ولو كانت الحياة لا جدوى منها . المهم ان اعي لاجدواها . او ضياعها .

لقد تجلت الحياة لعبد الباسط ضياعا عميق الاغوار لكن لا يرى هذا الضياع الا من يتسنى له التحديق في المصير او المجهول «في الزرقة الابدية » ولا اقدر من الشاعر على ذلك . حينذاك يبدو الشاعر في - غربة - وارتحال - وغياب . وبالمقابل قدر يشده دائما ، وتميد به الريح العاتية . العذاب والصخب . وهو مشدود بقيده الابدي . ببقائه على الارض .

وانتقل عبد الباسط مع هذه الصورة الى اسطورة سيزيف ليجد فيها تعبيرا عما يراه هو في هذه الحياة .

اذا كانت الحياة طموحا وتطلبا دائما من جهة ومن جهة ثانية ضياعا ولا جدوى فذلك تماما ماعبرت عنه الاسطورة اليونانية في عذاب سيزيف الابدي وهو يرفع صخرته الى اعلى الجبل مدفوعة بقوة الانسان البطولية والقدر العنيد المتجلي بكثافة الصخرة يعيده دائما الى الحضيض . اذا كانت الحياة هكذا فما على الانسان الا مواصلة الدفع حتى تتجلى بطولته الحقيقية . البطولة الانسانية الجديرة بالحياة . ومن هنا يمكن الاستطراد للوصول الى فكرة النضال الانساني .

النضال الانساني استمرار في بذل الجهد . لايقوم النضال على مجرد الوصول الى الغاية . كما ان الهزيمة لاتجوز لان فيها التخلي والهروب . بل النضال بذل ، وبذلك يعبر النضال عن حقيقة الحياة وعن احترام كرامة العيش . انني اناضل ضمن ظروف وفي حدود في الممارسة المباشرة للواقع - في ان ابقى ملامسا - الصخرة - . غير مدفوع بقوة سحرية بل بجهد انساني مجبول بالعرق والدم والدمع . ومن هنا يتحقق البطل الانسان . ان زمننا - ان كانت الحياة كلها كذلك - لايحتاج الى البطولة المتصورة الخيالية التي تحل الامور بضربة سحرية ، اذن لا معنى لبطولات كيشوتيه ، لانها خاوية ، فارغة ، ربما كانت تقوم على الصدفة والحظ ، لقد كان عنترة - كاسطورة - يهزم جيشا بسيفه هذا بطل العصور الوسطى . اما بطلنا الحقيقي فهو الذي يناضل - كانسان - في ظرف ووضع وكل انتصار يحققه فهو درجة في سلم البطولة . ونعود الى عبد الباسط والى ماتراءى له عن سيزيف :

« .. فسيزيف من قبل شد الى الصخرة الجامدة ،
تسلق يحمل اثقال خيبته الخالدة .
مكادي : انا بعض سيزيف ، بعض الذي كابده .
فرغت على الزرقة الابدية قلبا هشيما وروحا خراب
تسلقتها لجة وعرة وارتميت عليها عصي الرغاب »

نلمس اتجاها اميل للخيبة يتخللها حينا وحينا نوع من المقاومة ومع انه يعترف - روحا خراب و - ارتميت عليها - الا انه يصف نفسه ب - عصي الرغاب - .

اذن هناك حقيقة استراح لها عقله وهي ان الانسان كلما سمت روحه ازدادت اثقال خيبته . ومع ان سيزيف تتجلى حقيقته لا في الخيبة بل في معاودة الدفع للصخرة ، فانه لاينظر الى النتيجة منقطعة عن الجهد المستمر المبذول .

اقول : حقيقة استراح لها عقله ، لكن توثب روحه مازال يظهر خلسة، فكان حقيقة سيزيف في اعماق عبد الباسط تتأبى حتى على الحد الذي رسمه عقله .

وتظل تطالعنا هذه الحقيقة كلما اوشك عبد الباسط ان ينظر الى النتائج فيخمد وتظل حقيقة روحه تتأبى عليه ذلك .

« مكادي : انا بعض سيزيف ، بعض الذي جالده .
يطاردني اليأس دامي السياط كما طارده .
مكادي هما الصخر والعقم في لجتي الصاعدة .
هما الصخر والعلم في لعنة الهة حاقدة . »

فرغم انه أله هذه القوى المطاردة فاغرق الانسان في عذابها المقيم « للبحر الهة هزها حقدها الزبدي فثارت غضاب منافقة تكتم السخريات وتطفو بزرق الصحاري سراب .

ثم نرى ان الحياة قد تسربلت امام عينيه بالسواد والضياع والتيه فتلاشى في صحرائها هذا الانسان الطموح ذو الروح المتوثبة .

« ودرب الحياة بابعاده قديم المتاه قديم الضلال .
ركام سماء رمادية وزحف ظلال وراء ظلال
وليل البحار بآباره السود عميق تفجر نبع ضباب »

اذن لم يبق شيء في الحياة يستحق ان يعاش ، لم يبق الا السواد « العتمة » وتحديق الشاعر الابدي فيها ولهثة اخيرة ينفثها الشاعر

« مكادي ترنحت وانهدمت جبهتي الصاعده .
وظلت عيوني تحدق في العتمة الوافده .
ولم يبق في الكاس من خمرتي قطرة واحدة . »

هذا هو الحد النهائي لسيزيف ، وللانسان اذا تراءى له الفوز . لا فوز هناك ولا انتصار . هناك عتمة . وليس لك الا التحديق بها . فيم العزاء اذن ، اذا كانت السياط تلهب جلدك ، وكان اليأس يطاردك، ومن حولك عمق زرقة البحر وابارها السود ، وامامك الصخرة ؟؟

قال شوبنهور - الذي استعار ايضا اسطورة سيزيف - قد يكون الخلاص بالفن ، وشرح نظريته بالفن والجمال .

وكذلك رأيت عبد الباسط يتجه الى موضوع تختلف معطياته مع معطيات شوبنهور طبعا . الا انه ربما يرى فيه العزاء .

« انا والشراع وقيثارتي غربة وارتحال »
افتش عن وعلة خبأتها اقاصي التلال
على جيدها اتلعت كبرياء المروج اختيال

فتاة في المدينة..

مجموعة اقاصيص بقلم

محمد ابو المعاطي ابو النجا

دار الاداب صدر حديثا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتفلت فوق النسائم مذعورة شارده
انا وعلتي كل ايامها وجل او دلال
ربيعية المشب تعبق انفاسها الراغده

في هذه اللحظة التي ينسرق فيها الانسان من جبرية القدر يتجه الى الجمال وتتراءى صور الجمال الريفي كمقدمة الى المراة . صور منتقاة من افريقيا ومن بلادنا : وعلة وتلال ، مروج ونسائم .

تبدا النفس بالاسترواح قليلا ، ينشال العبء عن اكتافنا ، نحط الرحال ، ننسى ولو قليلا ، علنا نرشف لذاذات تريحنا من عبء الحياة .. ثم يتطور هذا المرح الطفولي ـ ان صح الوصف ـ الى احلام الشباب .

« افتش عن شهر زاد برونزية طوقتها كنوز البحار
مضمخة جسدا حر كالصيف جم الحنايا لفيف الثمار
رخامية الصدر في قبتي لذة ناهده
تصب عتيق النبيذ لمادبة واحده .. الخ

يبدا بصور المراة الشهرزادية الجميلة المعطاء . وتظهر المراة هنا كما تظهر دائما في شرقنا ، امراة برونزية حارة لكنها لم ترو شهريار الامير « كما استغل هذه الفكرة توفيق الحكيم في ـ شهرزاد ـ » . لكن شاعرنا لم يقف عند مستوى الاشباع بل صعد الى مستوى الحب الصوفي حتى اننا نرى عنده كلمات الغزل الصوفية ! عله يرتوي في هذا النوع من الحب .

« سراجين زينهما الحب اعطى الهوى شعلتين »

ونعود الى محاولة الخلاص .

كثر هم الذين وجدوا الخلاص في الحب ، الحب الصوفي ، وبالتالي الحب الالهي حيث تتحد ذات المحبوب بذات المحب ويصبحان كيانا واحدا .

ولا نغالي اذا قلنا ان عبد الباسط احس بوحدة الوجود واتحد به عن طريق الحب يقوده خيط الجمال منذ ـ المرح الطفولي ـ حتى الاحلام بشهرزاد ـ حتى الحب الصوفي ، يقول :

« وتسالني كل افريقيا يامكادي
لمن انت تطوي البحار ؟؟
افتش عن شهرزادي وعن قطعة من فؤادي
افتش عنك مكادي .

اذن بالحب ، تلاشت حدود الاشياء ، وحدود الجسد . وصارت ، من خلال الروح، كلها وحدة تسمح للروح بان تسري فيها جميعا: شهرزادوقلبه، ومكادي .

ويزدهر عبد الباسط بعد ان اعطى روحه للحب ويخاطب مكادي :

مكادي ايا جنة الحب في الجزر الرافدة .
ايا عطش الراحلين الى النبعة الباردة !

هذه التي يفتش عنها ويقلب المرافيء

قد نستطيع القول بانه أروى ظماه ، بعد ان عرف ان طريق الحب هو الذي ينقذه من عذاب سيزيف بعد ان رأى ان لا امل في الحياة ولكننا لانستطيع التاكد من ان المشكلة الاساسية قد حلت .

اما شوبنهور فلم ير الحل في الفن ، انما هو نوع من الخلاص .

اما عبد الباسط فلا ندري اهو خلاص ام حل ؟ انه يعود اخيرا ليختم جولته في الحياة متسائلا ام معجبا .

فبعد ان بث مكادي جميع اسراره وكدنا نراه يطمئن اليها وهي رمز خطابي فقط نراه يلتفت ويقول :

على اي ارض يغني مع الفجر انسانها ؟
باي الشواطيء تكتظ في الشمس الوانها ؟
توسدت عرش البحار ؟
باي محار
مكادي ! باي قرار ؟

اذن ستظل تلاحقنا ابدا اشارات الاستفهام .

سلمية — اسماعيل حمود

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان
او ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ١٠ يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشانها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب ٤١٢٣

المرتدّ

ـ ١ ـ

زوايا الارض ترفضني
وتضرب جبهتي بالحقد ، بالنيران ، بالنقمه
ترضُ دمي بــلا رحمـــه
تعرّيني
وترجمني . وحتى حـارس المعبد
يرجّ : استخرجوا عينيه ، دقوا قلبه المرتدْ .
يهلل محفل الكهان : وليصلبْ !
وتندف جسمه الخاطي ذوات النـاب والمخلب !
صدى بصدى ... تردُ جوانب المعبد
سنجرش قلبــه المرتد ...

(٢)

تحجّر في الرمال دمي
وتحت حوافر الاعوام ظل يئن في ألم
ولم يهـرمِ
وظلت تنكر الشطآن والاصداف لون الدمْ
وظل بنفسها المأتم .
تقـول هنـا قتلنـــاه
ولم يشهق
ومزقنـا خلايـاه
ولم يشهق
قتلنا صمته. حتى تمرد صمته لمّا تحدى رهبة المعبد
قتلنـــاه ...
وظــل بنفسهــا المأتم .

ـ ٣ ـ

طمـا . وامتدّ ...
حتى جاء شط الرمل حيث تقـادم المرتد .
فانتبهت خيوط الدم
والتمتْ . وعـادت فم
وبين خرائب الرمـل
وفوق جميع ما قاءته من جيف ميـــاه اليم
تنفضُ واستوى آدم .
على شط مديد ما به الا فتات الضو
وبعض مواكب النورس
تزف عليه ، مدّ النو
على شط بعيد . ما به ظل سوى ظلي
وظل مواكب النورس .

ـ ٤ ـ

لو اني ابصر البسمه !
لو اني ابصر العينين والبسمه !

ـ ٥ ـ

انا مترهّبٌ ، وحدي ، أعيش الموتَ
اغسل عظمي الموؤود ، اشرعه لعين الشمس
حشدَ عظـامْ
تتفلها كهوف الارض ، طول العام بعد العام .
لو اني ليس لي بدء ، لو اني ليس لي آخر
لو اني ليس لي ذهن ، ولا عين ، ولا ذكرى
لو ان الريح ترحمني ، وتسلخ جلدي العـامر
بألف رداء
تحرقه ، تودي خيمتي جمرا
لو اني ليس لي شط بعيد ما به الا رفيف مواكب النورسْ
لو اني ، لا يعيش الجرح ، نث الرعب ، في نفسي
وعبر دعارة الرؤيا وما يخضر او ييبس
لو اني مرةً نفسي !
لو اني ابصر العينين والبسمه !

ـ ٦ ـ

ويهذي الشيخ مهدودا ، بصوت شاحب مجهد
انا الحكمــه
عرفت جميع ما حبلت به الدنيا من الايام والاوهام والعتمه .
عرفت فصولها ، فصلا على فصل
ومر الكون خيطانا على نولي .
فقلت انا عرفت شتـــاء
وفي بلدي يسح المـاء كل العـام لا يهدا
وفي بلدي يظل يدور بي الطوفان لا اهدا
وبيتي ليس يعرفني
وطعم الوحل في قلبي
وفي عيني رفـات نداء
وبرد شتـاء
يطرحني
لبرد شتـــاء .

ـ ٧ ـ

وضوءًا نفسي اللهفى من العينين والبسمه
صدى قبله : طفولتنا. وكان الماء سحّاحا بلا رحمه
ومن شباكي المشرعْ
لعـل امـل ...
رايت جبينـك المثقل ..
خجلت . وقلبي المشدوه لـم يخجل .
وظل الماء سحاحا بلا رحمه ..
فقلت طفولتي زورق
وقلعي معطف النجمه .
ولكن هاجت الانوار . وانسدت امام تطلعي المرهق
جميع مسالك الاجواء صرت انا بلا زورقْ .
طريدا . مفرغ الاعماق . مصلوبا الى لقمه
وجرحا يغسل الآفاق من دمه ولا يدمى
وتخصب دفقه كلمه :
« مكان ما ... مكان ما » !
اما في الارض للمولود في مزود
مكـان ما ؟!.

ظافر الحسن

ت . س . اليوت ناقداً

حدود النقد

بقلم محمد عبد الله الشفقي

القى ت. س. اليوت هذه المحاضرة في جامعة مينيسوتا عام ١٩٥٦ ، ونشرت ضمن مقالات نقديةطبعتها سلسلة كتب اكسفورد كمرآة لنقد القرن العشرين .

يهتم اليوت في هذه المحاضرة بتوضيح الحدود ألتي يجب على النقد الادبي الا يتخطاها . فاذا تخطاها بالفعل كانت الطامة الكبرى ، انه قد يصبح نقدا اجتماعيا او ديموغرافيا او سيكلوجيا ، غير انه لا يعد بعد ذلك نقدا ادبيا . أو قد يصح نوعا من انواع الادب ، غير انه يفقد صفته كنقد .

ان اليوت يذود هنا عن اللفظتين معا : **النقد الادبي،** ولا يريد ان يفقد احداهما .

ويتذكر اليوت ، وهو يلقي المحاضرة في جامعة مينيسوتا ، انه كتب عام ١٩٢٣ مقالا بعنوان « وظيفة النقد » ، غير انه حين يستعرض هذا المقال الان يشعر بالدهشة حين يجد انه كان متحمسا جدا وهو يكتبه ، ويتساءل : علام كانت كل هذه الضجة ؟ وهو يعترف انه بالرغم من حماسته واندفاعه في مقاله القديم « وظيفة النقد » ، فان الآراء التي جاءت فيه لا تتعارض مع الآراء التي تتضمنها محاضرته اليوم ، والتي اختار لها عنوانا « حدود النقد » . لقد ثار في مقاله القديم على بعض النقاد الذين كانوا أكبر منه ، باعترافه هو ، وثار على بعض الكتب ، غير انه لا يتذكر اسماء هؤلاء النقاد اليوم ، ولا يتذكر اسماء الكتب ، كل ما يذكره الان انه كان ثائرا على النقد الانطباعي : Impressionistic criticism

ومن اراد أن يفهم ت. س. اليوت الناقد ، فليعرف قبل كل شيء انه ضد المدرسة الذاتية ، او الانطباعية ، في النقد .

ولا ينسى اليوت ، في معرض حديثه عن مقاله ، ان يشير الى كتاب من اهم الكتب التي ظهرت في النقد حينذاك ، فبعد عامين من صدور مقاله « وظيفة النقد » نشر ريتشاردز Richards كتابه الضخم «مبادىء النقد الادبي Principles of Literary Criticism أي في عام ١٩٢٥ . وبعد ظهور هذا الكتاب الذي كان له ، كما يقول اليوت، تأثير كبير ، حدثت اشياء كثيرة في النقد الادبي ، وتفرع النقد الادبي الى اتجاهات متعددة . ومعنى هذا ان النقد الادبي الحديث ليس ذا شكل موحد او طابع واحد ـ بالرغم من ان اتجاهاته تشترك في مظاهر كثيرة . يقول اليوت ان الناس كثيرا ما يستعملون اصطلاح « النقد الجديد » The New Criticism ويغفلون ان هذا النقد الجديد متنوع ولا يمثل اتجاها واحدا . واكبر النقاد المحدثين يختلفون فيما بينهم ، غير انهم يتفقون على شيء واحد **وهو أنهم لا يوافقون على نقاد الجيل السابق** .

ولقد سبق لاليوت ان قال ان على كل جيل ان يعد لنفسه نقده الادبي الخاص به . فلكل جيل مقاييسه في الفهم ، ولكل جيل مطلبه الخاص من الفن . والجيل الحاضر يقف من روائع الماضي موقفا يخالف موقف الجيل السابق . فما سر هذا التغيير ؟ هل يرجع فقط الى تغير الذوق وتغير « مودة » العصر ؟ لا . فهناك عوامل اكثر من ذلك تتحكم في نظرتنا الى الاعمال الادبية ، وفي نقدنا لها . اننا في نقدنا الجديد نتأثر بالعلوم والمعارف الجديدة ، ونحاول استغلالها والاستفادة منها في ميدان النقد الادبي. لقد الف كولريدج كتاب Biographie Literatia فناقش فيه مشكلة الشعر ودافع عن الاسلوب الجديد واوضح مواطن ضعفه . غير انه أضاف الى مناقشاته معارف مختلفة استحدثها العصر ، فلقد استفاد في نقده الادبي من الفلسفة ، وعلم الجمال ، وعلم النفس ، واثبت صلتها بالموضوع الذي يتناوله . وهكذا يتبين لنا كيف يتغير النقد الادبي من جيل الى اخر . فالكتاب الذي الفه كولريدج يختلف عن كتاب « سيرة الشعراء » Lives of the Poets الذي كتبه الناقد الانجليزي الكبير صمويل جونسون .

ويقول اليوت ان كتاب كولريدج قد كان له أثره الكبير على النقاد المحدثين . وبمعنى آخر : لا يمكن للنقاد المحدثين ـ في نقدهم الادبي ـ ان يغفلوا العلوم الحديثة الاخرى ، لا يمكن ان يغفلوا الفلسفة ، وعلم الجمال ، وعلم النفس ... الخ... الخ... وهكذا نستطيع ان نقول ان النقد الحديث يبتدىء من كولريدج مباشرة . ولو كان كولريدج حيا اليوم لاهتم بالعلوم الحديثة الاخرى التي عرفناها ، لاهتم بالعلوم الاجتماعية ، وبدراسة اللغة .

هذا هو التغير الذي طرأ في ميدان النقد الادبي اليوم . وهناك تغير ثان ايضا ، وهو ان علاقة ناقد اليوم بالعالم تختلف عن علاقة سلفه ، كما انه يخاطب جمهورا مختلفا ايضا . ان ت. س. اليوت يشعر بأن النقد الادبي الحاد الذي يكتب اليوم انما يكتب لفئة معينة ، بخلاف النقد في القرن التاسع عشر على سبيل المثال .

ثم يفاجىء ت. س. اليوت جمهور هذه المحاضرة الهامة ليعلن لهم انه بالرغم من كل هذه الاشياء ـ التي قد تبدو جميلة ظاهريا ـ فان النقد الحديث يعاني من الضعف ، فما علة هذا الضعف ؟ ان مرجعه ضياع الهدف من النقد . فقد نتساءل ولا ندري الجواب الصحيح : ما هو هدف النقد ؟ ما هو الغرض الذي يقوم

*** ان كثرة الحديث عن اليوت يغري المرء بالرغبة في التعرف على ارائه اولا حتى يتسنى مناقشتها بعد ذلك مناقشة واعية تدرك الذي تتحدث عنه . وهذه الحلقة مجرد عرض موضوعي لاحدى محاضراته النقدية الهامة التي نشرت تحت عنوان .**
Frontiers of Criticism

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النقد من أجل تحقيقه ؟ وما هي الفائدة التي نجنيها منه؟ ومن الذي سيستفيد بالذات ؟ واليوت لا ينكر ان النقد الادبي الحديث دسم زاخر ، ولكن يبدو ان هذه الدسامة وذاك التنوع قد وضعا ستارا يخفي غاية النقد وهدفه الرئيسي . ان الدسامة والتنوع قد يجعلاننا نخرج من ميدان النقد الادبي المحض الى ميادين اخرى ، ميادين نقحم فيها المعارف المختلفة التي ظهرت في العصر الحديث ، وعندها لا يصبح النقد نقدا ادبيا بالمرة ، وانما يستحيل الى نقد من نوع آخر .

وقبل ان يسهب اليوت في الحديث عن هذه الظاهرة واستكشاف زواياها وايجاد المخرج منها ، يتكلم قليلا عن نفسه . وعندما يتحدث اليوت عن نفسه فمعنى هذا انه سيلقي ضوءا على اشياء غامضة ، فما اكثر الغموض الذي ما زال يكتنف اليوت ، ما أكثر الغموض الذي ما زال يكتنف بعض قصائده ، وبعض دوافعه في النقد ، بالرغم من كثرة الشروح ، والتفسيرات ، والتعليلات . (يبدو ان كثرة الشروح ، والتفسيرات ، والتعليلات هي التي زادت الموقف غموضا وتعقيدا .) .

يؤكد لنا اليوت انه كثيرا ما يشعر بالحيرة حين يعتبره الاخرون من آباء النقد الحديث ، او من النقاد المحدثين انفسهم . وهو لا يرى ان هناك حركة نقدية نبعت منه ، وكل ما فعله انه شجع النقد وافسح له مجالا في مجلة « كريتيريون » Criterion **وهو انه لم ينقد في اكبر مقالاته واعظمها الا الشعراء والشعراء المسرحيين الذين اثروا عليه هو (1)** . وهو يقول عن هذه المقالات التي كتبها انها « انتاج ثانوي من مصنع الشعر الخاص بي »، وعندما يعود بالذاكرة الى هذه المقالات ، ويستعرضها بعد مضي وقت طويل عليها ، يكتشف ان اروع مقالاته النقدية انما كانت عن الشعراء الذين أثروا على شعره اكثر من غيرهم .

وهو يعترف بأن هذا النوع من النقد (وهو نقد الشعر عن طريق شاعر) له عيوبه . فالشاعر هنا لا يستطيع ان ينقد المادة التي لا تتصل بعمله ، او المادة التي يجد انه يكرهها او لا يحبذها . كما أنه لا يستطيع مثلا ان ينقد الاعمال الروائية نقدا جيدا .

ويشير اليوت الى ان معظم نقاد الماضي كانوا يتحدثون عن الادب ولكنهم يشيرون الى الشعر . اما نقد الرواية فظاهرة جديدة . وهو يعترف بأنه لا يستطيع ان ينجح في هذا الميدان لانه خارج عن اختصاصاته . وهو يعتقد ان نقد الرواية يحتاج الى موازين ومقاييس تختلف عن الموازين والمقاييس التي يستخدمها ناقد الشعر .

والملاحظ ، في النقد الحديث بأمريكا وانجلترا ، ان معظم النقاد يدرسون بالجامعة ، ومعظم اساتذة الجامعة ينقدون في الخارج على صفحات الكتب والمجلات والجرائد . وهكذا نجد انفسنا امام وضع جديد ، ان النقد الحديث يمتزج بالاكاديمية ، والاكاديمية تمتزج بالنقد الحديث . وقد ادى هذا الى ظهور ما يسميه اليوت **بالنقد القائم على التفسير عن طريق البحث عن مصادر العمل الفني موضوع النقد** . وهذا ما يغيظ اليوت ويجعله يقول ان هذه الطريقة اثرت تأثيرا سيئا على النقد الادبي . فهناك من شغلوا انفسهم ، وهم ينقدون

قصائد ويردزويروث ، بحياته الخاصة ، وزواجه ، وحبه لشقيقته ، وهو يعترف بأن هذه الكتابات جميلة في حد ذاتها ، ولكن : هل ستساعدني على تذوق قصيدة ويردزويرث بصورة اعمق ؟ هل ستساعدني على النظر الى قصيدة ويردزويرث من حيث هي **شعر** ، من حيث **هي تعبير فني ؟**

ومن الكتب التي طبقت نظام الرجوع الى المصادر كتاب بعنوان The Road to Xanadu للمؤلف جون لفنجستون لوويز . لقد اجهد المؤلف نفسه في هذا الكتاب ليكتشف المصادر التي جعلت كولريدج يكتب في النهاية قصيدتيه الرائعتين « قبله خان » Kubla Khan و « الملاح العجوز » The Ancient Mariner لقد فتش جون لوويز في كافة الكتب التي قرأها (ومن المعروف ان كولريدج كان قارئا نهما لا يعرف الشبع أبدا) ليرى من اين استعار الصور أو العبارات الموجودة في هاتين القصيدتين . وليتذكر القارىء ان معظم الكتب التي طالعها كولريدج ليست معروفة ، وقد كان يقرأ – على سبيل المثال – كل كتاب للرحلات تقع يده عليه .

ويقذف ت. س. اليوت بقنبلته : انه يعترف بجودة هذا الكتاب ، وبالمجهود الذي بذله المؤلف ، ويوصي كل دارسي الشعر بقراءته ، غير انه يعترف في النهاية بأن قراءة هذا الكتاب لا تساعدنا على فهم « الملاح العجوز » بصورة افضل . لقد اهتم جون لوويز بشيء لا يدخل في نطاق النقد الادبي ، كان يستقصي المصادر ، والمراحل التي مر بها الشاعر حتى كتب القصيدة .

وخدع الدارسون بهذه الطريقة وظنوا انهم يستطيعون

صدر حديثا :

الطبعة الثانية من

سارتر والوجودية

كتاب لابد ان يقرأه كل من يريد ان يفهم آثار سارتر

تأليف

ر . م . البيريس

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

منشورات دار الآداب - بيروت

(1) من أراد ان يفهم شعر اليوت ومسرحه بصورة اوضح فليرجع الى انتاج هذا النفر من الشعراء الذين تناولهم في نقده .

فهم أي قصيدة لاي شاعر يخبرهم بالكتب التي قراها وتمادوا في هذا الى حد أن احد القراء ارسل الى اليوت خطابا يسأله فيه : هل قرات رواية اعماق الظلمة لجوزيف كولراد ؟ ان القارىء المخدوع يربط بينهما وبين قصيدة اليوت الارض الخراب ! ويعترف اليوت بأن الربط لا محل له ، وبأن القارىء لا شك قد تأثر بذلك الكتاب المدمر الذي كتبه لوويز عن مصادر قصائد كولريدج ، فأراد ان يطبق ذلك على اليوت ايضا .

وبالرغم من غموض قصيدة اليوت «الارض الخراب» وثورة بعض النقاد والقراء على هذا الغموض ، فيبدو ان اليوت نفسه لا يحب الاغراق في الغموض ! انه ثائر، بدوره ، على جيمز جويس الذي ألف تلك الرواية المعقدة Finnegan's wake – قائلا انه لا يعتقد ان معظم الشعر يكتب بهذه الطريقة او يحتاج الى ما تحتاج اليه هذه الرواية من جهد في التفسير والتشريح ، لكي يفهمها القارىء في النهاية . ان جيمز جويس جعل انفاس الدارسين تلهث سعيا وراء المصادر ، والمراجع ، والاصول ، والينابيع التي ادت في النهاية الى ظهور رواية كهذه الرواية . غير ان هذا المجهود كله ليس من النقد الادبي في شيء ، **ان هذا المجهود يدور حول الشرح والتفسير . اما النقد الادبي فيدور حول الفهم والتذوق .** والشرح والتفاسير لا عيب فيها ، ولكن العيب هو ان نعتبرها نقدا ادبيا خالصا .

واليوت نادم لانه ارفق بقصيدة الارض الخراب الشروح الشهيرة . في هذه الشروح يذكر اليوت المصادر التي اقتبس منها هذا البيت او ذاك التعبير . وهو قد اضطر الى كتابة هذه المصادر لكي يرد على النقاد الذين اتهموه بأنه يسرق افكار وتعبيرات سابقيه وينسبها لنفسه في قصائده . وعندما حان أوان نشر القصيدة في كتاب صغير ، كان اليوت يعتزم نشرها دون هذه التفسيرات والمصادر ، غير ان الناشرين وجدوا ان الكتاب سيغدو صغيرا جدا، فاضطر الى الاسهاب والاضافة في الحواشي، الى حد ان القراء لا يقبلون اليوم شراء هذه القصيدة دونها . وليتهم لم يقرأوا هذه الحواشي ! لقد جعلهم يتركون القصيدة ويجرون وراء المصادر التي قراها اليوت وتأثر بها ، وتوسعوا في هذا وتمادوا ، وتاهوا في فيافي شاسعة .

وينتقل اليوت من هذا كله الى القول بأن هناك مدرسة تفسر القصيدة بأن تبحث في الاسباب التي ادت الى كتابتها . وهو لا ينكر ان **التفسير** قد يساعدنا على **الفهم**، فهم القصيدة (وهو العنصر الذي يقدسه اليوت دون ما عداه) غير ان الفهم يحتاج الى اشياء اخرى ايضا : علينا ان نبذل الجهد لنتعرف على **هدف** القصيدة ، الذي تريد هذه الابيات أن تقوله لنا . موجز القول علينا ان نفهم **وجود القصيدة** .

ويوجه همومه الى كتاب السيرة الذين يتناولون حياة الشاعر وينقدون اعماله في نفس الكتاب ، ويطلق على هذا النوع اصطلاح Critical biography . ان كاتب السيرة يعتمد هنا على **حقائق خارجية** ، فهو ينقب ويفتش في حياة الشاعر ، ومغامراته الغرامية ، ورحلاته ... الخ ... الخ ... وليته يقف عند هذا الحد . انه يستغل احد علومنا الحديثة ، ويستغله بجراة ؛ الا وهو علم النفس . وهو يحاول بهذا التعرف على دقائق تجارب الشاعر الدفينة .

وليس معنى هذا ان اليوت يعتبر حياة الادباء الخاصة حرما مقدسا لا يجب اقتحامه . فللعالم الحق في ارتياد هذا الحرم خدمة للمعرفة . واليوت لا يريد ايضا تحريم كتابة سير الشعراء ، فهذه السيرة تساعد الناقد الادبي على نقد اعمال هؤلاء الشعراء . كل ما يريد ان يقوله هو ان كتابة سيرة نقدية للشاعر مهمة معقدة تحتاج الى قسط وافر من الحرص والحذر . وعلى كاتب السيرة الا يتعرض لعلم النفس الا اذا كان يفهمه جيدا حقا .

ولنتساءل : الى أي مدى **تساعدنا** المعلومات المعروفة عن شاعر في فهم احدى قصائده ؟ ليست الاجابة على هذا السؤال بالامر الهين . فالوضع يختلف بالنسبة لكل قارىء ، ويختلف ايضا بالنسبة لكل شاعر . فقد نحتاج الى معلومات عن شاعر معين أكثر من احتياجنا اليها فيما يتعلق بشاعر اخر .

ولكن !... هل تساعدنا معلومات من هذا القبيل على تذوق قصائد لوسى التي كتبها الشاعر الرومانتيكي وليام ويردزويرث ؟ لقد خصص الكتاب صفحات كثيرة للكتابة عن حياته ، وزواجه ، وحبه لاخته ، ومنهم كاتب وناقد كبير مثل هربرت ريد . غير ان اليوت يعتقد ان البحث في الينابيع التي خلقت القصيدة لا يؤدي بالضرورة (وان كان يؤدي في بعض الاحيان) الى فهم هذه القصيدة . بل ان أكثر المعلومات الخاصة بأصول قصيدة معينة قد يقضي على اتصالي المباشر بها ويجعلني افكر في اشياء اخرى كثيرة وأنا اطالعها. ويتحدث اليوت عن تجربته الخاصة في هذا الميدان : « لست اشعر بالحاجة الى اية اضواء تسلط على قصائد لوسى لويردزويرث سوى تلك الاضواء التي تشعها القصائد نفسها . »

بل ان الشعر الرائع يتضمن دائما اشياء لا يمكن تفسيرها ، مهما بلغت معرفتنا بالشاعر . فعندما تصبح القصيدة سطورا مكتوبة فمعنى **ذلك** ان شيئا جديدا حدث ، شيئا لا يمكن تفسيره على ضوء ما سبق ، أي على ضوء حياة الشاعر واتجاهاته ... الخ ... الخ ... وهذا هو **الابداع** . ان اليوت يؤكد هذا ، ويحاول اثباته بالرجوع الى تجربته الخاصة . فهو عندما كتب قصائده ظل يتلقى رسائل يطلب فيها كاتبوها بعض ايضاحات وتفسيرات . ويعترف اليوت بأنه عجز عن الايضاح والتفسير ، بالرغم من انه هو الذي كتب هذه القصائد .

*

ولكن ، ليس معنى ذلك ان هذه السمات وحدها هي التي تسود النقد الحديث . اذ أن هناك اتجاهات اخرى ايضا . ومن هذه الاتجاهات جهود الناقد الكبير ريتشاردز، فهو يبحث في كيفية تدريب القارىء على تذوق الشعر. **وقد ادى هذا الى ظهور اتجاه ينادي بالاهتمام بالشعر لا الشاعر** ، وواضح انه ظهر كرد فعل للاتجاهات التي عابها اليوت في الصفحات السابقة . فلقد اخذ اثنا عشر ناقدا انجليزيا شابا ، اخذوا على عاتقهم مهمة نقد اثنتي عشرة قصيدة مشهورة بطريقة ادخلت الغبطة على نفس اليوت ، فماذا فعلوا ؟

لقد اختار كل واحد منهم القصيدة التي تروقه من بين قصائد مشهورة معروفة . غير انه لم يقع ضحية دارسي الاصول والينابيع والمصادر . لقد اخذ كل واحد

منهم يحلل قصيدته دون ان يشير الى الشاعر او الى اعماله الاخرى ، وانما اكتفى بتحليل كل قسم من اقسام القصيدة ، وكل سطر ، محاولا اعتصار كل ما يستطيع من معنى ، الى درجة جعلت اليوت يطلق على مدرستهم تسمية « معصرة النقد » . وكان هدفهم هو : **البحث عن المعنى الحقيقي للقصيدة** . ويعترف اليوت ، بوصفه احد الذين تعرضوا لهذه المعصرة (اذ نقد احدهم قصيدته « بروفروك ») يعترف بأن **المعنى الحقيقي** الذي يصلون اليه قد يختلف عن المعنى الذي كان الشاعر يظنه ، غير ان هذا لا يضير القصيدة في شيء .

بيد انه يعلق على هذه المدرسة قائلا : ان الاستفادة منها تتركز في الفصل المدرسي ، أي ان على الطلاب ان يقرأوا ما وصل اليه هؤلاء النقا د ، وفي هذا تدريب لقدرتهم على تذوق الشعر ونقده .

ثم يشير الى عيوب هذه المدرسة . ان عيب الناقد الذي ينتمي اليها هو انه يظن ان تفسيره للقصيدة هو التفسير الوحيد . وهذا خطأ في نظر اليوت . **فمعنى القصيدة يختلف باختلاف القراء النواقين** . واليوت لا يجد غضاضة في ذلك ابدا . وهناك عيب ثان ، وهو ظن الناقد انه وصل الى المعنى الذي كان الشاعر يقصده بالذات . يقول اليوت ان الناقد الذي قصيدته « بروفروك » لم يستطع ابدا ان ينظر الى القصيدة بمنظار اليوت نفسه . وكل ما حققه هو انه اتاح الفرصة امام الامكانيات التي تتضمنها القصيدة من حيث المعنى . ان لكل قارىء حساس ان يفسر القصيدة التي امامه. والتفسير السليم هو في نفس الوقت تفسير لمشاعري انا وانا اقرأ القصيدة . من اجل هذا تختلف التفسيرات حول القصيدة الواحدة .

واذا كان اليوت قد تكلم عن وظيفة النقد في عبارات رنانة منذ اكثر من ثلاثين عاما ، الا انه يحاول في عام ١٩٥٦ ان يصوغ وظيفة النقد في عبارات بسيطة تقبلها اذواق قراء عام ١٩٥٦ . ان وظيفة النقد الاساسية تتلخص في العمل على تنمية « **فهمنا للادب واستمتاعنا به** » غير ان هذا لا يعني ابدا ان الفهم شيء والاستمتاع شيء اخر ، وان الاول يخضع للعقل والاخر للعواطف. ان هناك امتزاجا بين الفهم والاستمتاع . ان فهم قصيدة معناه الاستمتاع بها ، كما اننا لا نستطيع الاستمتاع بالقصيدة بصورة كاملة ما لم نفهمها .

ويشير اليوت هنا الى ملاحظة طريفة . ان وظيفة الناقد ، في نظره ، هي التعرض للاعمال الجيدة لا الاعمال الرديئة . اما التعرض للاعمال الرديئة واظهار عيوبها فمهمة ثانوية. ويبدو ان هذا يفسر لنا لماذا اقتصر اليوت في نقده للشعراء على الشعراء الذين اعجب بهم فقط ، والذين اثروا في شعره ، كما سبق ان اسلفنا .

✶

من هذا كله ينتهي اليوت الى ان وظيفة الناقد الادبي تتلخص في مساعدة القراء على فهم العمل الادبي والاستمتاع به . وفهم العمل الادبي يحتاج الى بعض الشروح ، ففهم قصائد تشوسر Chaucer تحتاج الى معرفة معاني الالفاظ القديمة ، وقواعد اللغة آنذاك ، والنطق ، وربما الى معرفة العادات السائدة في ذلك العصر . غير ان العمل الادبي قد لا يحتاج في كثير من الحالات الى هذا الشرح ، فلست في حاجة الى شرح لاتذوق واستمتع بالبيتين الرائعين اللذين يتحدث فيهما شيللي الى القمر :

اشاحب انت من الارهاق ؟
من صعود السماء والتحديق في الارض ؟

ولو اخذ ناقد يحكي لي قصة حياة شيللي والكتب التي قرأها لما ضاعف ذلك من استمتاعي بهذين البيتين .

على الناقد اذن الا يتخطى حدود النقد، وهي الحدود التي بذل اليوت كل هذا الجهد لرسمها . على الناقد ان يكتب نقدا ادبيا خالصا لا ان يكتب شيئا اخر فهذا الشيء الاخر من اختصاص دارسين غيره. ولكن ، ليس معنى هذا ان الناقد الادبي مجرد خبير فني يعرف القواعد واللوائح ويطبقها . ان الناقد ينقد لانه انسان قبل كل شيء ، لا مجرد الة . انه انسان له اهتماماته ومبادئه ، ومعتقداته ، انسان مر في الحياة بتجارب اخرى غير التجارب الادبية وحدها . والناقد الذي لا يهتم بشيء سوى الادب ، والادب وحده ، سيطلع علينا بتجريدات جوفاء . على الناقد ان يكون مثل الشعراء ، فللشعراء اهتمامات اخرى الى جانب الشعر ، والا لما استطاعوا ان يكتبوا شعرا دسما حافلا بالمعنى والتجربة ، انهم شعراء لانهم اهتموا ، اول ما هتموا ، بتحويل تجاربهم وخواطرهم الى شعر . والتجارب والخواطر تأتي من اهتمامات اخرى الى جانب الادب ، انها تأتي من وجودنا كأشخاص نعيش ونأكل ونشرب وننام ونحب ونكره ونعتنق بعض الاراء التي نتحمس لها .

محمد عبدالله الشفقي

مجموعات الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الثماني الاولى من الاداب تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٩٥ ل.ل	١٠٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الخامسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السادسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الثامنة	٢٥ «	٣٠ «

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرؤيا المكبلة

انا في انتظار المعجزه
من أين ؟
لا ادري ! ولكني هنا ألتاثُ ،
يوجعني انتظار المعجزه
الصمت في ألاغوار يزحف ،
يأكل الابعاد ، يفترس الزمان ،
أصغي ، اكاد احسُ ،
احدس ما تحيك انامـل الصمت العميق

ادري ولا ادري الطريق
سُدَّت دروب النـور ،
تنّين الظلام اغتال آلهة الشروق
الصمت درب المعجزه
ليل الضباب يكبل الرؤيا ، يرمدها ،
يبدد ضوءهـا ، آه متى ، ينشق محرور الضباب
الصمت يزحف في الدخان
الصمت يغزل ما يكف ، ارى هنا
دوامة تنداح ، تكبر في السكون
آه متى يشتد عصف الريح ،
عصف الريح روح البحر ،
لولا الريح جف البحر ، آهِ
من يحث لنا السحاب ؟
من ذا يثير الريح ، يدفعها ،
لعل الريح تدفع ما تراكم من ضباب
وأرى ...
ارى ذعر الارانب ، لوبة الارواح ،
لون اليـأس ، ها خشب السفينة يحترق
آهِ متى ينجاب عـن شط ، متى ينجاب عن
ارض ، متى ينجاب منغلق العباب
خشب السفينة يحترق
بيض الارانب ترتمي ،
تزرقُ ، لو ينشق هذا البحر
عن شط امين
بيض الارانب تختنق
بيض الارانب كلها ، لم يبق من
بيض الارانب ارنب الا ومات
وانا هنا اغتال ، يجرحني انتظـار المعجزه .

* *

الساعة الاولى بعيد الموت ،
آهِ كم اخاف الموت :
معجزة : أصح
آواه هل ولى زمان المعجزات ؟

* *

الساعة الاخرى واصرخ يا مسيح
الف من الساعات جارحه ،
تهب على السفينة الف ريـح
لكنها ريح الملوحة ، والعفونةِ ،
من يحث السحاب ؟
الف من الساعات محرقة ، دمـا البحـاره
البسطاء قد صدئت ، تخثرت الدماء
اواه ! حتى لا سماء هنا ، فأستجدي السماء
يعلو النشيج ، ترج قلبي حشرجات
الموت يعتصر الحياه
آهِ متى ، آه متى ...

* *

وارى على معروق كف الكاهن
العاني ، على طوبى الملاح ، خطرؤيا
يستطيل ، يفور ، يغمض ، ينغلق
ويبدو الرؤيا الضباب .
الف من الساعات ، ها بيض الارانب
عفّنت ، الف وها خشب السفينة يحترق
اواه ، لو ينحرُ هذا البحر ، يغضبُ
يستثار ، فينبثق
عنه صباح المعجزه
اواه ! لو تتجرح الاعماق ، لو
ينساب عبر كوى السفينة خيطريح
وارى ، أرى الدقائق يا مسيح أيا مسيـح
واصيح ملء لهاتي الشلاء ، ضوء ، خيط ريح
عم الظلام أيا مسيح أيا مسيح
لم يبق الا ساعة ، او بعضها
فلتحدث الرؤيا ،
هنا يتساقط البحارة البسطاء ،
هب ، هب ، من لدنك اشارةً
تنبي تقول انشق فجر المعجزه
او ومأة تنبي ،
تقول بأن عهد المعجزات
ولّى ، وان الليل قد غال الحياة
وبأننا عبثا هنا في عالم الاعماق
نرجو ما يقول :
انشق فجر المعجزه .

دمشق — **خليل الخوري**

كان ...

مسرحية في فصل واحد

بقلم : بهاء طاهر

الشخصيات : الجدة : في حوالى الثمانين .
الام : ارملة ابن الجدة ، على مشارف الاربعين .
الابنة : في حوالى العشرين .
الخالة : في الخامسة والاربعين .
الابن : في الثانية والعشرين .

المنظر : صالة في شقة صغيرة . مائدة طويلة في الوسط ، حولها بعض المقاعد الخشبية وكنبة بجوار الحائط ، الى يمينها ممر يفضي الى باقي الغرف . وفي الواجهة دولاب عتيق، يبدو بضخامته ، والاواني المتعددة بداخله ، والساعة الاثرية الموضوعة فوقه ، متنافرا مع اثاث الصالة الرخيص . وان تكن تعلوه صورة ضخمة ، لرجل واقف ، يرتدي طربوشا ، ويمسك بظهر مقعد ، تذكر ابناء الجيل بصورة مصطفى كامل او صورة عتيقة لجدهم في حجرة الجلوس ..

.. الباب الخارجي في اقصى يمين الصالة .

الوقت : عصر احد ايام الشتاء . ولكن الغرفة معتمة بعض الشيء لانعدام مصادر الضوء بها . والجانب المواجه للممر الذي يوجد به دولاب الفضيات اشد اضاءة من غيره .

(يرفع الستار عن ((الام)) وقد جلست على الكنبة تطرز شيئا ، بينما جلست الابنة على طرف المائدة ، ووراءها دولاب الفضيات ، تكتب ...)

*

الام : الم تتعبي بعد ؟

الابنة : (ترفع راسها) نعم ؟

الام : اقول الم تتعبي بعد ؟

الابنة : (تواصل الكتابة دون ان ترد) .

الام : انك تكتبين منذ ساعتين !

الابنة : (دون ان ترفع راسها ، وبهدوء مبالغ فيه) هذا لان لدي محاضرات كثيرة ، ولا بد ان انقلها ..

الام : ولكن لم لا تذهبين الى الكلية بدلا من ان تنقليها في البيت ؟ ـ مجرد ايام الى ان يفرجها ربنا بقرشين ..

الابنة : (ترفع راسها وتقول محتجة) ماما !

الام : القصد يا ابنتي .. (تواجه نظرات الابنة لفترة) .. حسنا ، ما دمت لا تريدين .

(يدخل الابن من الممر وهو يضحك .. فتبتسم الام) .

ها .. ماذا كانت جدتك تريد ؟

الابن : (وهو ما زال يضحك) شيء بسيط . تريد ان تطعم العصافير .

الام : العصافير ؟ ليس لدينا عصافير .

الابن : ولكن هي عندها . لقد رات عصفورا يلتقط حبة على حاجز الشرفة . وهي تريد الان ان تعد وليمة للعصافير . ها اطيب قلبها !

الابنة : (تضحك بالرغم منها) .

الابن : لماذا تضحكين ؟ هه .

الام : دعها في حالها . ها ، وماذا فعلت لجدتك ؟

الابن : اعطيتها قطعة من الخبز ... فشتمتني .

الام : لماذا ؟ الا تاكل العصافير الخبز ؟

الابن : لا ، انها تطلب السمسم .

الام : يا الهي ! الحمد لله انها لم تطلب البرغل !

الابنة : البرغل ؟ ما هو البرغل ؟

الام : البرغل يا حبيبتي هو ..

الابن : وكم يتكلف السمسم ؟ سأشتري بقرش . الا يكفي هذا ؟.. لو رأيت ثورتها !

الابنة : (تضحك) .

الابن : (غاضبا) لماذا تضحكين ؟ ليس عيبا ان يرضي الانسان جدته العجوز . اليس كذلك يا امي ؟

الام : نعم ، ثم انها جدتك ، وعجوز ..

الابن : (مخاطبا اخته) انها رقيقة القلب . ليس عيبا ان يحب الانسان العصافير ! ليتك كنت مثلها !

الابن : ماذا تقصدين ؟

الابنة : (في براءة) الست انت مثلها ؟ الا تحبان بعضكما كثيرا ؟

الابن : ايتها الخبيثة ! انني افهم قصدك ! تقصدين انني كجدتك. أليس كذلك ؟

الابنة : انت ذكي جدا . اذهب الان لتشتري السمسم والا تاخرت .

الام : نعم ، اذهب ، والا بدأت جدتك في الصراخ فلا نستطيع اسكاتها .

الابن : (ضاحكا وهو في طريقه الى الباب) انا منحرف ؟! فليسامحك الله ..

(يخرج) .

الام : (تقوم وتتجه نحو الابنة في عتاب) لماذا تكلمين اخاك دائما هكذا ؟

الابنة : ((هكذا)) ، كيف ؟

الام : (مشوحة بيديها) ـ هكذا !

الابنة : ولكن انا لم احدثه ((هكذا)) . كل ما قلته له انه يحب جدته . الا يحبها حقا ؟

الام : نعم . ولكنك قلت انه كجدته ! (تضحك فجاة) .

الابنة : (تضحك هي الاخرى) .

الام : (في نعم مفاجيء) ـ لماذا تضحكين ؟ لا ينبغي ان تضحكي من جدتك ... انها عجوز وطيبة . كان ابوك رحمه الله يحبها (تتاوه) كان ابنا طيبا ، وابا ..

الابنة : (في دهشة) ولماذا تقولين هذا الان ؟ انا لم اقل شيئا عن ابي او جدتي او اي احد ..

الام : حسنا .. كنت اريد ان اقول .. ينبغي ان نحتمل جدتك.

الابنة : ومن الذي لا يحتمل جدتي ؟ نحن لا نفعل شيئا سوى ان نحتمل جدتي (تشير الى الدولاب) لماذا نبقى على كل هذه الفضيات التي لا داعي لها ؟ من اجل جدتي . ولماذا نشتري السمسم للعصافير؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اجل جدتي . ما الذي لا نفعله من اجل جدتي ؟

الام : (تتجه نحو الدولاب في بطء) ليس من اجلها فقط . لقد بعنا كل شيء . لم يبق لنا غير هذا الدولاب .

الابنة : ماذا ؟ لا افهم .

الام : (ناظرة اليها) ـ انا ايضا اريد ان تبقى هذه الفضيات... (في شيء من الحياء) لقد كانت هدية ابيك لي .

الابنة : (في بطء) ورغم ذلك فقد سمحت بان تبيعها ذات يوم .. مع بقية الاشياء . لم يوقفك شيء غير صراخ جدتي الهائج .

الام : (مواصلة كلامهـــا) ـ في يوم القران اتى لي بهـــذه الفضيات . (تسكت لحظة) .

الابنة : (كما لو كانت تكلم نفسها) انها تساوي مائة جنيه على الاقـــل .

الام : واشترينا الدولاب بعد ذلك .

الابنة : عم تتكلمين يا امي ؟

الام : (كما لو كانت تفيق من حلم ، تتجه نحو ابنتها) ـ نعم ، كنت احكي لك عن ابيك رحمه الله . لقد حلمت به الليلة .

الابنة : (تنظر لامها نظرة قصيرة ، ثم تعود للكتابة) .

الام : (تتجه نحو ابنتها وتكلمها في تودد) الم تتعبي بعد مـــن الكتابة يا حبيبتي . (تقف قبالتها) كنت اريد ان اقول ...

الابنة : (بينما تكتب) كنت اريد ان اقول اننا تكلمنا كثيرا في هذا الوضوع يا ماما . (في هدوء) . لن اذهب الى الكلية الا اذا اشتريت لي فستانا جديدا .

الام : ولكنك تعرفين كل شيء . تعرفين انني لا املك شيئـــا . ان صاحب البيت ...

الابنة : (كما لو كانت تردد درسا من المحفوظات) ـ لم يستلم الايجار ، وكذلك البقال ، والجزار والعالم كله ...

الام : حسنا . ما دمت تعرفين كل شيء فانك ..

الابنة : نعم انني اعرف كل شيء ؟ (فترة تعود الى هدوئهـــا المتكلف) ـ انا لا الوم احـــدا . ولا اطلب العمر . سابقى في البيت الى ان تحصل معجزة وتجيء الفلوس . كل مـــا في الامـــر انني لا استطيع أن اذهب الى الكلية بفستان واحد الى الابد .

الام : ولكنه لم يتمزق .. وتستطيعين ان .. بل انه يكاد يكون جديدا !

الابنة : (ترفع راسها ثانية وتتكلم كما لو كانت على وشـــك البكاء) : ماما ! ان بعض البنات عندنا يرتدين فستانا كل يوم !.. وانا لا يهمني ذلك . انا لا اريد الابهة . كل ما اريده هو الا ينظر لي الاولاد والبنات في كل وقت ليقولوا : مسكينة ! انها لم تغير هـــذا الفستان منذ ان دخلت الكلية ! »

الام : (تضع يدهـــا على كتف ابنتهـــا وتقول في حنان) : يا حبيبتي ! هل يقولون لك هذا ؟

الابنة : (في شيء من الضيق) بالطبع لا يقولونه لي يا امي ، ولكنني اراه في عيونهم .

الام : هل اغضبتك يا حبيبتي ؟ قولي انك لست غاضبة مني .

الابنة : ولماذا اغضب منك يا ماما . فقط كنت اشرح لك ، حتى لا تظني انني اطلب القمر . انا لا اطلب القمر ، ولا اضايق احدا . لقد قلت لصاحباتي انني مريضة . ولذا فهن يرسلن كراســـات المحاضرات لانقلها . قلت لهن ان لدي روماتزم في المفاصل (ثم وهي تضحك بعد فترة) وفي الحق ان اقدامي تؤلمني من السير الطويل كل يوم الى الجامعة !

الام (شاردة) نعم . نعم . انا لا اريد ان تغضبي مني فالله يعلم انني افكر طول الوقت واحاول ان ادبر الامور ، ولكن ..

(يسمع جرس الباب . تنتبه الام) .

لعله زائر . والبيت بهذه الفوضى ! خبئي هذه « الكراكيب » اصلحي المفرش .. او .. اسمعي ، نظفي انت غرفة الجلوس بينمـــا ارتب انا الصالة . (تقف الابنة عاجزة عن متابعة ارشـــادات الام المتلاحقـــة) .

الابنة : (بهدوء) وهل نقول للطارق ان ينتظر حتى نفعل هذا ؟

(تتقدم الام من الخالة وتتبادلان القبل) .

المائدة . تفتح الابنة الباب وتدخل الخالة) .

الابنة : كيف حالك يا خالتي ؟

الخالة : بخير يا حبيبتي ..

(تتقدم الام من الخالة وتتبادلان القبل) .

الام : اهلا .. اهلا ... ما هذه الغيبة الطويلة ؟

الخالة : وهل تسالون انتم ؟ كيف حالكم جميعا .. اوف لهذا السلم المتعب !

(تجلس على أول مقعد يصادفها ، وهو المقعد الذي كانت تجلس عليه الابنـــة) .

الام : ايـــه ... لم نعد شبابا يا اختي الحبيبة .. هيا يـــا بنتي .. احضري القهوة .

الخالة : لا داعي لذلك . سانزل حالا .

(تخرج الابنة من الممر) .

الام : (تجلس في المقعد المجاور للخالة) كيف حالكم ؟ وكيف حال الاولاد ، والحاج ؟

الخالة : (وهي تتنهد) نحمده على اية حال . الاولاد لا يكفون عن الشجار ، والحاج لا يكف عن المطالب .

الام : الاولاد لا يكفون عن الشجار في اي مكان . قبل ان تاتي الى هنا كانت ابنتي تتهم اخاها بالعبط .

الخالة : (وهي تضحك) في الحق ان ابنك طيب القلب جـــدا (مستدركة) ولكنه ليس عبيطا ..

الام : انه رجلنا على اية حال . لولا انه يعمل في تلك الشركة

هيروشيما حبيبي ..

ماساة الحرب .. والحب !

قصة رائعة بقلم مارغريت دورا اخرجت في فيلم ما يزال يثير حتى اليوم ضجة كبيرة في اوساط العالم ويشهد اقبالا لم تعرفه الا افلام رفيعة نادرة .

ولم يسبق لقصة ان عبرت كهذه القصة تعبيـــرا دقيقا رائعا عن الصلة التي تربط بين الحب والحرب من حيث عنصر الفاجعة .

والواقع ان المؤلفة قد وفقت توفيقا كبيرا في رسم نفسيتي الرجل الياباني والمراة الفرنسية اللذيـــن يعيشان هذه المأساة : ماساة الحرب .. والحب !

الثمن ١٥٠ ق.ل

منشورات دار الاداب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليل نهار لما استطعنا ان نعيش . لقد ترك مدرسته ليعولنا .
الخالة : هذا حق . يكفي انه يعمل . اما انا فتعالي .. انظري ماذا يفعل ولدي : لا هم له سوى ان ينغص على اخته حياتها . منذ ايام قلب الدنيا وأحال البيت ثورة لانها لبست فستانا قصير الكم . ولم يكفه هذا ، بل ذهب الى ابيه واخبره .
الام : وماذا فعل ابوه ؟
الخالة : تشاجر معي .
الام : انت ؟
الخالة : نعم : انا ! اتهمني انني ادلل البنت وافسدها وطلب مني ان اصلح الفستان حالا ليصبح حشمة .
الام : (واجمة) وفعلت ذلك ؟
الخالة : قلت له انني ساصلحه ، وخرجت من عنده فدخلت هي وبكت ، واقسمت ان الفستان حشمة فطيب خاطرها وسمح لها ان ترتديه .
الام : (وهي ما تزال شاردة) عجيب !
الخالة : نعم .. نعم .. هكذا تجري الامور في بيتنا .. كلمة من ابنته او دمعة تحل كل شيء . اما انا فمهما قلت او فعلت فانا على خطأ . من مطلع الصباح حتى النوم !.. انه يريد ماء الوضوء دافئا ، فاذا اعددته له فلا بد ان يكون اسخن من اللازم او ابرد من اللازم . الاكل لا بد وان يكون فيه عيب ما . واذا اخطأ الاولاد فانا السبب دائما .. و ..
الام : (وهي تبتسم) هذه الاشياء البسيطة ! انها هي الحياة..
الخالة : (مواصلة كلامها) ـ حتى القهوة ! القهوة التي اعملها له من عشرين عاما لم تعد تعجبه . سكرها قليل . بنها رديء .... ثقيلة .. خفيفة .. ومن اجل ذلك ، واسمعي ، فانه يسهر على المقهى كل ليلة .. فاذا سالته عن السبب كان رده جاهزا ـ انهم هناك يقدمون له « قهوة » ـ هكذا يقول !
الام : ولكنه في بعض الليالي يعود مبكرا ، اليس كذلك ؟
الخالة : نعم .
الام : وفي بعض الاحيان تعجبه القهوة والاكل ؟
الخالة : مرة في السنة !
الام : هذا يكفي . الا يكفي هذا ؟ ماذا نريد من الحياة غير ان نرضي رجالنا . او نعمل لارضائهم .. اذكر ان المرحوم ..
الخالة : (بسرعة) فليرحمه الله يا اختي. (بعد فترة) انك لا تتكلمين عن شيء سواه طول الوقت وطول عمرك .
الام : (بلهجة الفجيعة) وماذا كانت حياتي بدونه . هل انسى؟
الخالة : (في دهشة) ولكنك حزنت عليه بما فيه الكفاية !... ثلاث سنوات افنيت نفسك في الحزن .. فلتفكري الان في نفسك.. في اولادك ..
(تدخل الابنة حاملة صينية عليها فنجان من القهوة وكوب من الماء وتقدمها للخالة) ..
الخالة : اشكرك يا حبيبتي (تتناول الكوب) كيف حالك ؟
الابنة : الحمد لله يا خالتي .
الخالة : وكيف حال المذاكرة ؟.. قالت لي ابنتي انك لا تذهبين الى الكلية ....
الابنة : عن اذنك يا خالتي ! (تضع الصينية على المائدة وتخرج مسرعة من الغرفة عبر الممر) .
الخالة : مالها ؟
الام : (مرتبكة) انها متعبة بعض الشيء .. تشاجرت مع اخيها (مستدركة) ولديها روماتزم في المفاصل !
الخالة : مسكينة ! في سنها هذه تشعر بالحاجة الى من يرعاها .
الام : كان ابوها احسن الاباء ..
الخالة : (بهدوء وهي ترشف القهوة) .. عندي اب لها !

الام : ماذا ؟
الخالة : (تضع الكوب على المائدة) لا داعي للف والدوران .. لقد كنت امر من هنا صدفة ـ ولكنني رايت ان آتي لاكلمك الان .
الام : (في دهشة عظيمة) تكلمينني عن ماذا ؟ قولي .. انت لا تقصدين .
الخالة : (وهي تحدق في وجه الام باهتمام) هل تعرفين ابن عم زوجي ؟
الام : (في استنكار) الفلاح ! (ثم مستدركة) ذلك المزارع الغني ؟
الخالة : نعم ، انه ليس غنيا فحسب ، ولكنه رجل طيب القلب، و ...
الام : (تقف وتتكلم بلهجة غريبة) تعلمين ان ابنتي في الجامعة!
الخالة : نعم ، ولكنك ما زلت شابة وجميلة ، وهو يناسبك في السن .
الام : (كما لو كانت لم تسمع) : وان اباها كان محاميا ...
الخالة : عجبا ، وما علاقة هذا بالموضوع ؟
الام : (وهي تتحرك في عصبية) ان ابنتي في الجامعة .. وكان ابوها محاميا .. كان زوجي ... وكان زوجا طيبا ..
الخالة : وقد اخلصت له في حياته .. وحزنت عليه عندما مات ... وهذا يكفي .
الام : وكان لا يبخل علي بشيء .
الخالة : اعرف .
الام : (تنحني وتقترب بوجهها من الخالة) كان لدينا تليفون ، اتسمعين ؟
الخالة : ....
الام : وكان سيشتري سيارة كبيرة . كانت امه تملك ارضا ، وابوه موظفا كبيرا ..
الخالة : (وهي تذرع الغرفة) فقط كنت اريد ان اقول ...
الخالة : ماذا كنت تريدين ان تقولي ؟ (تدرك فجأة) آه ، تريدين ان تقولي انك لا تستطيعين ان تتزوجي فلاحا لان ابنتك في الجامعة. ان زوجي ليس محاميا . ولكنه تاجر . وابنتي في الجامعة ! وجارنا محام وابنته ليست في الجامعة . فما اهمية ذلك . (بعد فترة) ثم انه ليس فلاحا . انه يلبس بذلة !
الام : (تقترب منها وتبسط يديها) ليست هذه هي المسالة !
الخالة : ما هي المسالة اذن ؟ اريد ان افهمها ..
الام : (تسكت لحظة ثم يرتخي ذراعاها) .. لا استطيع ان اشرحها لك .. (تسكت ثانية) لا اريد ان اتزوج . هذا هو كل ما في الامر .. لست شابة . و ..
الخالة : (تسكتها) دعي هذه الحكاية . انك تعجبينه كما انت . وهو يريد ان يتزوجك .
الام : (تقف قبالتها) ولكنني لا اريد . هذه هي الحقيقة .
الخالة : (تحدق في وجهها في ثبات) لا تريدين .. هه ؟ شخت وزهدت في الدنيا واصبحت لا تريدين الزواج .. هه ؟
الام : (تحول نظرها عنها) لا اريد . يا ربي . ماذا يقول اولادي ؟
الخالة : دعي اولادك لي . (في حدة) ماذا يريد اولادك ؟ ان تموتي من اجلهم ؟ ان تموتوا جميعا من اجل لقمة العيش ؟.. ها هي النعمة تسعى اليكم .
الام : (ترفع راسها وتقول في قسوة) نحن لم نشحذ !.. نعم ، لسنا كما كنا في اول الامر . ولكننا لم نشحذ ، ولا نريد ان يشترينا احد .
الخالة : (تضحك) يا سلام ! هذا العرق التركي كنت اظنه في اولادك فقط فقد ورثوه عن جدتهم . اما انت فممن ورثته ؟ (تقلدها) : « لن يشترينا احد » ! من قال ان احد يريد ان يشتريكم.

هل الزواج شراء ؟ لم اسمع بشيء كهذا من قبل . ان تجد المراة زوجا يحبها ، وابا لاطفالها . رجلا بمعنى الكلمة . الا يستحق هذا مجرد التفكير ...

الام : (في تردد) ومن ادراك ان فيه كل هذه الصفات ؟

الخالة : (في حماس) انا اعرفه . الست اعرفه جيدا ؟ انه ابن عم زوجي ! كيف كنت اختاره لو لم اكن اعرفه ؟

الام : (في دهشة) تختارينه لي ؟ هل انت التي كلمته ؟

الخالة : بالطبع لا . هل جننت ؟ حسنا .. انت تعرفين انه قد رآك عندي اكثر من مرة . وبعد وفاة المرحوم فاتحني في ان .. في ان يتقدم ، ولكنني قلت له ان ينتظر الحداد . ثم ماتت امه هو . وجاء سبب اخر . اما الان فقد حان الوقت . اليس كذلك ؟

الام : (متبلدة) نعم ؟ حان لماذا ؟

الخالة : لماذا لكي تتزوجا بالطبع !

الام : ومن قال انني ساتزوج ؟ انا لم اقل شيئا كهذا (في مواجهة الصورة الكبيرة) ماذا يقول اولادي ؟

الخالة : سيفرحون لان امهم ستسعد .

الام (بلهجة الفجيعة القديمة) سعادة ! ان امهم لم تعد تعرف معنى السعادة .

الخالة : تستطيع ان تعرفها من جديد . فهي لم تزل صغيرة .

الام : (تضحك ضحكة جريحة) ليس هذا هو ـ (تضحك ثانية) فلنترك هذا الموضوع !

الخالة : (في اصرار) لا . لا بد ان اعرف رأيك الان . انا اعرفك جيدا . انت لا تريدين ان تفعلي شيئا سوى ان تبكي وتغلقي عليك باب غرفتك . تماما كما كنت وانت صغيرة . ولكن عليك ان توافقي . الان . في هذه اللحظة . من اجل اولادك .

الام : (تضحك فجاة) .

الخالة : ما الذي يضحكك الان ؟

دار الاداب تقدم

سلسلة الجوائز العالمية

أروع الروايات التي فازت بجوائز عالمية وترجمت الى عدة لغات ، ولا غنى للقاريء العربي ، اذا اراد ان يستكمل ثقافته الادبية ، من الاطلاع عليها .

ويسر «دار الاداب» في بيروت ان تضطلع بهذه المهمة ، فتقدم قريبا جدا ، وبالتتالي ، حلقات هذه السلسلة ، مترجمة الى العربية ترجمة دقيقة امينة باخراج انيق .

ترقبوا الإعلان عنها
في اعدادنا القادمة

الام : كنت اتساءل دائما عن السبب .. السبب الذي يجعله .. هذا الرجل الكبير الوقور يزور ابني !

الخالة (وهي تبتسم) انه يحب اولادك ..

الام : اواثقة انت انه يحب اولادي ؟

الخالة : واثقة تماما . كثقتي من نفسي . كثيرا ما قال لي عن ابنك « ما اطيب هذا الولد » انه يحبه كابنه . اما ابنتك فهو..

(تندفع الابنة داخلة من الممر وتقف لحظة وهي تجيل ببصرها بين امها وخالتها)

الابنة : امي !

الام : نعم يا بنيتي ..

الابنة : خالتي !

الخالة : نعم (فترة)

الابنة (في تردد) جدتي! جدتي سمعت.. انك هنا وهي تريد ان تراك ...

الخالة (في لهجة فاترة وهي تقوم) حقا ؟ وكيف حالها ؟ انت تعلمين انني كنت على وشك ان انزل. (تضحك بينما تتجه نحو الممر) عساها لا تحكي لي عن استانبول ، فالحاج في انتظاري ...

(تخرج الخالة ، تقف الابنة امام الدولاب يبدو عليها الاضطراب. الام في الطرف القابل . فترة)

الام : (تبتسم في تودد) تعالى هنا يا بنيتي..

(الابنة لا تتحرك فتتقدم منها الام ولا يفصل بينهما غير المائدة في صوت خفيض) لماذا تعاملين خالتك دائما بهذه الطريقة ؟ كادت تغضب لولا انني قلت لها ..

الابنة : (في صوت عال) اذا كانت ستتكلم (ثم بصوت خفيض) اذا كانت ستتكلم عن ابنتها وتباهي بدلالها فلست اطيق ان استمع لها لحظة .

الام : (تضحك ضحكة قصيرة) لماذا ! انها بنت طيبة وانت لا تقارين منها .

الابنة (في الم) بالطبع انا لا اغار منها يا امي .. انا لا اغار..

الام : نعم انت لا تغارين منها . انني اعرف ان ابنتي بنت عاقلة ..

الابنة : فقط انا لا احب ان استمع اليها .. لا احب ان استمع اليها وهي تباهي .. لا احب ذلك ...

الام : يا بنيتي المسكينة ..

الابنة : لست مسكينة ! ولا احب ان يقول احد هذا .

الام : (في حنان) ابنتي الجميلة لا تجد من يباهي بها ، وهي زينة البنات ..

الابنة : لا تتكلمي عن هذا الان ! ارجوك !

الام: (مواصلة كلامها) نعم.. نعم ، الست في حاجة الى من يباهي بك ويدللك (تتاوه) لو كان ابوك حيا .

الابنة : ارجوك يا ماما ! لم كل هذا العذاب ؟ هل قلت انني اريد ان ادلل ؟ انا لا اريد ان يدللني احد .

الام : ولكن لماذا تغضبين ؟ ان اي بنت تود ..

الابنة (صارخة) : يا ربي ! كفي عن هذا الان يا امي

الام : ما الذي اغضبك يا حبيبتي ؟ كنت اريد ان اقول لك ... ان ابنة خالتك .. الست تودين لو كنت مثلها .. لو كان لك انت ايضا ...

الابنة : (واضعة يديها على اذنيها) لا اريد ان اسمع هذا الكلام ... لا اريد .. لا اريد !!

الام : لماذا ؟ انك ..

الابنة : (باكية) امي .. امي. انك لن تتزوجي هذا الرجل !

الام : (بصوت لا يكاد يسمع) ماذا ما الذي ـ (تسكت) (فترة تحدق كل منهما في الاخرى بينما تضع الابنة يدها على فمها لتكتم بكاءها ـ يسمع طرق على الباب . تتجه الابنة نحو الباب وتفتحه . يدخل الابن)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الابن : (بلهجة الظافر) جئت بالسمسم !

الابنة : (وهي تبكي) يا للفرحة (تندفع خارجة من الممر)

الابن : (يقف مندهشا) اية فرحة ؟ هه ؟ ولماذا تبكي ؟

الام : (ترفع راسها وتكلمه وهي شاردة) لقد اتت خالتك .

الابن : وما الذي يجعلها تبكي اذا كانت خالتي قد اتت؟

الام : (في ضيق) لست ادري لماذا تبكي . انها تبكي . خالتك بالداخل عند جدتك .

الابن (وهو يتجه نحو الممر) لا احد يفهم احدا ! (يخرج من الممر)

(تبقى الام وحيدة . تتجه نحو الدولاب في خطوات بطيئة وترفع من فوقه شيئا ثم تضعه مكانه . تدخل الخالة)

الخالة : (وهي تضحك) لم افهم حرفا مما تقول ! انها تتكلم عن الف شيء . عن العربات التي تجرها الخيول . وانواع الفطير ، والعزبة اوف ! (تجلس)

الام : لقد تعودنا على ذلك

الخالة : انني احسد حماتك على هدوء بالها .

الام : (فجاة) نعم ، انها حماتي !

الخالة : (في دهشة) ـ اعرف ذلك !

الام : (في ارتباك) ـ فقط كنت اريد ان اذكرك بهذا ـ اين تعيش هي لو انني..

الخالة (وهي تضحك) : لو انك تزوجت . يا له من سؤال قلت لك انني اتيت لك برجل . رجل لا طفل . (تضحك ثانية) ام تتصورين انه سيفار منها .

الام : كلا .. كلا .. انا لم اقصد ان هذه هي المشكلة . (محذرة) وانا لم اقل انني وافقت (بينما تسير) يا ربي ، لست اعرف حتى كيف اتكلم .

الخالة : هذا صحيح يا اختي . فانا لا افهمك

الام : نعم ، انني حائرة ..

الخالة : ولماذا انت حائرة ؟ (تقوم وتقترب منها)

الام : لماذا ؟ ـ هناك اشياء كثيرة .. انني اريد سعادة اولادي..

الخالة : (مقاطعة) وسعادتك

الام : (مواصلة كلامها) كنت اظن انهم لو استطاعوا التخلص من.. فسوف ـ ولكن

الخالة : التخلص من ماذا ؟ ـ سوف ماذا ؟ ولكن ماذا ؟ لماذا لا تجربي ان تقولي كلاما مفهوما ؟.

الام : (منفجرة) ولكن اولادي لا يريدون ذلك . هذه هي الحقيقة .

الخالة : من ادراك انهم لا يريدون (في ثقة) سيريدونه عندما يجدونه . ام تظنين انهم سيتركون لك البيت لو تزوجت . لا احد يفعل ذلك في هذه الايام .

الام : كلا اولادي كانوا يحبون اباهم كثيرا . لقد نزعت صورته لانهم كانوا يبكون كلما رأوها .

الخالة : وسيجدون لهم ابا جديدا ..

الام : كلا ، لقد كان ..

الخالة : (في ضيق) حسنا (تاخذ حقيبتها من فوق المائدة) انا لن الح عليك اكثر من ذلك (تتجه نحو اختها من جديد) كنت اظن انه سيسعدك ان يكون لك ولاولادك . (تسكت فجاة وتمسك اختها من كتفيها وتقول بقوة) ماذا في الدنيا يساوي ان يكون للمراة رجل ؟

الام : (تضحك ضحكة قصيرة حرجة) اذا كان لها اولاد فانها ..

الخالة : فانها تموت من اجلهم ! تضيع شبابها وتموت ! حسنا انت حرة

(تتجه نحو الباب)

الام : كلا ، تعالي

الخالة : نعم

الام : (في خجل) هل انت ذاهبة ؟. كنت اريد ان اقول ... ولكن .. مع السلامة .

(يدخل الابن من الممر)

الابن : هل انت ذاهبة يا خالتي ؟

الخالة : نعم يا بني ، سيقلق الحاج لو تاخرت اكثر من ذلك . ولكن (تستدير) ..

ولكن تعال انت .. ربما امكنني ان اتفاهم معك .. اسمع .. الا تهمك سعادة امك ؟

الابن : بالطبع .. سعادة امي تهمني

الخالة : اذن فهل ...

الابن : (يقاطعها) .. نعم .. نعم .. انا اعرف

الخالة والام : ماذا تعرف ؟..

الابن : اعرف انك تريدين ان تزوجيها ..

الام : اوه ، كيف تقول ذلك يا بني؟

الخالة :من قال لك ؟ .. ولكن لا يهم .. حتى لو كنت اريد ان ازوجها كما تقول ..فهل في هذه عيب ؟

الابن : كلا . ابدا . لقد تزوج النبي عليه السلام ارملة .

الخالة : نعم ؟

الام : ماذا تقصد ؟

الابن : (محرجا. يبسط يديه) كنت اريد ان اقول ان هـذا حلال!

الخالة (تضحك وتكلمه كما لو كان طفلا .) ولكننا نعرف انه حلال ... وما نريد ان نعرفه الان هو : هل توافق انت ؟

(تدخل الابنة بخطوات وجلة وتنزوي في ركن الغرفة بين الدولاب والممر)

الم تضح امك من اجلكم طويلا .

الابن : نعم ، امي تضحي من اجلنا دائما ..

الخالة : اذن فمن حقها الان ان تلتفت لنفسها ما دمت انت قد كبرت وصرت رجلا ، كما كبرت اختك

الابن : نعم نستطيع الانَ ان نعيش بمفردنا ..

الام : لا تقل هذا يا بني!

الابن : (في حماس) كلا يا امي.. انا لا اهزل .. لسنا اطفالا ولن نبكي .. ومن حقك ان تعيشي .. فانت ما زلت جميلة .. ولكننا سنسكن بمفردنا من اجل جدتي ..

الام : يا بني ...

الابن : ما زلت جميلة و... (يشير الى اخته) سنفرح دائما لانك سعيدة .. اليس كذلك ؟ ..

الابنة : نعم يا ماما .. سنفرح كثيرا .. انا اسفة لما قلت (تبكي بصوت خافت)

الابن وسنزورك كثيرا .. وربما سكنا بجوارك ، من يدري ؟

(ينظر نحو اخته بفخر ويقول كما لو كان يكلم نفسه : انا لم اذهب الى الجامعة ، ولكنني اعرف ما يجب عمله ، اذا كانت امي تريد ان تتزوج فلتتزوج

الخالة : (بلهجة ظافرة) ارايت ؟

الام : (بنبرة باكية) ماذا رأيت ؟

الابن : (محاولا ان يخفف التوتر) : رأيت انني ولد عاقل ولست صغيرا .. نعم (ينظر نحو الصورة المعلقة) وساربي اشنابا كبيرة كجدي ولكنني لن ابدد ثروتي مثله .. ها.. ها..

(ينظر له الجميع. لا يضحك احد. تسمع همسة وصوت اقدام من ناحية الممر . تدخل الجدة)

الابن : جدتي! لماذا خرجت من غرفتك!الم تسمعي ما قاله الدكتور؟

الجدة (عند المدخل ، في صوت مرتعش) تعال يا بني ، تعالوا جميعا ...

الابن : ماذا يا جدتي ؟ ماذا حدث ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدة : تعالوا انظروا .. لقد ملات العصافير الشرفة ... ملاتها (تضحك) .. الاف من العصافير . (تقف الان بمدخل الغرفة وظهرها لمصدر الضوء) عصافير كثيرة جدا يا بني . وهي تصفر (تنظر نحو الام) هل تذكرين ؟ كان عندنا عصافير كثيرة تصفر. وعصافير حمر في القفص . هل تذكرين ؟

الابنة : (تضحك بالرغم منها) ليست هناك عصافير حمر يا جدتي..
الجدة (في غضب) : قولي لابنتك ان تسكت
الام : اسكتي يا حبيبتي ...
الخالة : (هامسة) تقصد بالعصافير الحمر ...
الجدة : (في صوت عال) قولي لها ان تسكت . (تلتفت للابنة) ماذا رايت انت يا جاهلة في ايامك السوداء ؟ (في حدة) قولي لها ان تسكت (مواصلة) كان لدينا عصافير حمر في قفص وكانت تاكل السكر .
الابن : (ضاحكا) السكر ؟
الجدة : نعم ، السكر ، وكانت الخيول ايضا ، تأكل السكر . وكانت عندي ارانب كثيرة اربيها ، ولكنها لم تكن تأكل السكر . (تضحك ضحكة طويلة) ومرة ركبت الحصان فجرى الحصان وصرخت ... (تصرخ) .
الخالة : (في سأم) انا ذاهبة ..
الابن : الن تذهبي لمشاهدة العصافير يا جدتي ؟
الجدة : (تهمهم همهمة غير مسموعة ثم تواصل كلامها) .. نعم نعم جرى جدك وامسك بالحصان ، فكم يكن معنا احد سوى الفلاحين ..

الام : (بسرعة) خد جدتك الى غرفتها يا بني..
الابن (يتقدم من الجدة) هيا.. هيا يا جدتي..
الجدة : (تهمهم وهي تنظر امامها ثم تصيح فجاة) هل ملات الساعة يا بني ؟

عدد ((الاداب)) الممتاز

تقدم ((الاداب)) في مطلع العام القادم ، ١٩٦٢ ، على مالوف عادتها كل سنة ، عددا ممتازا في موضوع :

الاتجاهات الفلسفية في الأدب المعاصر

وسيكون حافلا بالدراسات العميقة التي تتناول بحث مختلف النزعات الفلسفية كما تظهر في الاثار المعاصرة للاداب العالمية .

الابن : (في دهشة وهو ينظر وراءه) اية ساعة ؟ (متذكرا) آه الساعة ..
الابنة : انها لا تدور
الابن : (يتجه نحو الدولاب ويمسك بالساعة الصغيرة فوقه) الساعة !
الجدة : (صارخة ، تتقدم خطوتين) ماذا تقول هذه البنت ؟ لا تدور ؟ اهي حقا لا تدور ؟
الابن : (بسرعة) كلا .. كلا.. يا جدتي .. انها تدور ..
الجدة : انا اعلم انها تدور .. انها ساعة جدك .. يجب ان تملأها كل يوم (تهمهم) .. نعم .. جرى الحصان ولم يكن هناك فلاحون ابدا .. لم يرض جدك ان يقترب مني الفلاحون ..
الام : (بصوت باك) اسكتي الان يا امي ..
الجدة : كنت اذهب الى العزبة واركب الحصان واطعم الحصان السكر ولكن الفلاحين لم يروني ابدا .. ابدا .
الام : (باكية) ما الذي ذكرك بهذه الحكاية الان ؟
الابنة : (فجاة ، تجري نحو جدتها وتمسكها من يدها) الحقي يا جدتي.. العصافير !
(تسحب الجدة من يدها ، وتخرج معها من الممر)
الام : (تنحني على المائدة وهي تبكي) لماذا قالت .. لماذا قالت ذلك الان !

الابن (مرتبكا) نعم ، اه لقد ذهبت (يضع الساعة على الدولاب).
الخالة : (تتاهب للانصراف مخاطبة الام) هل امر عليك في وقت اخر لنتكلم !..؟

الام : (في صوت عال) ..لا .. لا.. (ثم في خجل) بالطبع تستطيعين ان تمري في اي وقت ولكننا لن نتكلم عن هذا الموضوع ثانية ... ابدا ..
(تسمع ضجة من ناحية الممر . تدخل الجدة مرة ثانية تتبعها الابنة التي تحاول الامساك بها)
الجدة : دعيني قلت لك . هل ملات الساعة يا بني ؟
الابن : (يمسك الساعة ثانية بسرعة) نعم يا جدتي . لقد ملاتها .
الجدة : اياك ان تنساها ، لقد كان ابي يقول : ((يجب ان يملا الرجل ساعته كل يوم)) . وكان يقول : ((الساعة اهم شيء للرجل)). كان لديه عربة وحصانان (تهمهم)
الخالة (تتجه نحو الباب ، تتبعها الام بخطوات بطيئة) ولكن ... لماذا ؟ لماذا ؟
الام : (في صوتها الباكي تشير بيديها) انت ترين . نحن نعيش معا.
الخالة : (تقول كلمة غير مسموعة عند الباب)
تخرج الخالة . تعود الام الى المائدة ، وتجلس ، وقد اسندت راسها الى يدها

الجدة : (في صوت عال) وعندما مات حصانه الابيض اشترى حصانين . كانت ساعته من ذهب ، وساعته لم تقف ابدا . الا تدور يا بني ؟
الابن : (مؤمنا بصوت خافت وظهره للمسرح) نعم يا جدتي . نعم (تتقدم الابنة من الام وتضع يدها على كتفيها بينما تهمهم الجدة مرة اخرى) لا تبكي يا ماما .. لاتبكي .. ماما .. ساذهب الى الكلية غدا .. ولكن . لا تبكي .. لا تبكي . نعم يا جدتي . نعم .. انها تدور ..

(ووسط كلمات الابن ، ومحاولات الابنة ، وهمهمات الجدة ..)
(يسدل الستار)

بهاء طاهر

الشيخ ابو الفضل الوليد

بقلم نديم آل ناصر الدين

هو الياس بن عبدالله بن الياس بن فرح طعمه المعروف بابي الفضل الوليد . ولد في السنة الـ ١٨٨٩ للميلاد في قرنة الحمراء من قاطع المتن ، ودخل مدرسة القرية في السادسة من سنه ، وفي اواخر السنة الـ ١٨٩٩ للميلاد دخل مدرسة عينطوره ، فدرس فيها ثلاثة اعوام ، وكان بنجاحه واجتهاده من المتفوقين، وفي السنة الاخيرة ظهرت مقدرته السليقية في الانشاء .

وفي السنة الـ ١٩٠٣ للميلاد اكب على درس العربية في مدرسة الحكمة ، وكان قد برع في الافرنسية ، وفي ثلاثة اعوام اتم دروسه وكان من السباقين المبرزين ، وعاد الى البيت في صيف السنة الـ ١٩٠٥ للميلاد وعكف على التصنيف والتعريب ، فوضع عدة روايات تمثيلية .

وفي السنة الـ ١٩٠٨ للميلاد سافر الى اوروبة واميركة ، واستقر في برازيل اثنتي عشرة واصدر جريدته (الحمراء) في السنة الـ ١٩١٣ للميلاد الى السنة الـ ١٩١٧ للميلاد .

وفي نيسان من السنة الـ ١٩٢٢ للميلاد عاد الى وطنه ، وطبع في بيروت عدة مؤلفات ، وفي السنة الـ ١٩٢٥ للميلاد قابل جلالة الملك حسين في العقبة فاكرمه ومنحه لقب (شيخ) وهو ما يمنحه على الغالب العلماء المتضلعون ، وفي السنة الـ ١٩٢٩ للميلاد انتدبته لجنة من الاحرار لتمثيل لبنان في المؤتمر الشرقي في برلين ضد الاستعمار .

كان ابو الفضل الوليد من اعلام الادب والشعر والجهاد القلمي، امتلأ قلبه بحب العروبة منذ نعومة اظفاره فجرى على لسانه روائع من الشعر والنثر تقمصتها نفس ابية حرة تفجرت ثورة على العبودية والذل ، ومن المجمع عليه من نقاد الادب الثقات ان ابا الفضل الوليد كان احد فرسان الطليعة في الامة العربية الذين قوضوا بصرير اقلامهم معاقل الطغاة ، وايقظوا بشعل ادابهم هذه الامة التي طال عليها الهجوع تحت مطارق الاستعمار فافقدها كل مقومات السيادة ، ونشروا لها تحت كل سماء صور ماضيها الاغر ، يوم بسطت كفا على الشرق واخر على الغرب ، وفيهما مناور الحرية ومشاعل الحق .

ولابي الفضل الوليد ، فضلا عن علو كعبة في الادب والشعر ورسوخ قدمه في العلم ، وغلوه في الاخلاص لعروبته ، والحرص على محامدها والتغني بمفاخرها ، شمائل غر لا يملكها الا القلة من احرار العرب هي الصدق والوفاء والمروءة والحمية والامانة والانفة من العار ، وكان ابو الفضل الوليد كغيره من فحول الادب ، يرى من سجايا الادب الصميم، ان يتميز صاحبه بالرجولية الحق ، وقد تجلت رجولية ابي الفضل الوليد في منظومه ومنثوره ، فكان كلامه صواعق على رؤوس الظالمين ، واعاصير في وجوه الغاصبين .

وانهم ليظلمون ابا الفضل الوليد بما يتهمونه من كره لبنان والنبو عنه ، فان ابا الفضل الوليد على مغالاة في حب لبنان والمباهاة بايات جماله والاعتزاز بمآثر رجاله الاقدمين ، على انه ينكر على من ياخذون باقك المضللين ان تبلغ الغباوة منهم ان يصدقوا كون لبنان بريئا من العروبة وهو من العروبة على حد قوله ، لسانها وقلبها ووجهها .

روائع من شعره

قال ابو الفضل الوليد في عدوان ايطالية على ليبية ، ميميته المشهورة ، وفيها فضلا عن روحها العالية ، من بدائع الافتنان الشعري ما يسترق السمع ويملك اللب ، منها :

عودتني البسمات في ليل الهوى ... واجها في ليل خطب مظلم
فلرب زهراء الجبين رعيتها ... شوقا الى لمعان هذا المبسم
ولرب حاملة صواعق خضتها ... ذودا عن الوطن الذي لم يرحم
هي نخوة عربية دمنا بها ... يغلي فنهزأ بالعدى واللوم
يا يوم (برقة) قد شفيت نفوسنا ... لما انقضضنا كالبزاة الحوم
والسهل مياد الجوانب والوغى ... رعد وغيم فوق موج مرتمي
والصخر تلهبه سنابك ضمر ... كمطارق الحداد فوق مضرم
حيث العجاجة والصوارم لمع ... فيها كثوب بالجين مسهم
فلقد ضربت لاجل عينك املا ... ان تكرمي قلب المحب المكرم
ولقد ضربت لاجل ذكر جدودنا ... ليهز تربتهم صليل المخذم
ولقد ضربت لاجل عز بلادنا ... لاصون عرضا غاليا لم يثلم
ولقد ضربت لاجل نفس حرة ... جسمي بها مثل الاناء المفعم
ضربات بأس لو رأيت شرارها ... لظننته شعلا هوت من انجم
ثبت حبك بالسموع وانني ... لمثبت شرفي ومجدي بالدم
ابناء (رومة) كم فللنا جيشكم ... فعلت وراء البحر زأرة ضيغم
وعلى سهول بلادكم وجبالها ... رسخت حوافر خيلنا بالعندم
يا هند رفقا بالمحب افي الهوى ... صب لعمر ابيك لم يتألم
لا تنكري جلدي على وقع الظبى ... فلقد جسست جروح شهم مقدم
عودت جسمي ان يظل مجرحا ... ايكون رب السيف غير مكلم
يا حبذا الجرح الذي ضمدته ... بتوجع وتلطف وتبسم
او لست يا اخت المها عربية ... في الحرب لم تجزع ولم تتلثم
حكت الرجال بسالة فتعودت ... تجريد ابيض واعتلاء مطهم
فلقد رأيتك تضربين عداتنا ... بمشطب ينقض طوع منعم
والله انت ملاك خير بيننا ... يا حبذا حسنات هذا المعلم
فتاحة لجروحهم ضمادة ... لجروحنا سلمت يمينك فانعمي
فمن الجراح سليمة اجسادنا ... ومن اللحاظ قلوبنا لم تسلم

امثلة من نثره

جاء في مقاله (عروبة لبنان) قوله :

« ... وبرز فريق من اهل لبنان العريق في العربية يتبرا من العروبة باغواء الاجانب فاصبح يكره ما احبه .

ما اكفر هذا الفريق بالنعمة ، وأنفره من الحسنى ، ومن قبله فضل قوم موسى البصل في العبودية على المن في الحرية ، وقد علم ان الشرف والمجد تحت العباءة العربية ، وان حضارة العرب جعلت بغداد عاصمة اسية ، وقرطبة عاصمة اوروبة ، والقاهرة عاصمة افريقية .

لا عتب ولا لوم والشعوبيون عقولهم كعيون الحسيرين . وما انكر

العرب الا من جهل لسانهم ومآثرهم ، ان الافرنج يعرفوننا عربا ، ولكن فئة منا لا تريد ان تعرف نفسها ، اليس هذا منتهى الضلالة والعناد ؛

ان لبنان عربي بدمه وطبعه ولسانه ، عربي باخلاقه وادابه وعاداته ، عربي بامثاله واشعاره واخباره واثاره ، عربي بقبوره وبيوته وصخره وترابه ، عربي باذكار ماضيه وامال اتيه ، فيه يرقد امراء العرب وابطالهم وشعراؤهم وعلماؤهم ، وعليه يرقب اعقابهم نجوما من ظلم الاحداث ، فليس للاجانب والخوارج الا الحرمان والخذلان » .

وجاء في مقاله (الاسماء اذكار) قوله :

« ... القاعدة الثابتة في الامم ان تعرف الجنسية من العلمية ، اما هذه الامة فقد شذت بكل شيء حتى في التسمية ، هل اشد حمقا من عبود ومنة حين يسميان اولادهما شرل وشرلوت وهنري وهنريات ؟ فنسبة هنري الى عبود منكرة كلبسة الكمة الافرنجية على العباءة العربية ، ان بينهما تباينا وتافرا يدلان على السخافة والسماجة ، فالعياذ بالله من عمهان العقول والقلوب وغلاظة الاذان والاكباد .

المفتونون يحولون لفظ الاسماء المشتركة وهي اسماء الانبياء والقديسين فيجعلون بطرس (بيار) وحنا (جان) وطانيوس (انطوان) ويوسف (جوزاف) ويصغرونها على الطريقة الافرنجية لتصير الغباوة بلاهة ، فيزيدون الضليل ضلة والعليل علة ، فما اقبح التطرف من الذي يقصد التظرف ..

تسمع الوالدة تنادي ولدها يا (طوني) ويا (زوزو) وهما تصغيران لانطوان وجوزاف وما ذلك منها تصغير تحبب بل تصغير تكلف ، ويناديها يا (ماما) وهو يحلق لحيته او يفتل شاربه وقد بات علجا عنيفا ، لم هذا التحذلق والتخنث ، لان طانيوس ويوسف اسمان بلديان ولفظهما عربي فخجل به المتمدنون والمتمدنات ..

الام تقول (طوني) و (زوزو) دلالا ودلالة على ان فيهما رائحة افرنجية ، وتغضب من لفظة (امي) لظنها انها تكبر سنها ، وتسوءها كنيتا ام طانيوس وام يوسف بقدر ما يسرها كنيتا ام انطوان وام جوزاف ، وقد تابى الكنية لانها تشعر بالامومة والامومة تشعر بالكهولة هذه الحماقة سواء فيها الخواص والعوام لفساد الاداب والاخلاق .»

في ما تقدم امثلة من الشعر والنثر لصاحب الترجمة تدل على طهارة عرقه ونزاهة قصده وصدق جنانه وجم وفائه لامته وعروبته ، واثار ابي الفضل الوليد من الشعر والنثر لا تنزل بسوادها عن مقام الفحولة في الادب العربي ، فضلا عما تتقد به من روح البطولة وشعلة الايمان ، على ان اسلوبه اذا هبط احيانا عن المستوى الذي عرف به ابو الفضل الوليد ، فمجاراة لافهام العامة وهو ما طبع عليه رهط من كبار كتاب العرب متقدميهم ومتاخريهم في مجاراة افهام العامة .

وكان ابو الفضل الوليد على غاية الاعجاب ببني معروف الاوائل وعلو شمائلهم وله فيهم (المعروفية) و (الدرزية) من غرر الشعر و (تحية الاريحية) من بدائع النثر .

هذا ابو الفضل الوليد ، مارد من مردة الفكر ، وقائد من قادة الثورة الادبية العارمة ، سقط في السنة ال ١٩٤١ للميلاد صريع الجهاد القلمي ، وهو يقذف المستعمرين بوابل حممه ويرميهم بمطر صواعقه ، هل تذكره قومه ، في هذه الحقبة ، ولو بانحناءة على ضريحه في (قرنة الحمراء) كلا .. لم يكن نصيبه بافضل من نصيب غيره من اعلام الادب وجبابرة الفكر في هذا الشرق من عناية قومهم وتذكرهم اياديهم على الامة ، على ان لهؤلاء على الدهر ، دون سواهم ، مسارح النسور ومسابح العقبان .

نديم ال ناصر الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثا :

أنا وسارتر والحياة ...

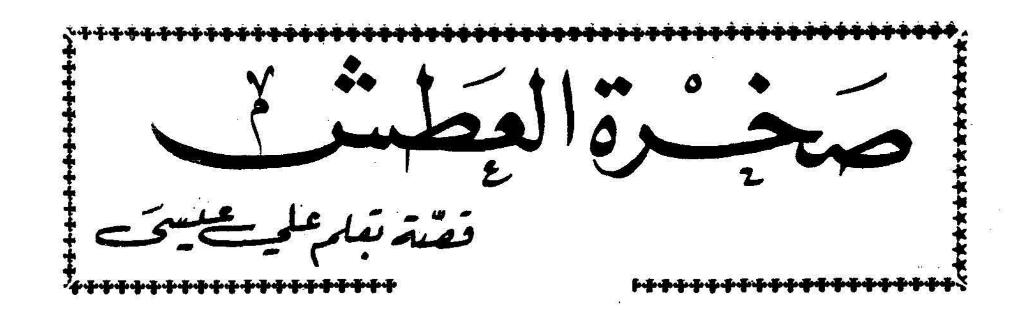
بقلم الكاتبة الوجودية الشهيرة
سيمون دو بوفوار
ترجمة عايدة مطرجي ادريس

في هذا الكتاب الرائع تروي لنا الكاتبة الوجودية الكبيرة سيمون دوبوفوار قصتها مع الرجل الذي كان شريك حياتها ، من غير ان يكون زوجها ، جان بول سارتر . وهي من خلال ذلك تقص تلك المغامرة التي ادت الى انتصارها : كيف اصبحت كاتبة الى جانبه ، وكيف كانا وما يزالان يواجهان الحياة .

انها قصة عجيبة ، هذه التي تسردها هنا سيمون دوبوفوار لانها قصة عاطفة فذة قلما ربطت كائنين فوق هذه الارض بمثل هذا الرباط : رباط الحب الواعي الذي يوثقه تفاهم روحي وفكري ليس له في عمقه وصميميته مثيل . فبالرغم من ان سارتر يحب هنا ، كائنات اخرى ، من مثل « كميل » و « اولغا » فان ما يشده الى سيمون دوبوفوار اعمق من ان تؤثر فيه اية علاقة خارجية وان ما يشدها اليه اوثق من ان توهنه الغيرة .. صحيح انها تغار ، وتعبر عن ذلك في صفحات رائعة ، ولكن السعادة التي خلقها لقاؤها بسارتر منذ اللحظة الاولى ستظل ترفرف على حياتها مادامت على قيد الحياة . وهي واثقة كل الثقة من انها « لن يأتيها اية مصيبة من سارتر الا اذا مات قبلها .. » قصة رائعة ، عميقة ، مرهفة ، نابضة بالحياة ..

الثمن ٤ ليرات لبنانية او ما يعادلها

منشورات دار الاداب



كانت قرية صغيرة معظم بيوتها من الطين ، وكان يمتد امامها سهل فسيح ، والى الشرق منها كانت تقوم هضبة صخرية في اعلاها صخرة كبيرة ترتكز على عنق حجري رفيع ، فكانت تبدو لمن ينظر اليها كرأس افعى .

وكان لهذه الصخرة قصة ... تتلخص في ان معظم سكان القرية يعتقدون ان هذه الصخرة مسحورة .. وتحرسها افعى لا تموت !

وكان الجميع يعلمون ان تحت الصخرة المسحورة يجري نهر كبير .. ولكن احدا منهم لم يجرؤ على استغلال هذا النهر ، فكانت مياهه تغوص في جوف الارض .

وحدث ان مر بالقرية رجل غريب وسمع بقصة الصخرة ، فقال لهم ان الافعى ـ حارسة الصخرة ـ لاتموت الا اذا ذبح على الصخرة رجل اسمر ضخم .. ومسح بدمه على عنقها .

لم يكترث احد لما قاله هذا الغريب ، ومرت سنة .. سارت الحياة في القرية سيرا عاديا ، وفي السنة التالية انقطع نزول المطر ، وجفت المزروعات .. وبدا التذمر ينفث سحبه القاتمة في سماء تلك القرية .

وتذكر الجميع ماقاله الغريب .. .واحسوا بالحاجة للنهر الذي يجري تحت الصخرة ، ولكن ! من اين لهم هذا الشاب الاسمر الضخم ؟!

كثيرون في القرية سمر وضخام ..! ولكن من منهم يختار الموت بارادته؟ وبدا كل شاب ينظر الى وجهه .. ان سمرته تعني الموت ! ولكنه موت شريف ! القرية في حاجة للماء .. والارض لن ينبت الربيع فيها بلا ماء !

العطش يختار ضحاياه في كل يوم من الحيوانات .. المزروعات ومن البشر ! لماذا لايموت احدهم فيغرق بموته العطش والجفاف وينبت بدمه العشب والحياة ؟

كل شاب كان يحس انه مطالب بالموت .. ففي موته حياة الجميع! لن يعيش احد بلا ماء !...

شباب كثيرون كان الحماس يلقي بايديهم خناجر حادة عندما يرون اطراقة الذل تنشر في وجوه الاطفال والنساء صفرة الاستسلام والموت. كان الواحد منهم يحمل الخنجر بيده وينطلق الى الصخرة الملعونة .. ولكنه كان يحس بتخاذل واشمئزاز مروع عندما تلتقي عيناه بالعنق المرعب .. فيعود دون ان يعلم به احد .

ومرت اشهر ، وما زال منجل العطش يحصد الضحايا بلا رحمة ...

وكان يعيش في سقيفة قريبة من الصخرة شاب فقد اباه وامه وهو طفل .. وعاش على ماكان يقدمه له المحسنون من اهل القرية ..

وكبر هذا الطفل وكان يدعى « خالد » وبدأ يشتغل مع الفلاحين في الارض .. وجاء العام المشؤوم ويبس الزرع .. لم يجد خالد عملا يقوم به ، ولم يكن ليستطيع وهو في هذه السن ان يطلب من غيره طعامه.. كما ان القحط لم يبق للمحسنين مايجودون به .. فانزوى في سقيفته لايخرج الا اذا جن الليل .

وفي ليلة مظلمة خرج خالد من سقيفته وهو لايدري اين يذهب ، ووجد نفسه دون ارادة منه يجلس على الهضبة التي تقوم عليها الصخرة المسحورة . ونظر حوله لم يجد شيئا اخضر مع ان الفصل كان ربيعا، واحس باختناق في حلقه .. وتذكر قصة الغريب .. وبدأ يفكر :

هل صحيح ان نهرا سينفجر من تحت هذه الصخرة اذا ماذبح عليها رجل اسمر ؟ ان هذا خيال .. بل وهم ، ان صخرة كهذه لايمكن ان يزحزحها دم رجل !

ولكن .. ربما كان صحيحا ما قاله الغريب ! ربما انهارت .. ربما كانت غير متماسكة .. ان عنقها رفيع ..!

وعاد بافكاره الى طفولته وتذكر كيف فقد اباه وامه .. تذكر كيف هب اهل القرية يقدمون له كل ماكان يحتاجه .. كان كل واحد منهم يعتبره ابنا له ، كان اهل القرية كلهم طيبين .. يتعاونون في السراء والضراء .. وقد نال منهم كل عطف ، فلماذا لايضحي بنفسه في سبيل هؤلاء الطيبين ؟!؟

ان دمه ولحمه من ارض هذه القرية العطشى !

اصبح كل فرد في القرية مثله تماما عندما كان طفلا .. كلهم في حاجة !

وبدأ خالد يحس ان مصير الجميع متعلق به .. لماذا لايهب دمه لارض قريته العطشى .. لماذا لايموت ليحيي الجميع ؟؟ لو اغرق بدمه عنق الصخرة لفاض الماء .. ولغمر السهل ولاخضرت الارض .

واحس خالد بقوة جارفة تدفعه الى البيت .. وعاد بعد قليل وفي يده سكين حادة .. واقترب من الصخرة ، واستلقى بجانب عنقها .. لم يشعر بالخوف .. لقد آن لدمه ان يعود للارض التي غذته ..! وغرز سكينه في صدره واحس بالدماء تجري الى عنق الصخرة ! سينطلق الماء ليغمر السهل .. كما انطلق دمه يغمر الصخرة !.. وبدأ يحس وكان مياها باردة تغمر جسده .

وفي اليوم التالي كان اهل القرية يجتمعون حول الصخرة وفي عيونهم دموع تغلي بالحقد !

لقد مات دون ان ينطلق الماء !

واقترب شيخ القرية ونظر في وجه خالد وتمتم .. لم يكن اسمر .. لم يكن اسمر ..

وسمعه احد الشباب وكان صديقا لخالد فصرخ في وجهه .. ان هذا وهم ان هذا وهم ...

سنحطم الصخرة وليحدث مايحدث .

فامسك به الشيخ برفق وقال : اهدأ يابني ان هذه الصخرة لن تتحطم بسهولة ... دعنا ندفن الميت !

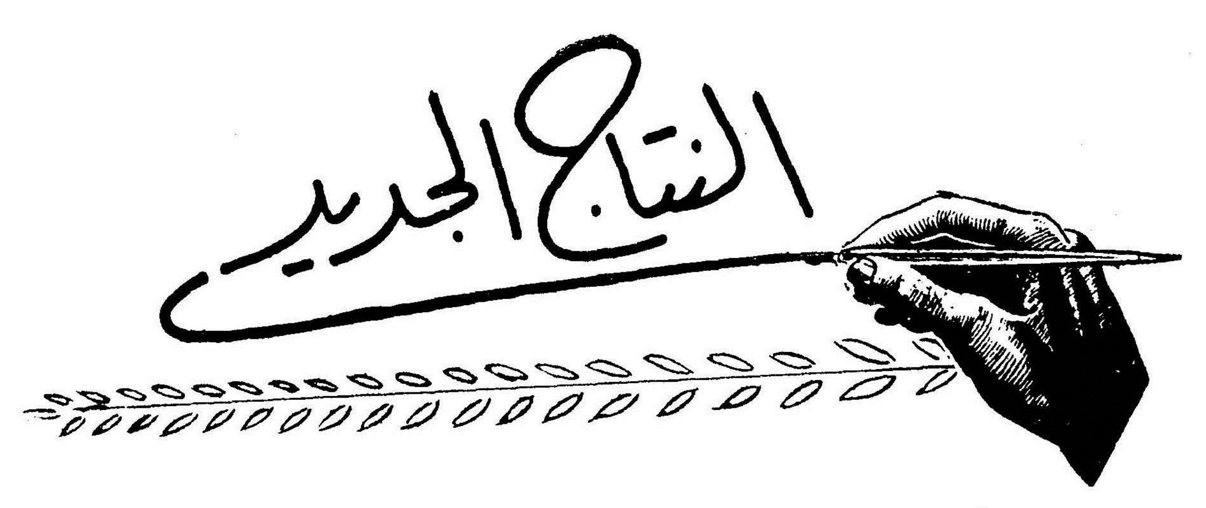
فصرخ الشاب : لن ندفنه قبل ان نحطمها .. يجب ان نحطمها .. ونظر في وجوه اهل القرية وصرخ فيهم : الى الفؤوس والمعاول .. سنحطمها في هذا اليوم !

وانطلق بعضهم الى القرية وعادوا وفي يد كل منهم فأس تتلظى وانهالوا على الصخرة ضربا وتحطيما ...

ومرت دقائق والصمت يغمر الجميع وضربات الفؤوس تمزق الصمت والصخر ... وتدحرجت الصخرة جارفة امامها صخورا صغيرة كثيرة .

وفجاة انفجر النهر وانطلقت المياه تغمر السهل الفسيح !!

عمان — علي عيسى



سندباد مصري

✶

لقد اصبح السندباد رمزا لكل مغامر ، يجوب الافاق بحثا عن العجائب والغرائب . والسندباد المصري الذي اتحدث عنه اديب فنان، في نظرته الى الحياة وفي استجابته لتجاربها المتعددة ، وهو اديب فنان في تعبيره عن هذه التجارب . يكتب حين يكتب — على حد تعبيره — « في بحبوحة الادب والفن : حرية في الفكر ، وتحرر في الاسلوب. »

دفعته السندبادية الى التخصص في علم الاحياء المائية والى الطواف في افاق البر والبحر ، وعاش اثناء دراسته في البلاد الاوربية « بعقلية اوربية وقلب مصري » . وهو الى ذلك كله مغرم بالموسيقى العالمية ، متعشق لها يرى فيها قمة ماوصلت اليه الحضارة الغربية من ابداع الفكر والفن .

وحسبك ان تلقى نظرة عابرة على انتاجه لترى فيه صورة صادقة لهذا الاديب الفنان ، فسندباد عصري ، وحديث السندباد القديم ، وسندباد الى الغرب ، والموسيقى السمفونية ، صور شتى لشخصية واحدة ، شخصية الاديب الفنان الدكتور حسين فوزي .

اما « سندباد مصري » فهو الكتاب الاخير الذي جعلته موضوع هذه الكلمة ، دفعني الى قراءته اعجاب سابق بالطريقة الفنية التي سجل بها هذا الاديب رحلاته السابقة في كتبه الماضية .

بدأ الكاتب الاديب مقدمة الكتاب بالكلمات التالية : « لا فضل لي في هذا الكتاب الا ان رسمت خطته ، ونظمت فصوله ، تبعا لانفعالاتي الشخصية بتاريخ بلادي . » وانا اقول بدوري لافضل لي في هذا النقد العابر وانما هي كلماته تشهد له او عليه .

عنوان الكتاب « سندباد مصري » جولات في رحاب التاريخ ، فهي رحلة زمانية يطوف بنا سندبادها المصري في رحاب الزمان ، لا في رحاب المكان ويتنقل بنا عبر الزمان من « الظلام » اثناء الحكم العثماني الى « الخيط الابيض والخيط الاسود » اثناء العصور الفارسية والرومانية والعربية الى « الضياء » في عهد الفراعنة وذلك حسب تقسيم الكاتب لهذه العهود ، ويجول بنا في رحاب هذه القرون متنقلا من عهد الى عهد مبديا شعوره واحساسه اديبا وفنانا لا مؤرخا .

فهات يدك وضعها في يدي ، دعنا نصحب سندبادنا في رحلته الجديدة لنرى هل تروق لنا هذه الرحلة فنعود منها غانمين ، ام نرجع ونحن نردد مع الشاعر :

وقد طوفت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

اوضح الكاتب في مقدمة كتابه وخاتمته الهدف العام من هذه الرحلة والدوافع النفسية اليها فقال :

في صفحة ١١ : « وكتابي صور من ملحمة هذا الشعب الذي افخر بانني واحد من آحاده . »

وفي صفحة ١١ ، ١٢ : « وهذا هو حظي نفسه في كتابي : ان اكون قد وفقت او اكون قد اخفقت في اخراج الصور الذهنية الوجدانية التي طبعها في نفسي تاريخ مصر كله ، كوحدة متكاملة . »

وفي صفحة ٣٤٤ : « انما الذي يعنيني ، والذي يجب ان نهتم به كل الاهتمام هو ان نعيد تلك الحضارة في نفوسنا وذلك بان نحاول فهمها وان ندرس حكمتها وعلمها وفنها ، الى جانب دراساتنا للحضارة العربية والحضارة الاوربية ، حكمتها وعلمها وفنها . »

وفي صفحة ١٢ : « كتابي ادبي محض ، احاسب عليه في حدود الادب والفن » .

ولن انظر الى الكتاب من زاوية التاريخ ، بل سانظر اليه من زاوية الادب والفن حيث شاء صاحب الكتاب ان تكون المحاسبة والنقاش .

ويحسن بنا ان نتذكر ماقاله الكاتب في مقدمة كتابه في صفحة ١١: « كتبته في بحبوحة الادب والفن : حرية في الفكر ، وتحرر في الاسلوب » لنرى الى اي حد اوصله مفهوم الحرية في الفكر .

يقول في صفحة ٤٧ ، ٤٨ عند الحديث عن خروج الشعب في مصر لملاقاة الفرنسيين بقيادة نابليون :

« انما نؤكد هنا ظاهرة فذة في تاريخ مصر ، لم تعرفها منذ الفي عام الا نادرا الا وهي خروج الشعب المصري الى الحرب ، فقد مرت القرون ولم نسمع انالمصريين اشتركوا فيقتال بالداخل او بالخارج الاقليلا. »

« يجب ان نعي ذلك كل الوعي ، وان لاننخدع بمواقع صلاح الدين واسرته ولا بغزوات بيبرس ، والناصر محمد ، وقايتباي ، وكلها قامت على كواهل الاجناد الاجنبية . فذلك الوعي له اهمية في فهم ماسيحدث بمصر بعد نكتة الفرنساوية » . وهذا الحدث سيكون نذيرا بيقظة الشعب المصري ، واعلانا بان هذا الشعب سوف يستغرق مائة عام حتى يرى اول الغيث في « هوجة عرابي » ومائة وخمسين عاما حتى ينهمر الغيث اثناء حركة الجيش المصري الصميم ، حركة البعث الكبرى في الساعات الاولى من صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . »

ويقول في صفحة ٥٥ : « سوف يشرق فجر القومية المصرية في سنة ١٩١٩ . وحركة الشعب المصري في مارس من ذلك العام وما تلاه ، جديرة بعناية المؤرخين ، لانها تميزت بكل صفات القومية الكاملة، لا اثر فيها للدين ولا للملة ، ولا زيغ فيها نحو خلافة الباب العالي ، او

نحو المحتل . ومع انها كانت حركة تحرير من الربقة الاجنبية ، فقد حرصت على مقومات الحضارة الغربية ولم تنبذها . فالكل مصريون قبل كل شيء ، يقاومون الغاصب ويطلبون لبلادهم الاستقلال السياسي والتحرر الاقتصادي والفكري ، اي انهم يهاجمون الرجعية في كل صورها . »

ويقول في الصفحة ٥٥ نفسها : « لو لم تقم ثورة الضباط الاحرار في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لحق للمؤرخ ان يحرر شهادة الوفاة لثورة سنة ١٩١٩ . »

فهل تبيح لنا حرية الفكر التي يؤمن بها الكاتب مثل هذا التفسير للحوادث التاريخية ؟ وهل تحمل هذه الحوادث في ثناياها مثل هذه النظرة التي راها الكاتب من خلال منظاره الشخصي ونزعاته الذاتية ؟

هل نعد النعمة التي نتفيأ في ظلالها من السير في ركاب الوحدة الشاملة ، هل نعد ذلك اثرا من آثار شعور المصري بمصريته كما يشيع في الروح العامة لكتاب ؟

وانظر بعد ذلك الى ماتفرع عن نظرة الكاتب المصرية تجاه التاريخ العربي :

يقول في صفحة ٢١ : « غزاتهم لايريدون منهم الا ان يظلوا البقرة الحلوب . فهذا الامبراطور الروماني طباريوس يكتب لعامله : « ارسلتك لتجز صوف الغنم لا لتسلخ جلده » وهذا الخليفة الراشد يفرح بزيادة الخراج على يد الوالي الذي ارسله ، بعد اقالة عمرو بن العاص ، وينادي على فاتح مصر ليقول له : « لقد درت اللقمة بعدك ياعمرو » فيجيبه القائد الكبير القلب : « نعم ، ولكن اجاعت اولادها . »

« نحن الفرس ، نحن المقدونيين ، نحن الرومان ، نحن الروم ، نحن العرب ، المغاربة ، الكرد ، ابناء فرغانه وكردستان ، نتوكل بامر الحرب والضرب ، ونتولى عنكم ايها المصريون صناعة الحرب . لان صناعتكم يا اهل مصر هي احياء موات الارض وصناعتنا القتل والسلب والنهب ، والكر والفر والدفاع والغزو ، تحرثون وتبذرون وتحصدون ، ونخرب وندمر نسطو .. »

وفي صفحة ٤٨ : « لم يخرج المصريون لمحاربة الاسكندر ، ولا لمقاتلة اوكتافيوس اغسطس قيصر ، ولا لصد عمرو بن العاص ، ولا لصد جنود هولاجو ، ولا لمحاربة الصليبيين ، ولا الفاطميين ولا العثمانيين . ولكنهم امام كل غزو بكوا ضياع الحرية واحسوا – وهم الشعب المتحضر العريق – بزوال سؤددهم ، وانحطاط دولتهم . وكان شعورهم بالماساة قويا جدا كلما اقتحم عليهم الغزاة عقر دارهم وقوضوا عرشهم « حتى حين يكون الجالس على هذا العرش اجنبيا عنهم » لينزل بوطنهم الى مرتبة الولاية يحكمها امبراطور في روما ، وخليفة في شبه جزيرة العرب ، وخاقان في الاستانة . »

فالعرب غزاة كالفرس والرومان ، وهم مستغلون اتخذوا مصر بقرة حلوبا كما اتخذها غيرهم من الامم وعلى الرغم من دخولها في حوزة الاسلام فقد اصبحت ولاية لا استقلال لها يظلمها الولاة العرب واهلها من افراد الشعب الكادحين يواصلون بناء الحضارة في صبر وسلام .

هذا هو منطق الكاتب تجاه العرب ، ولذلك فلا غرابة الا تتخذ الحضارة العربية ركنا اساسيا في بناء الحضارة المصرية ، وانما هي عامل من العوامل الاخرى لم يستطع الكاتب اسقاطه من الحساب كليا . اما الحضارة الغربية فاعتزاز الكاتب بها معروف واعجابه باسسها الروحية والفكرية واضح في الفصل المسمى بمصر والحضارة الغربية صفحة ٩٩ من الكتاب .

نحن لانعيب على الكاتب اعجابه بالاسس الفكرية والروحية للحضارة الغربية ولكن حبه لهذه الحضارة حبا شغله عما عداه حتى اصبح الغرب القبلة الاولى لبناء امتنا بناء فكريا امر لاتقبله اية امة في عهدها الحاضر . فاعتزاز بالماضي واتخاذه اساسا لبناء النهضات الفكرية والقومية سنة ثابتة لم تحد عنها الامم في تكوين بنائها الحضاري .

ويحتوي الكتاب على القسم الثالث بعنوان الفضياء نقلنا فيه الكاتب الى عهد الفراعنة فصور هذا العهد تصويرا ممتزجا بالاعجاب والفخر فهو الضياء المنير في عهود مصر على حقب التاريخ وهذا الاتجاه في مشاعر الكاتب وهذا الاعتزاز امر طبيعي متفرع عما سبق ممتزج به كل الامتزاج .

انظر اليه يقول في صفحة ١١٥ « وما ان تتيقظ مصر ، وتفتح عيونها على حضارة اوربا ، حتى تكتشف امرا عجيبا ، هي التي نسيت تاريخها القديم : ستكتشف ان لتاريخها الذي نسيته ، حسابا اكبر حساب ،عند اصحاب هذه الحضارة الحديثة . ستكتشف ان هؤلاء يعتبرون الحضارة الفرعونية اقدم يقظة للفكر والضمير والاحساس الانساني عرفها التاريخ. فلم يعد مقبولا ان يظل المصريون على جهلهم بحضارة اجدادهم المنسيين منهم وحدهم . »

واعجاب الكاتب بالحضارة الفرعونية نابع من اهتمام الاجانب بهذه الحضارة حتى انه ليقول في صفحة ٢٩٣ « ولا اغلو اذا قلت ان كتابي اليوم – وانا اؤلفه فيما بين السنوات ١٩٥٤ و ١٩٥٩ – هو ثمرة محاضرة جيمس هنري برستيد عام ١٩٢٣ او ١٩٢٤ . « يشير الى محاضرة لبريستيد في القاهرة على اثر اكتشاف مقبرة توت عنخ امون » .

ينطوي الكتاب على حب عظيم لمصر ، وعلى اعجاب شديد بنضال الشعب المصري ، وقد شرح الكاتب حبه واعجابه بمنطق الاديب الفنان وتجاوز الحد في حريته وطغى شعوره على منطقه ، فغلبت مصريته عروبته ، وهام بتراث الفراعنة حتى شغله عما سواه . ورثى لالام الشعب المصري في كفاحه المستمر لرد المغيرين حتى اصبح ، الكتاب مرثية طويلة لما

شعر

من منشورات دار الاداب

قرارة الموجة	نازك الملائكة
وجدتها	فدوى طوقان
وحدي مع الايام	فدوى طوقان
اعطنا حبا	فدوى طوقان
العودة من النبع الحالم	سلمى الجيوسي
عيناك مهرجان	شفيق معلوف
قصائد عربية	سليمان العيسى
الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي

دار الاداب

بيروت – ص.ب ٤١٢٣

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

عاناه هذا الشعب على مدى الازمان بعد ان رسمه المؤلف ملحمة لبطولات هذا الشعب وكفاحه .

محمد ابراهيم الخالدي



السجين

قصة من تأليف انيس زكي حسن

نشر دار مكتبة الحياة - بيروت

*

عند قراءتي لقصة السجين لانيس زكي حسن لا ادري لم انتابني نفس الشعور الذي ينتاب المرء عندما يسمع باحدى اساطير انطلاق جن النبي سليمان من القمقم .. ففي تحطيم السجين لبلورته شبه غريب بتحطيم الجن للقمقم الذي تظل في محبسه مدى دهور ثم يكسر احدها القمقم فينطلق الجن من عقاله عملاقا جبارا عاتيا يملأ الفضاء ويمتلك كيان المرء ويجسم له شعوره بكونه قزما .. قزما حقيقيا تجاه هذا العملاق المنطلق . وهكذا نجد ان المؤلف اطلق ذات السجين من عقالها وجعلنا نشعر ازاءها بالهلع والرعب .. الهلع من الحقيقة التي تجسمت امامنا ... حقيقة ذراتنا نحن مجردة .. ذراتنا الحبيسة كما بين المؤلف في قوله - ص ١٣ - « بينما كان السجناء حوله يتساءلون كيف دخلت - كان هو يتساءل كيف اخرج ؟ وكانه لم يدر بان سجينه يقول هذا وقد وجد خلاصه وحكم على الاخرين بالسجن » .

لقد واتتني هذه الافكار وانا اقرأ قصة السجين . وهي رغما عن كونها قصة مشوقة لانها تكشف لنا حقائق نحاول ان نتغابى تجاهها فانني اظن ان بعض القراء لن يقرأوا الكتاب دفعة واحدة . وهذا ما فعلته ولم يكن ذلك لعجز في الفهم ولكن لكثرة الافكار التي اوردها الكاتب في مؤلفه اذ تجد افكاره تتزاحم وتحاول الخروج مما يجعل القارىء في دوامة من المأزق اذ ما ان يبدأ بتركيز فكره على احدى الافكار التي اوردها المؤلف حتى ينطلق به بسرعة وعبر آفاق واسعة اخرى .

اما من حيث كونها قصة ناجحة فان القراء قد عرفوا انيس زكي حسن مترجما بارعا وها هو الان قاص ايضا يحاول في كتابه هذا ان ينحو بالفكر العربي منحى جديدا لم يعرفه القارىء العربي الا عن طريق التراجم . وان المرء اذ يقرأ القصة يحس بتأثر الكاتب الشديد بافكار كل من كافكا ودوستويفسكي ونيتشه . اذ انه ينحو منحى الاول والثاني في محاولته سبر غور النفس البشرية ومنحى الثالث في محاولته التفوق على ذاته كانسان .. ولهذا لايجد متسعا من الوقت لتزويق كلماته تزويقا شعريا يجعلها تنساب انسيابا طبيعيا . ولكن هذا لا يمنعنا من الشعور بكون الكاتب شاعرا مرهف الحس اذ انه بالرغم من تجريده للكلمات في بعض الصفحات ومحاولته الساخرة لمسخ معانيها فاننا نستشف من وراء ذلك كله روحا شاعرية .. حتى في قوله في احد المقاطع . - نار .. هواء .. ماء .. ثم وضعه بعد هذه الكلمات الثلاث مقاطع اخرى لا معنى لها .. يجعلك تحس بكيانك يمتزج بالطبيعة والكون الذي يحيط بك لانه نجح في اثارة المعاني الشعرية التي تحد بها هذه الكلمات بوضعه اياها مجردة .

ويتملك القارىء نفس الشعور تجاه الكاتب كقاص . اذ انه بالرغم من خروجه بقصته عن حدود الاطار القصصي الكلاسيكي المالوف اذ لانرى فيها ما للقصص الاخرى من عرض وازمة ونهاية ولكنه يجعلك تبقى على احساسك بكونها قصة لان فيها مقدمة وازمة ونهاية بالرغم من عرضه للامر بصورة تختلف عما اعتدنا عليه . وبهذا بقيت محتفظة بالطابع القصصي لانها تعالج ازمة شخص موجود بيننا ويعيش معنا بالرغم من وجود الحاجز الزجاجي غير المنظور بين عالمه وعالمنا .. هذا الحاجز الذي حطمه المؤلف وبذلك مزج عوالم السجين اللامتناهية بعالمنا الذي نعيشه .. وهنالك ناحية يحس القارىء وهو يطالع السجين بكون الكاتب يعاني من ازمة فكرية .. وتتضح هذه الازمة في الصور الحية التي اوردها في قصته .. فحينا تراه يرتفع الى قمم غير منظورة ويأتي بافكار جديدة « ص ٢٩ » . - ستصحو البشرية في يوم من الايام من غفوتها وتنتبه الى نفسها فتجد انها غارقة في وسط اكداس من هذه الصفحات .. الخ ثم يعود فيهبط بسرعة الى المستوى العادي في السرد القصصي ويأتينا بصور لا تختلف عما اتى به بقية الكتاب في وصفه للنزوات والاهواء التي تتقاذف ذات السجين المسكين في شعوره تجاه المرأة وكذلك في عرضه لفكرة علاقة البشر بالخراف اذ ان هذه الفكرة قد سبقه اليها الكتاب الغربيون في بحثهم لغريزة القطيع عند البشر وكذلك بعض الافكار الاخرى التي اوردها الكاتب من غير الاشارة الى كونها مقتبسة كقوله . - مياه النهر لاتعود الى مجراها مرتين .

وقبل الانتهاء اود ان اعلق على الفصل السابع من القصة اذ وصل فيه الكاتب الى قمة لم يسبقه اليها الا نيتشه في « زرادشت » وجبران في « نبيه » اذ تحس بان صعود السجين الذي اراده له الكاتب الى جبله او قمته التي اكتشفها في ذاته هو نفس الصعود الى القمة التي ارتقاها السابقان وان اختلف السرد واختلفت تجربة الصعود .

بغداد — سهى الطريحي



صدر حديثا :



بقلم هاني الراهب

موهبة روائية جديدة تبزغ

في سماء الادب العربي الحديث

الثمن ٣٠٠ ق.ل - ٢٧٥ ق.س — دار الآداب

رمادٌ للريح ...

قصة للكاتب الكولومبي هـ . تيليز
ترجمة : حصة منيف

كانت لهجة الرجل لطيفة فيها رنة اخلاص وهو يحاول عبثا ولنصف ساعة على الاقل ان يوضح مايريد ان يقول . جلس الرجل على جذع شجرة عريض قرب باب المنزل دون ان يخلع قبعته البنية المنسخة المصنوعة من اللباد الرخيص الثمن . ومضى يحدق في الارض وهو يتابع حديثه .

كان جوان يعرفه معرفة حسنة . انه ابن «سيمون اريفالو» وزوجته لورا . وهو معروف منذ حداثته بطباعه الشرسة . ولكن احدا لم يكن ليتصور انه قد يفعل مايشاع عنه الان لاصدقاء والديه القدامى في القرية تلك . لم يصدق جوان كل ذلك ، ولكن ، ها هو الان يقول له : « من الافضل ان ترتحل من هنا » .

ومضى يردد ذلك دون ان يرفع ناظريه عن الارض ، اما جوان فلم يحر جوابا .

كان النهار يبزغ ، وبدت غيوم كثيفة تنذر بمطر غزير وانبعث الهواء حارا ، وسرح جوان بناظريه عبر قبعة الزائر الى الحقول ، حقول خضراء ثم صفراء ، ثم صفراء ناضجة ثم خضراء ثانية فخضراء يانعة ثم شاحبة. كان منظر الوادي يبدو لطيفا من حيث يقف ، حيث يمكنه ان يرى رؤوس السنابل الخضراء تتماوج مع الريح ..

وعلا صوت زوجته واضحا من المطبخ قائلة له : « من هناك » ؟

ولكن جوان لم يجب .

كان الزائر مازال جالسا مطاطىء الرأس . ومضى الزائر يداعب قطعة صغيرة من الطين بفردة من حذائه المغبر ثم يداعبها بالاخرى ويضغطها بعناية ويبسطها مع التربة . وعاد الى القول :

« من المستحسن ان ترتحل »

كان قد رفع راسه في هذه المرة . ونظر اليه جوان بتفكير : « كم يشبه اباه ، فيما عدا عينيه اللتين تبدوان في لون اوراق التبغ ، كعيني امه »

واتى صوت زوجته من قرب قائلة : « من هناك ؟ »

ومن ثم بدت كارمن واقفة بالباب الذي يطل على الرواق الامامي وهي تحمل طفلها بين ذراعيها . نهض الرجل عن جذع الشجرة ونفض مقعد بنطاله باحدى يديه بصورة اوتوماتيكية ، ومن ثم خلع قبعته فبدا شعره غليظا اسود، زيتيا وقفز من تحت القبعة كانما اخلي سبيله . كان يبدو كان مشطا لم يمسه منذ عهد بعيد .

قال الزائر : « اسعدت صباحا ايتها السيدة كارمن » .

كان الطفل يداعب عنق امه كانما يريد ان يغرس انامله في نعومة ذلك العنق ، انه في الشهر الثاني من عمره بعد وهو مازال يتغذى بحليب امه ويرتدي ثوبا متسخا من الصوف الملون .

وقف جوان بصمت في حين كان يبدو الضيق على الزائر . ومرت لحظات صامتة لم يكن يسمع فيها سوى سكون الريف ، ومن خلال هذا السكون ينبعث ضجيج الطبيعة ، ذلك الضجيج الخفي المتنوع ، اما الوادي فكان يخفق في تجاوب مع الصباح الكالح ، الا ان جوان كان يفكر : « ولكن الشمس ستبزغ عما قريب » .

قال الزائر : « حسنا ، انني ذاهب » .

تصافح الرجلان ، في حين كانت كارمن تقف صامتة تحدق في زوجها ، ارتدى الزائر قبعته ثانية واستدار ثم مشى ببطء ناحية باب السياج ، الذي يبعد مسافة عشر او خمس عشرة ياردة عن البيت، فتح الباب بعناية فارسلت مفاصله الصدئة ، التي صنعت لدى حداد القرية ، صريرها المعتاد رغم تلك العناية .

« من الافضل لهم ان يغادروا المكان ! »

لقد حاول ابن سيمون اريفالو وزوجته المتوفاة لورا ان يوضح الاسباب خلال مايقرب من نصف ساعة . ولكن صوته كان ينبعث في ضجيج . ثم ان كل مايتعلق بالسلطة وبالسياسة كان دوما معقدا في نظر جوان . حتى ابن سيمون اريفالو لم يكن يدرك ذلك ويتفهمه بوضوح . رغم انه اصبح الان يعمل مع السلطات ويمارس اعمالها القذرة .

قال جوان : « هذا الدنيء ، لقد قال بانهم سيأتون لاخراجنا من هنا اذا لم نرتحل خلال اسبوع »

اجابته كارمن : « عليهم ان يقتلونا »

« هذا ماقلته » اجابها جوان وقد كسا وجهه قناع من الكآبة .

صمت الاثنان وذهبت كارمن الى المطبخ تحتضن ابنها بين ذراعيها في حين بقي جوان وحيدا وتسمر كشجرة في قبالة المنزل .

كانت المنطقة فقيرة ولم يبد هناك سبيل كاف لان تهتم السلطة ببيت جوان والحقول المحيطة به . انها لا تشكل اية اهمية بالنسبة لهم .. احواض صغيرة للحنطة ، بعض اكوام من البطاطا ، حديقة للخضار يخترقها جدول ماء صغير ، وهذا الجدول ، شكرا لله كما تقول كارمن، يأتي من المياه العذبة اللذيذة حقا ، من هيرتادوس . اما البيت فهو بين ان يكون بيتا وان يكون قمرة .

وطرأ لجوان خاطر ، ان على السلطات ان تعوضه عن النقود التي استدانها منذ سنين خلت ليبني المطبخ وليصنع خزان الماء المتعفن، اذا ما ارادوا الاستيلاء على المنزل . ولكن ! هل يصدق ما اخبره ابن سيمون اريفالو ، ان عليهم ان يرتحلوا ؟!.. اجل ، لقد ادلى بصوته في الانتخابات الاخيرة ، ولكن ، ماذا في ذلك ؟ من لم يفعل ؟ بعض لجانب وبعض للجانب الاخر ، ولم تكن هنالك اية مشاعر غير ودية فلا بد ان يكون هنالك جانب منتصر واخر خاسر .

اطلق جوان ضحكة خافتة وقال : « كان يحاول ان يخيفني ، ولكن لا ! لم يكن هذا ما قصد » .

وذكر حين كان في البلدة منذ اسبوع ، كان هناك شيء غريب فبعض رجال البوليس يحملون عصا بالاضافة الى بندقيتهم ، لا باس في ان يحملوا بندقية ، ولكن ، لم العصا ؟ هذا ماحيره . كان يرعبه ان يحمل القانون عصا في يده .

وقد لاحظ مابدا له غريبا حوله حين رفض اصحاب محل دون روميولو ليناريز ان يبيعوه نفطا ، قالوا له ان النفط قد نفد . ولكنه راى النفط ينساب غليظا مشعا من الخزان الاسود عبر القمع الى الزجاجةهنالك خلف عداد النقود .

لم ينبس جوان ببنت شفة بعد ان قابله دون روميولو بوجه متجهم. لم تكن لديه رغبة في ان يتبادل الكلام مع اي مخلوق .

كان هنالك اربعة من رجال البوليس يطوفون حول السوق ، ولم يكن هناك أناس كثيرون ، اشترى بضعة اشياء ، انية فخارية للطبخ ، الواح صابون وحذاء . ومن ثم ذهب الى الصيدلية ليبتاع قليلا من الفازلين المعطر والقطن . وساله بنفادس صاحب الصيدلية بلهجة فيها غبطة

وغموض قائلا : « الم يصادفك شيء في طريقك بعد ؟
كان جوان يهم بفتح فمه ليجيب حين اومـأ له بنفادس ان يلتزم الصمت . دخل احد رجال البوليس وتبعه ابن سيمون اريفالو ، خبط رجل البوليس عداد النقود الخشبي بعصاه فشحب وجه بنفادس بينما كان يسرع في اعداد الاشياء التي طلبها جوان .
تساءل رجل البوليس : « ماذا يجري هنا » ؟
كان اريفالو قد عرف جوان ، الا انه نظر اليه وكأن لم يره من قبـل قط . اما رجل البوليس فلم يعط بنفادس وقتا للاجابة واستدار الى جوان وهو يحرك عصاه على جانب بنطاله قائلا له :
« انت اذن احد اولئك العصاة ! »
لابد ان وجه جوان شحب في تلك اللحظة شأن وجه بنفادس . فقد شعر ان قلبه بدأ يطرق . كان يود ان يصفع رجل البوليس فهو لايملك، بكونه رجل بوليس ، الحق في ان يعترض انسانا مسالما يبتاع قليلا من الفازلين المعطر والقطن من الصيدلية ولا يؤذي مخلوقا ما ويخاطبه بهذه الصـورة .
قال ابن سيمون اريفالو : « اجل ! انه احد العصاة ، هو يقطن قريبا من هنا ، في درب تربس اسبجاس »
تسمر جوان في مكانه كما تسمرت عيناه على العصا الخشبية القصيرة ذات العقد . كان للعصا ثقب في احد طرفيها حيث علق شريط جلدي ، وبدت كاصبع طويل في حين بدت عقدها وكأنما تورمت بالروماتيزم . مضت العصا تصر على قماش البزة العسكرية الخشن بينما همهم رجـل البوليس متوعـدا .
قال اريفالو : « اجل ، ولكنه احد الهادئين منهم ، انني اعرفه ».
اجاب رجل البوليس : « سنرى ، سنرى في ذلك ، انهم جميعا جراء»
وارتسمت على وجهه ابتسامة تهكم، وتابع : « لن يكون هنا من يتردد على هذا المكان! هل تسمع يا بنفادس ؟! وانت ياهذا ؟! »
خرجا ، وشعر جوان ان حلقه يجف . التقط اللفة من فوق عـداد النقود وبحث في جيبه عن خمس واربعين كنتافوس ، وهي ثمن مااشترى ثم اودع بنفادس الذي كانت يداه ماتزالان ترتجفان وعلا وجهه اصفرار وشحوب كأنما اعتراه تشنج مفاجيء .
لقد جاء التهديد اذن الان في شخص ابن سيمون اريفالو . وتذكر جوان ان سيمون اريفالو كان صديقه ، ولم يكن ابنه بيدرو سيئا حقـا . كان يحلو له ان يطوف في البلدة ويتحدث فيما يسمونه السياسة . ولكن ما الذي يهدف اليه الان ؟ قد يتضح الامر لو انه يعمل في السلطة ، ولكنه لايرتدي بزة رسمية رغم انه اصبح مرتبطا بالسلطة منذ ان تأزمت الامور . بل ويقول الناس في المدينة انه لايبارح مكتب رئيس البلدية ويتعاطى الشراب مع رجال البوليس. انه مخبر ، هذا ماكانه . ويميزه في ذلك انه يعرف كل من في المنطقة وعلى بعد خمسة فراسخ منها .
ولم لايفعل ؟ لقد ولد في هذه المنطقة دأب ابيه سيمون ودأب جده. لم لايفعل وقد ذهب الى مدرسة القرية عاري القدمين مثل جوان ؟ بـل وكان يحلو له ، مثله ، ان يهرب من المدرسة ويتجول في المنطقة حيث عرف اسماء المالكين والمستأجرين والعمال المأجورين الذين يعملون هنـا وهناك ، الى ان شب ولبس حذاء وقبعة مصنوعة من اللباد واستقر في المنطقة .
كانت كارمن اول من استيقظ على صوت الطلقات وتبعها جـوان . ثم بدأ الطفل يبكي ، وكان النهار قد بدأ يبزغ حيث بدا أثاث الغرفة واضحا . حاول ان يقدر الوقت في تلك اللحظة بينما كان يقفز من فراشه لاشك ان الساعة الان الخامسة تقريبا .
تكررت الطلقات وكانت تقترب في هذه المرة حين انتهى جوان من ارتداء بنطاله وثبت حزامه ثم اسرع نحو الباب . لقد اصاب اذن في تقدير الوقت . كانت السماء قد بدأت ترسل ضوءها الفضي على الحقول وقال لنفسه دون تفكير : « نعم ، انها الخامسة ، سيكون هذا يومـا لطيفـا .
واعلن صرير مفاصل البوابة الخارجية ان هناك من يدخل ، وتقدم رجلان عرفهما جوان على الفور . كان اريفالو احدهما ، اما الثاني فهو رجل البوليس ذو العصا الذي سبق ان صادفه جوان في الصيدلية .
اذن ، صدق انذار اريفالو . لقد مر اثنا عشر يوما منذ زيارتـه الاخيرة ، وقد جرت الامور كما كان يبتغي لها . لقد قال له :
« خلال اسبوع .. غادر المكان خلال اسبوع ، ان هذا هو خيـر ماتفعله .. والا ! ... »
هذا هو اريفالو اذن ومعه القانون في هذه المرة .
اطلق رجل البوليس عيارا ناريا اخر في الهواء بينما كان يقترب من جوان وقال : « صوت لطيف ، اليس كذلك ؟! » ستسمع اكثر من هـذا غدا في مثل هذا الوقت اذا لم تغادر هذا المكان . هل تفهم ذلك » ؟
ثم ضغط على زناد مسدسه وصوب ناحية سنابل القمح الرقيقـة ليمتع نفسه بطرافة الموقف . وقف اريفالو خافض الراس دون ان ينظر الى جوان او كارمن التي أتت مسرعة لتستطلع الامر .
تابع رجل البوليس : « لقد اعطيت انذارا عادلا . غادر المكان ارتحل من هنا بسرعة » .
ثم وضع مسدسه في بيته وتأبط ذراع اريفالو ومضى ، في تلـك اللحظة ادرك جوان ان انفاس رجل البوليس كانت مشبعة برائحـة البراندي .

٭

ادى كل واجبه . اريفالو والقانون ، جوان وكارمن والطفل . كان البيت يحترق بسهولة مع قرقعة احتراق القش الجاف والخشـب الصلب والاثاث القديم .
ومضت ساعتان او ربما ثلاث ومضى النسيم العذب يهب من الشمال وبتلقف اللهب . وفي ساحة القرية تجمع الناس كأنهم في يوم السوق. شمعة رومانية ضخمة ، ووقف رجل البوليس ذو العصا يتلذذ بيوم العمر . كان اكثر من رفاقه رجال البوليس الاربعة استمتاعا بل ومن اريفالو الذي اتى ليشهد فيما اذا كان جوان مارتنيز قد ارتحل ام ادرج في عداد العصاة .

٭

توقف رجال البوليس لدى مخزن ليناريز عند عودتهم الى البلدة .
كان رئيس البلدية هناك حيث استرخى بتكاسل على اكياس الحنطة .
تساءل : « كيف جرت الامور ؟ »
اجاب اريفالو باختصار : « كما تود ، ياصاحب السيادة » .
تساءل رئيس البلدية : « هل كان مارتنيز قد غادر المكان ؟ »
اجاب رجل البوليس : « كلا ! لقد اغلق الاحمق ابواب البيت ومكث في داخله . انك تدرك ذلك .. لم يكن لدينا وقت نضيعه » .
ومضى النفط يتساقط قطرة قطرة من الخزان الى القمع ومن القمع الى الزجاجة .

ترجمة : حصة منيف

دراسات ادبية
من منشورات دار الاداب
نزار قباني شاعرا وانسانا — لمحيي الدين صبحي
قضايا جديدة في ادبنا الحديث — للدكتور محمد مندور
في ازمة الثقافة المصرية — لرجاء النقاش

الابحـــاث

– تتمة المنشور على الصفحة ١٣ –

٣ – حول النقد الادبي المعاصر لمحيي الدين فارس ، محاضرة القيت في « دار السودان » بالقاهرة بدعوة من لجنتها الثقافية ، وانا ارحم الذين استمعوا الى هذه المحاضرة ، فان كان قد احتشد لسماعها كثير من البسطاء امثالي فما احسبهم فهموا عباراتها المغرقة في الغموض وشطحاتها المتعالية وتعمد الاغراب في تقديم الحقائق القريبة ولا احسبهم استطاعوا متابعة المحاضر وهو يحلق بهم في فلك اثر فلك وينتقل بهم في دورة سريعة بين شئون متفاوتة ، واذا كانت القراءة الدقيقة تعجز عن ان تكشف مغلقات المقال فما احرى الاستماع الذي قد يشرد بصاحبه احيانا ان يفوته التقاط الغوامض . لقد تجنب محيي الدين فارس الابتذال الذي وقع فيه زميله الانف الذكر فوقع فيما هو أعسر واضيق مسربا . في الشعر يكون الغموض الموحي مادة مقبولة او مطلوبة ، اما النقد فانه عملية كشف وتكبير وتقريب ، ومن الجور وضع الشيء في غير موضعه . وانا لا ارتاب في ان لدى الكاتب مسائل جديرة بالنظر والبحث ولكني لا استطيع ان افهم لم يختار التعمية على الوضوح . ماذا يريد ان يقول اذ يقول : « لان عملية الاقناع ينبغي الا تأتي من خارج العمل الفني ولكن ذلـك لا باس به – ان تجاوزنا قليلا – شريطة ان تحملني تلك الاعمال على ممر ضيق يفضي بنا الى اعاشة شيء ... يمس جلد الحقيقة النظيفة » ومن شاء امثلة اخرى فليرجع الى المقال .

واول جملة في المحاضرة تمثل مغالطة منطقية . يقول المحاضر : « اصبحت الاعمال الادبية في عصرنا الراهن لا تقاس بقيمتها الجمالية البحتة الا اذا كانت اعلق بالتراث والتراب والانسان » . لقد افسدت « الا » هذه الجملة ، لان الاعمال الادبية حين تعلق بالتراث والتراب والانسان لا تعود تستقل بقيم جمالية بحتة ، وانما تقاس بمدى تعلقها بالتراث والتراب والانسان ، اذ القيمة الجمالية البحتة لا تعود مقياسا لازما لمثل هذه الاعمال ، اذ القيمة الجمالية البحتة نوع من التجريد اما التعلق بالتراث والتراب والانسان فهو ثورة على التجريد .

ثم ليقف القارىء – ان شاء – موقف الموازن بين هذا المقال والذي سبقه (حسب ترتيبي) ، ايهما نصدق – هل نصدق الاستاذ عبد المنعم الذي يرى ان أهم المذاهب النقدية لدينا ثلاثة او الاستاذ فارس الذي يقول : « وبعد ان النقد عندنا ما يزال تجربة فاشلة فهو اما هجوم سوقي نازل يعتمد على اثارة الجوانب الشخصية المفتعلة وامـــا اماديح مسهبة ... الخ » .

ومرة اخرى : انسلك في النقد سبيل الاستاذ عبد المنعم الـذي يريدنا ان نجمع عددا من الاسئلة حول القصيدة او نسلك سبيـل الاستاذ فارس الذي يقول : « ينبغي الا نركز اهتمامنا على بضع الفاظ هي في وهمنا القاصر مفاتيح العمل الفني لنطبق عليها مجموعة من الاراء والتاملات التي استخلصناها في رحلاتنا التذوقية . »

لقد اشرت الى ان في مقالات هذا العدد تضاربا يشير الى الازمة اكثر مما يدل على تعدد وجهات النظر لدى اناس مسئولين عن الحركة النقدية المعاصرة . الا ان في مقال محيي الدين فارس نظرات ذات حظ من العمق ، متقطعة محشورة في معميات من التعبير .

*

وامضي بعد ذلك الى الدراسات النقدية فاضع في المرحلة المتوسطة بين الفئتين من هذه المقالات مقالة الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد لان بعضها دراسة نظرية وسائرها دراسة تطبيقية :

١ – نحو نقد متافيزيقي لمجاهد عبد المنعم مجاهد : النقد المتافيزيقي عند الكاتب يعني النقد التساؤلي ، ولا ادري لم اختار كلمة «ميتافيزيقي» في هذا المقام ، وهي توحي بمحمولات متنوعة . كل نقد صحيح فهو تساؤلي (على غير ما فهم الاستاذ عبد المنعم يوسف) . ويخيل الي ان الاستاذ مجاهد يلخص من بعض المصادر تلخيصا مبتسرا ، وقد قال هو في صدر مقاله : « ولهذا لم ترصد المراجع التي اعتمـدنا عليها » ولا عذر له في اخفاء مصادره فانه لم يشر منها الا الى راي كولن ولسن في شخوص الاخوة كارامازوف (راجع الفصل السابع من كتاب اللامنتمي) ، وذكر المصادر حقيق ان يدلنا على شيئين هامين : الاول مدى الاصالة في هذا الذي يقوله الكاتب والثاني مدى ادراكه وفهمه لطبيعة هذه المصادر التي يعتمدها . وقد جاءت طريقته في عرض الاراء طريقة من يفهم الراي في مصلحة الاجنبي قبل ان يجده صادرا من نفسه باسلوب عربي ، وهذا قد يقوى الظن لدي بانه يلخص اراء غيره موهما انه يتبناها ، وللقارىء ان يسال – دون توجيه اتهام – ما الصلة بين مجاهد عبد المنعم مجاهد والاخوة كارامازوف ، ومن اين اهتدى الى فكرة « اللابرنث والمرآة » ، ولم يشكو اسلوبه هذا التتعتع والفافاة كانه لا يحسن ان يلخص ، بله ان يكتب منشئا ؟ اما فكرة « الشخص الخامس » فانها فكرة دقيقة عميقة ، وهي محاولة رصينة جادة جديدة في دراسة القصة ، ولا يتوصل اليها الا ناقد احاط بما قاله النقاد قبله فيها ، واحب ان يضيف الى البناء النقـدي العام شيئا جديدا اصيلا ، ثم ان هذا القسم من الدراسة التطبيقية مستغن بنفسه عن تلك المقدمة ، حتى ليبدو ان جانبي هذه الدراسة قد ربطا معا دون داع حافز لذلك .

٢ – « القلق في ابيات ريفية » لمصطفى خضر : من اكبر العيوب في دراسة الشعر ان تاخذه « على علاته » اخذا تسليميا لانك تريد ان ترى فيه صورة موضوع ما او نزعة من النزعات فتتحول مـن دور الناقد الى دور الدارس الاجتماعي . اما الناقد فيرفض ما لا يستوي امامه من دائرة الشعر ، واما الدارس الاجتماعي فقد يستانس باكثر القصائد والابيات ركاكة واضمحلالا ، لان ما يهمه منها هو دلالتها على الظاهرة الاجتماعية وحدها .

و « ابيات ريفية » ديوان شعر للمرحوم عبد الباسط الصوفي ، نال جائزة « الاداب » الشعرية لعام ١٩٦٠ ، والجائزة تعطى في الغالب تقديرا للجودة النسبية ، غير ان الديوان – من حيث هو – يمثل تجربة فجة غاية في ذلك ، وقد اعجبتني كلمة « ابيات » التي يحملها عنوان الديوان ، لاني لم اجد القصيدة الواحدة فيه الا مجموعة ابيات بل أزيد فاقول : ان البيت نفسه قد يتم قبل نهايته ويجيء ثلثه او ربعه او ما شئت من اجزائه على نحو صارخ من التعسف .

وفي « ابيات ريفية » فقدان للصلة العميقة بين المنطوق ونفس الشاعر ، وفيه – كما اشرت – فجاجة في التجربة ، وخير مثل على ذلك ان تجد شاعرا يؤمن بالانسان وكفاحه ثم يهجو العقل الانساني المتمثل في « سبوتنك » ، ولو كان المرحوم الصوفي يدرك موضعه (كانسان) من تجارب الحضارة العلمية الراهنة لما حمل التقدم العقلي جريرة التراجع الاخلاقي . ولو كان المرحوم الصوفي يدرك معنى المبنى الرمزي لما كتب مقدمة قصيدته « مدينة الغرب » على النحو الـذي كتبه ، جاعلا شجر « الغرب » في المقدمة « فن الارض » منحيا عليه بالهجاء في القصيدة . البناء الفكري كله مهزوز مترنح ، وقصائـد الصوفي – ان صح ان نسميها كذلك صورة لاخفاق الشعر ، وصيحات لفظية محشودة دون ادراك للعلاقات ، (الم اقل انني احتاج مقدمات وامثلة كثيرة) ؟

فماذا فعل الاستاذ مصطفى خضر ؟ درس « القلق » من خلال هـذا الشعر نفسه ، وحمل كثيرا مما اختاره اكثر مما يطيق ، وبكل سهولة ويسر اصبحت كل قصيدة استشهد بها او ببعضها رائعة :

« قصيدته الرائعة الجميلة سبوتنيك » – « كما يصوره شـاعرنا الصوفي في رائعته رعاة البقر والطبول » – « ففي قصيدة احزان قديمة الرائعة الجمال » – « ففي مطلع قصيدته الرائعة خلف الزجاج » –

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا وهلم جرا . لا ريب في ان ديوان ابيات ريفية يحوي قلقاً اما انه يصور هذا القلق ويعبر عنه تعبيرا فنيا متكاملا بحيث يمثل هذا التعبير حدود موضوع محدد العناصر فذلك شيء لم اجده فيه ، ولم اجده في مقال الاستاذ مصطفى خضر .

٣ ـ « رأي في شعر نزار قباني » لايليا الحاوي : طمانني الاستاذ الحاوي في اول مقاله ـ وطمان سائر القراء ـ الى انه يريد ان يوفر لبحثه اقصى مايمكن من الموضوعية والتجرد في الحكم » « كلمة اقصى هنا هامة جدا » . وقد حمدت له هذه البداية الطيبة ، ولكن المقال امتد وطال ونسي كاتبه هذا الوعد ، فحمل سيف الادانة وقلم السخرية وانفعل واشتط احيانا في انفعاله فاذا به يقول مرة : « فايا تكون النفسية التي ترضع من جرح الجورب ، وايا تكون الرجولة التي تنحني على قدمي امراة تسترضع الشهوة من فجوة جوربها المزق ؟ ومن هم اولئك الرجال الذين لا هم لديهم الا ان يتبعوا قدمي امراة منتظرين تقطع جوربها حتى يرتووا من جرحه ؟ وهنا لابد من التساؤل عن ثقافة الشاعر ومدى خبرته بمشكلة الانسان والحضارة والمصير مادام افق عالمه محدودا بفجوة جورب نسائي » ومرة اخرى يقول : « الا اين وجه الانسان الحقيقي بين وجوه المساخر التي تطالعنا في مثل هذا الشعر ».
ويقول ثالثة في سخرية عنيفة : « هذه الابيات مجزوءة من قالت لي السمراء ... وقد ترصعت بالنجوم وتزوقت بها في كل جهة مشيرة بان نزارا سيكون دون شك شاعر الغد عندما يسهل التنقل بين الكواكب ».
وقد اطيل ـ كما اطال الاستاذ الحاوي ـ لو شئت ان اقتبس ماهو شبيه بهذه الوقفات في مقاله ، وانا لست في موقف المدافع عن شاعر معين ، ولكني لا احب ان يتخذ الناقد « اقصى » الموضوعية ستارا لنقد لايستطيع ان يكبح فيه جماح نفسه بل لنقد يحاول ان يسوغ فيه الحنق اذ يقول : « ومهما تعفف الناقد وتحالم وانضبط فانه لايتمالك من ان يحنق .. الخ » ، وهو يحنق ـ بالقوة والفعل ـ وقد جر عليه حنقه شيئا كثيرا من الاذى ، اذ زحلقه عن سدة الانصاف ، كما جره على الشاعر الذي ينقده .

تلك اولى المقررات التي تنهار في مقال الاستاذ ايليا الحاوي ، اما الثانية فهي حديثه عن « الشهرة » ـ شهرة نزار ـ وهي مصدر تعب لاخينا ايليا ـ فيما يبدو ـ ولا ادري لم عرج عليها وجعلها « فتحا للشهية » . متى كانت شهرة الشاعر او الاديب امرا يهم الناقد ويدير راسه ويعجله عن الحكم المتاني ؟ ومتى كانت مقياسا اصيلا للشاعرية؟ وقد جر الحديث عن الشهرة الى اصدار « مانيفستو » عن حال الشعب المتذوق او الجمهور . وبدلا من ان يسال الاستاذ الحاوي لم يصبح الجمهور كذلك ، وهل يظل ابدا كذلك ، بدلا من هذا ذهب يقرر ان الشعب « يعتقد (تامل يعتقد هذه) ان غاية الفن هو الطرب والترنح والانشراح وليس الولوج الى ضمير النفس والرؤيا » .

(هل سمع الاستاذ الحاوي بجمهور يقبل على مايقراه ايملين وليمز في المسارح من شعر ديلان توماس ؟) ـ وهو شعب مسكين لانك حين تحكم عليه هذا الحكم تعتقد ان حاله هذه ثابتة لاتتغير ، وبهذا تحالف عليه المثبطات والمعوقات والقيود والانظمة الفاسدة وتكون عونا عليه مع البؤس والجهل والمرض . وحين يدرس الناقد اثرا ادبيا يدرسه بمعزل عن راي الشعب وعن مدى الشهرة والخمول ، لذلك ارى ان هذه المقدمة عن الشعب والشهرة دخيلة على البحث حين يكون صاحبه خالص النوايا، كما ان الاستشهاد براي شيكسبير ناب في هذا المقام ، وليس كل ماتقوله الشخصيات في الرواية تعبر عن وجهة نظر الكاتب الروائي ، وهب ان شيكسبير كان يعتقد حقا ان الجمهور « حيوان ذو الاف من العيون » ـ فهل هذا يسوغ لنا اليوم ان نتبنى هذه النظرة ؟

وثالثة المقررات التي لم يستو وجهها الصحيح للاستاذ ايليا هي دخوله باحة النقد « وفقا لطبيعة مقاييس فنية » ولا اعترض على هذا مبدئيا ، فكلنا ـ او جلنا ـ ينشيء في نفسه نوعا من المقياس النقدي يستقله في رؤية الاثر الفني واستجلاء جوانبه من داخل وخارج . ويتبدى لمن يقرا هذا البحث ان المقياس الفني الكبير الذي استعمله الناقد هو : ان الشاعر الحق صاحب رؤيا وذو ثقافة عميقة . قال : « الشعراء العظام هم المفكرون الذين انعموا بالتحديق والتامل حتى طفرت اذهانهم في عالم الرؤيا فلم يعودوا يعبرون عما يرى ، أي عما يفهم ـ بل عما يتراءى اي عن اليقين الذي يشعرون به دون ان يفهموه » (كيف اصبح يقينا؟) وقال : « فالنزوع الى الشمول والرؤيا الكلية لمصير العالم ضروريان للشعر » (قوله ضروريان لايعني انهما كل شيء ـ وهذا تواضع حسن). وقال : « لهذا فان الموضوع الجذري الدائم للشعر هو موضوع المصير في وجوهه العاطفية والفكرية والاجتماعية » (قارن هذا بالقول السابق تجد ان التواضع قد تبدد) .

واقول : هب ان هذا كان مقياسا صحيحا يقبله النقاد جميعا فهل هو المقياس الوحيد ؟ ثم هب انك وجدته يصدق على طاغور وريلكه وجوته و ... فهل تراه يصدق على هوميروس وهوراس وكاتولس والمتنبي ؟ ثم هل تراه يصدق على هريك وصلاح لبكي وشوقي ونزار قباني والاخطل الصغير ؟ ان استعمال « معادلة » واحدة لقياس الشعر كله في شتى ضروبه امر لايحتاج مني تعليقا ولا اخال القاريء الا متبينا خطر الدخول الى حيز شاعر ما بمسبقات من مقاييس فنية . ويقول الاستاذ الحاوي ان موضوع الشعر هو المصير ، وهذا غير منفصل من مشكلة الموت ، فماذا يرى في شعر ينفصل عن هذه الشكلة ليمجد الحياة في واقعها الدينامي ؟ اذن فان النقد الموضوعي ـ بمعناه الدقيق ـ يتطلب ممن يدرس شعر نزار قباني ان يتخلى عن سرير « بروكرست » ، وان يقيس الشاعر في حدود شعره ، اذ وضع هذا القياس الضخم اخلال بالتناسب ، ودراسة للمفقود لا للموجود ، ومقارنة بين « ا » وهو واضح معين و « ب » وهو مثال علوي ، كان تحاكم كل منتج الى العبقرية لتقول : هو غير عبقري .

وسبب هذا الراي الذي ابديه ان نزارا لم يدع في كل شعره انه يحاول ان يبلغ الجذور من مشكلة الوجود ، كل ما زعمه لنفسه انه :
انبش اعماق الموجات

فرق تحسد !

او ثورة العرب ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨

تأليف : ميشال ابو نيدس
ترجمة : خيري حماد

وصف موضوعي لسياسة انكلترا في الشرق العربي بعد الحرب الكونية الاولى ، ورد الفعل العربي على تلك السياسة .
محاولة الغرب السيطرة على العالم العربي وتوجيهه نحو سياسة الاحلاف .
دراسة مفصلة لوضع الغرب من الصهيونية واثر ذلك في العرب .
صورة واضحة للازمات الظاهرة والخفية التي عاشها العرب منذ ١٩٥٥ الى ١٩٥٨
كتاب لا غنى لكل عربي عن قراءته

منشورات دار الطليعة ـ بيروت
ص.ب ١٨١٣ ـ ت : ٢٥٧١٧٨

ابحث في جوف الصدفات
عن لفظة حب لم تلفظ
لم تلمس هدب الفرشاة
عن حرف كالقمر الاخضر
اهديه لعيني مولاتي

وهذه الرسالة ـ المتواضعة ـ هي التي جعلته مسخرا للفظة الجميلة والصورة الطريفة ـ او المستطرفة ـ ومن هذا المطلب نفسه تتولد المبالغات في الصور وهي التي رصدها الاستاذ الحاوي واستخرجها من شعره وفصلها من جوانها العامة ليزيد من تاثيرها العكسي في نفوس القراء . والاستاذ الحاوي يعلم من بين الدارسين كيف ان المدرسة السامية عامة ـ منذ ابي تمام ـ واللبنانية الحديثة خاصة قد ركبت هذا المركب في تطلب الصورة المستطرفة ، فلو انه راى نزارا في هذا السياق لكان جديرا ان يخرج بحكم اقرب الى الموضوعية . في موضع نزار من البيئة وفي وضعه النفسي وفي تطوره (او عدم تطوره) مجال واسع للحكم عليه ، ولذلك كان خير ما تمخضت عنه ريشة الناقد تلك الدراسة المقارنة التي اجراها بين سعيد ونزار ثم بين نزار وشعراء اخرين لانه كان فيها مؤمنا بالتناسب غير مشتط في الفروض والمتطلبات يتحدث عن الجانب الايجابي الموجود لا عن الجانب السالبي المفقود .

واراني تحاشيا للاطالة (كاني لم اطل حتى هذه اللحظة) مضطرا للاشارة السريعة الى ماخذ اخرى في هذا المقال فمنها اضطراب البناء الذي اسلم صاحبه الى التكرار والعودة للموضوع الواحد في غير موضع واحد . ومنها الاجتزاء بالامثلة المفردة ـ دون نظر الى السياق التطوري ـ وهذا ادى الى تكبير الاخطاء الجزئية والمبالغة في التعليق عليها والشماتة بصاحبها . واخطر الماخذ حشد الاحكام العامة مثل : « فالثورتان الفرنسية والروسية خرجتا من رحم الادب الفرنسي والادب الروسي » ـ وفي هذا اغفال للقوى الاخرى الفعالة التي شاركت الادب في توجيه النفوس للثورة ؛ ومثل : «والادباء هم اولياء الشعب وانبياؤه وقديسوه» وهذا منظار رومنطيقي لايصح دائما . ومثل : « ولهذا فان شاعر الرؤيا الصادقة لايكرر ذاته » ـ وهو يكرر ذاته في كل حين لانه يكرر رموزه المتعلقة بالمصير ، ولا بد من ان يكررها لتظهر العلاقات بينها في مبناها العام .

واخيرا احب ان اسال الاستاذ الحاوي كيف تاتي له ان يوجد للشاعر هذا الموقف « القيادي » الخطير الخالد ، وهو الناقد الذي ينزع الى احتقار الجماهير ، دون ان يحدد لمن يكتب الشاعر وكيف يصبح نبيا وعند من يصبح . وهل الشاعر المصيري ـ او الجماهيري ـ هو الذي بعث الثورة الفرنسية والروسية ، واذا استرسل الشاعر « المصيري » وراء مالا يفهم فمن هم الناس الذين سينقادون اليه ويدركون صوته الغامض ؟ هل ادرك القارىء ان الاستاذ الحاوي يستمد مقاييسه وعلاقاتها من عالمين مختلفين متفاوتين ؟.

٤ ـ « المهزومون » دراسة ونقد لغالح الطويل : هذه الدراسة محاولة طيبة فيما ارى . صحيح انها في بعض جوانبها منحت القصة فوق ماتستحقه من تقدير واضفت على الشخصيات تحليلا لايقفون له ، وفي جانبها الاخر انقصت حظ القصة من التقدير الذي تستحقه فاخلت بالتعادل ، ومع ذلك فانها مفيدة موفقة في كثير من النظرات . لقد بالغ غالح الطويل حين اعطى لحركات الاشخاص في القصة ركازا اراديا في كل خطوة ، مع ان الاندفاع العفوي الذي يسوقه الزمن في طريقه هو الذي كان يتحكم في مقدراتهم ـ وعلى هذا تقوم القصة ـ كما انه لم يلحظ كيف تظهر هذه الارادة عند كل واحد ومتى تظهر وكيف تكون ميزة « بشر » في ان تيار الارادة لديه لاينقطع الا ليتجدد ـ وان كان محمولا على موجة العبث نفسه ـ وذلك لان تجربته التي مرت على المرض وعلى صنوف من الحب وعلى صلته بهلال وثريا « وهما شخصيتان جميلتان في القصة » وعلى فقد الام قد اكسبته دائما بداية جديدة اثر كل اخفاق جزئي حتى كانت البداية الحاسمة عند نهاية القصة كلها ، اذ اختار الجندية . وقد ادرك غالح ايضا كيف كان كل واحد من شخصيات القصة مثقلا بظروف النشاة في موقفه من الحب ولكنه ذهب معجلا دون ان يكشف عن الابعاد الرمزية في القصة ، واكتفى بالاشارة الى ذلك حين قال :«ففي الرواية بناء هائل من الرموز ينساب عبر الصفحات ويجسد وراء الكلمات مجتمعا كاملا » واني لارى ان هذا المبنى نفسه هو الشيء الذي كان يجب ان يوليه العناية الكبرى في دراسته للقصة ، فيبدا به حيث بدا الصراع بين صفير القطار وصوت المؤذن ، بين تيار الحياة المتحرك والجمود الديني المتحجر ، الذي قيض له ان يتلاشى في الظاهر عند موت الام : « عند الفجر ماتت امي بكل حتمية . ماتت وهي توصينا الا نختلف وكلفت رعاية اخوتي لي باعتباري اصغرهم » (١٩٦) ثم ذلك الصراع الذي شغل باقي الرواية في نفس بشر بين سحاب (رمزالتجدد المنحرف) وواحة (المرتبطة بالبيئة الدينية والام الثانية) ثم فقدان بشر للاثنتين معا كي يجد تحرره النهائي ، وهو ليس تحررا الا بمقدار بعده عن الماضي ـ لان هذا التحرر نفسه كان عودة كبرى . ونحن لم ننس كيف ان بشرا ـ في اول القصة ـ قد فقد اول حب له اذ رفض ان يسلك نفسه في الجندية وفاز بحبيبته شخص اخر . فها هو في نهاية القصة يقبل ـ لا شعوريا ـ ما كان قد رفضه من قبل . وفي النهاية ايضا تسير الحافلة لترمز الى ان الحياة تجري مجراها مثلما كانت ، لم يغير القلق الداخلي وتغير الاحداث فيها شيئا من حقيقتها ـ لم يكن كل ذلك الا خدشا يسيرا يكاد لايرى في سطحها .

البناء في القصة جيد والابعاد الرمزية فيها مليئة بالايحاء ، والاخطاء الجزئية فيها (كموقف بشر المتعفف عن جسد ثريا وهو الذي يتحرق ليعبث بقدميه بين قدمي سحاب) وسحابة الرومنسية التي تغلف بعض المواقف « موت الام » وضعف عناصر القلق ـ كل ذلك لم ينقص حظها من الجمال والاحكام . وفي نقطة التحول النهائي يبدو عمق جديد هو ضرب من السخرية بكل ماكان .

بيروت

احسان عباس

صدر حديثا :

جوستين

رائعة القاص الايرلندي الشهير
لورنس داريل
ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي

التحفة الفنية التي خلقت اسلوبا قصصيا جديدا فجعلت التاريخ يطفو في شخصيات حديثة مثيرة . النتاج الادبي الذي جعله جان بول سارتر مفترق الطرق. فاذا بالروعة تنكشف لك في احاسيس الحب والغزل والغيرة والجمال ، فتهب لك متعة فنية فريدة يجدر بك ان لا تفوتها .

دار الطليعة ـ بيروت
ص.ب : ١٨١٣ ـ تلفون : ٢٥٧١٧٨

القصـــائد

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٤ ـ

صحيح ، ولكنني اعتقد ان الخلاف بيننا يبقى قائما ، لان نقطة الانطلاق مختلفة ، فنحن نريد للشاعر ان ينطلق من ذاته ، كميدان لتجربة حية، معاشة ، وتنعكس فيها كل صنوف التفاعلات بين هذه الذات والعالم الخارجي والمجتمع الذي يعيش فيه ، نحن نريد للشاعر ان يصور التجربة الانسانية عبر تجربته النفسية عند تقاطع ظروف زمانية ومكانية راهنة. إننا نريده ان يصنع وجها محددا للذات التي يعبر عنها كنموذج للوجود الانساني . ان اقل ما نطالب به الشاعر ان يضع ورقة هوية نعرف بها حقيقة الذات التي يصدر عنها فنعرف المجتمع والعصر اللذين تنتمي اليهما ونميز ملامحها وهوية نزعاتها واشواقها هي بحيث لايمكن الخلط بينها وبين نفوس الاخرين .

اما شعر المدرسة التي لانجد افضل من كلمة ((المدرسة الميتافيزيائية)) لتمييزها ، فينطلق لا من الفرد الراهن ، من انسان معين او من مجموعة اناس معينين يتحركون في اطار تاريخي معروف ، وانما من الانسان المطلق ، الذي لا حدود زمانية ولا مكانية له ، ولا رابطة تربطه بمجتمع او بتاريخ .

هذا الشعر يتجاهل الوجود الواقعي الحي للانسان ، ويدير ظهره لكل الحيوات الحقيقية التي تحب وتكره وتجهد وتشقى وتنعم وتبني وتهدم وتامل وتقنط وتدب على هذه الارض او تسعى لاغتصاب الفضاء. هذه الحركة لايعنيها من الانسان الا وجهه الميتافيزيائي ، اي مجموعة الافكار العامة المعاني الاساسية التي تناقلتها الاجيال . هي لاترى الا الذات الانسانية العامة فلا تبقى منها الا الرموز التي تجسد تلك المعاني الكبيرة ، حتى العواطف التي يعرفها شعرهم ، وحتى الاندفاعات والانفعالات التي تدور بها الكلمات ، لاتقوم لذاتها ولا كوسائل لزيادة الشعور بحرارة الحياة التي يفرض ان ينقلها الشعر ، وانما هي وسائل تزيينية تفتعل لابراز الرمز ، والمعنى الكبير الذي يختفي وراءه ونقطة الانطلاق ، الفلسفية ، الميتافيزيائية هذه ، هي التي تجعلنا نعتقد ان شعراء هذه المدرسة وأنصارهم قد اخرجوا الشعر عن نطاقه الحقيقي الذاتي ، و الحقوه بالابحاث الفلسفية .

وعندما يصبح الشعر ملحقا لنشاط فكري اخر ، يصح التساؤل عن مبرر وجوده اصلا . لماذا الشعر ، اذا لم يكن للشعر من هم الا عرض المسائل الميتافيزيائية ؟ اليس من الاسهل والايسر على الشاعر والناس ان يبحث هذه المسائل بلغة النثر ، بما فيها من مرونة ولا نهائية امكانيات في التوضيح والتحليل والكشف عن كل غوامض النفس ومعميات الفكر.

اما الشعر ، وهو اللغة البدئية وأداة الاتصال المباشر ، واللمح الخاطف ، لنقل عالم الشاعر الى حدس القارىء ، لا الى فكره وعقله ، فهو اعجز من ان يصبح اداة لنقل هذه القضايا الميتافيزيائية التي يغرفها الشاعر من معينه الذهني والعقلي قبل كل شيء والتي لايستطيع القارىء ان يستوعبها الا باعمال فكره وذهنه وبالاستعانة بمخزونه الثقافي .

والدليل على صدق ما نقول ان الشاعر خليل حاوي ، وهو احد اساطين المدرسة الميتافيزيكية ، احس بان قصيدته ((جنية الشاطيء)) المنشورة في العدد الاخير من الاداب ، قد لا يستوعب القارىء ما تحمل منمعان ورموز من تلقاء ذاته فاراد مد يد العون لهذا القارىء بتفسير الرموز وفك الطلاسم التي ضمنها القصيدة. وهذه البادرة تعطي الدليل الدافع على ان الشعر لم يعد في مفهوم هذه المدرسة لغة التفاهم التلقائي بين الشاعر والقارىء ولا لغة الاتصال المباشر ، بل اصبح لغة تخاطب لا تصل الى نفس القارىء الا بعد الاستعانة بوسائل وسيطة ، وهي المعرفة بالقاموس الفكري والفلسفي للشاعر ، فلا الشاعر ينطلق عفويا من النظرة الفنية ولا من الوجود الحي الراهن للانسان ولذاته ولمجتمعه ، وانما من مفاهيمَ وافكار تقع في دائرة العقل قبل كل شيء . ولا القارىء بقادر ان يدرك عفويا وبوساطة مرامي قوواه ومداركه وحدها .

ومن جهة اخرى ، لم يعد من حق القارىء ان يقتصر على قراءة القصيدة المقدمة له وحدها ، وانما اصبح حتما عليه ان يكون ملما بكل التيار الفكري الذي يمثله الشاعر وبكل المقاييس والمفاهيم والقيم التي يؤمن بها وبكل الخلفية الثقافية التي يصدر عنها ويرتبط بها . وهذا لعمري عبء باهظ لا ينهض به الا قلة من المحظوظين . وغني عن البيان ان مثل هذا التشديد في تحديد شرط العلاقة بين الشاعر والقارىء من شانه ان يحصر فعالية الشعر في حلقة ضيقة من الراسخين بالعلم . ان هذه النظرة تطرد الشعر اوتوماتيكيا من دائرة فعاليته الجماهيرية وتخرجه عن متناول الطبقات الواسعة من الناس . هذه النظرة تنفي عن الشعر صيغته الاجتماعية ، كمظهر فني اول لتلاقي الفئات الاجتماعية باعمق واوسع حدودها وتجعل منه امتيازا موقوفا على نخبة محدودة تشكل ما يشبه المجمع الكهنوتي بما لهـا من شعور بالامتياز والتفوق لامتلاكها اسرارا وقوى ومعارف لا سبيل للعامة اليها . لقد اصبح لهذا المجتمع الكهنوتي للشعر معابد وسدنة وطقوس وشعائر ولغة خاصة واهداف بعيدة ، أين منها كل ما عرفناه عن المجتمعات الروحية فيبابل وممفيس وجبيل وأثينا وروما وقرطاجة .

بعد هذه المقدمة التي جرتنا اليها بادرة خليل حاوي بالتقديم النثري لشعره ، ننتقل الى مهمتنا الاساسية ، بفحص القصائد الاربع التي يتضمنها العدد الماضي من ((الآداب)) . واول ما نلاحظه انها جميعا تندرج في التيار الشعري الحديث . فاصحابها كلهم تخلوا عن عمود الشعر التقليدي ، واستعانوا لنقل مضمونهم بالشكل المنسرح للبناء الشعري ، معتمدين على التفعيلة كوحدة اساسية لهذا البناء بدلا من البيت الكامل ، وعلى القافية المتنوعة ، الحركة الجديدة التي تريد التحرر من عبودية الاوزان والقوافي الثابتة .

اما مضمون القصائد الاربع فمتنوع .

ولا حاجة بنا لتقديم قصيدة خليل حاوي ((جنية الشاطيء)) فهو، بمقدمته عنها ، كفانا هذه المؤونة . ويبدو من هذه المقدمة انه احب ان يقر عن حالة البراءة الانسانية الاولى حين تتعرض لاغراءات المعرفة ولزجر الشريعة ومخاوف الحضارة ، رامزا الى البراءة والى حيوية الارض البكر بحيـاة القمر والى المعرفـة بشجرة الخير والشر والى الشريعة ، والى الحضارة بالكاهن الذي يقول عنه ((انه يحول الحيوية الى كبريت ونار مجرمة)) .

وطبعا للناقد ان يعترض على نوع المضمون عند الشاعر .

وقد كان بودنا ان نخضع لهذه القاعدة لو كان عرض هذا المضمون عملية فنية صرفا كما هو الحال مع شعراء الاجيال السابقة . ولكن لا يسعنا القبول بهذه النظرة للمعرفة وللحضارة ، عندما تصدر هذه النظرة عن شاعر مثل خليل حاوي لا تشكل افكاره في قصائده الا جوانب من نظام فكري متماسك . اننا نعتقد ان نعت الحضارة بالشر واتهام المعرفة بانها اجرام بحق الفطرة الطبيعية وقتل للبراءة وان الشريعة نار مدمرة يشكل موقفا منافيا للاتجاه الحضاري ورفضا للمكاسب التي حصل عليها الانسان في نضاله الطويل للتخلص من اسر الطبيعة وللارتفاع من حالة الجهل وسيطرة الغرائز الى حالة الانضباط العقلي والمعرفة البناءة .

ولو وضعنا جانبا هذا التباين في الموقف الفكري ، ولو كان بامكاننا ان نصرف النظر عن وجود المقدمة والحكم على القصيدة كما لو كانت عملا فنيا بحتا ، مستعيدين حريتنا (التي احب المؤلف سلبنا اياها بمقدمته) في الاستسلام لشتى العواطف والانفعالات التي تثيرها فينا، لوجدنا القصيدة من النوع الرصيف الفني بالصور المتنامية بحيث تجعل من القصيدة بناء بيولوجيا زاخر الدفق والحيوية . وعلينا ان نقر ان الشاعر رغم تعلقه بزج المشاكل الفكرية في شعره استطاع

ان يبقى صنيعه الفني ، هنا ، في حركة رشيقة واندفاع مجنح في صميم العمل الشعري الناجح .

ويكفيني ان اشير الى هذا المقطع الرائع الذي يعبر عن الشعور بالالتحام الحميم مع الارض وبالتناثر في غناصرها وبجريان الذات في حيويتها الخصبة :

ماذا أتعبرني الوعول
جسدي يئن ، يضيق ، يلهث ، يستحيل
علفا ، تلالا غضة ، غورا ، حقول
النعنع البري يمرج في مطاوي
السفح
والريحان ادفالا باوديتي بهيج
تلهو وتمرح فيه قطعان الوعول
وتروح تمخره خيول البحر تزحمها خيول
ترغي وتكتسح الخليج
ويظل للجسد الطري صفاء مرآة
وعنقود يحوم في دعه
عبرت وما عبرت عليه الزوبعه

هذا الشلال من الكلمات المتدفقة ، بصورة وحشية دون هوادة ودون لجوء الى ادوات العطف والربط المنطقي ، يعطي الانطباع القوي بالزخم القاهر ويجسد معنى الدفقة الحيوية او الاندماج الحي الذي يريد الشاعر ان يرسخه في اذهاننا .

والقصيدة الثانية « الى مسافرة » لفاروق شوشة تحمل كل حسنات الشعر الحديث ... وبعض مواطن ضعفه . احببت فيها اولا مرونة الايقاع ولدونته وطواعيته لمساوقة خلجات النفس المتتابعة المتغيرة . وما يمكن ان يصاحبها من انغام ذاتية متفاوتة الامداد والتموج .

واحببت فيها ثانيا دفقها الوجداني الذي يزن الكلمات بميزان القلب اكثر مما يزنها بميزان العقل . ويفصح في كلماتها فرح طاغ يتملك الشاعر الذي يسعد بالفرق في جو اثيري وضعه فيه صوت « المسافرة » .

رناته تدق ايامي تصب في غدي
تدفق من اعماق نبع دافيء القرار
بالامس ضمني هنيهة وطار ...
وكدت المس النداء باليد
وذكرى ومضة عينيها الفيروزيتين ، بل ووقع خطوها .
يا طائري يا طائري
خطاك في دمي تسوح .. تنفض الامان
وقع خطاك في الدرج
وطرقة .... وطرقتان ...
يا بابي الصغير ... يا جداري الكبير
تالق الطريق بالوهج ...
واشرقت من كوة يدان ....
نديتان بالحنان ..
يا طائري ... يا طائري ...
شيء باعماقي اختلج
تفتحت في الصدر شرفتان ....
واتسع الحلم ... واورق المكان ...
ودقت الاجراس في البعيد ...

وطرقة ... وطرقتان
شيء باعماقي .. يدق من جديد ...

اني اعيد كتابة هذا المقطع لعلي اعيد للقاريء من جديد الاحساس الاثيري ، الاحساس بالهناء الذي عرفته عند قراءة هذا الشعر الذي تنساب كلماته وتترقرق نغماته بمثل رقة النسيم او غلائل القمر في انسحابهما على صفحة اليم ، وأي قاريء لمثل هذا الشعر لا يقول مع الشاعر :

شيء باعماقي اختلج
تفتحت في الصدر شرفتان ...
واتسع الحلم ... واورق المكان

وكاني بالشاعر ، بوضعه النقاط عند كل فقرة ، اراد ان يحمل شعره اكثر ما يمكن من الصمت والعتمة ، والسكون لتخفف ما امكنه من توتر القاريء ، اندفاعا مع وتيرة الحياة العادية ، وان يضعه في اكثر الاجواء لطفا وهدوءا وسكينة وعذوبة ودعة . قليل هو الشعر الذي يحدث مثل ما تحدثه هذه القصيدة من شعور بالسلام والطمانينة وبالغبطة التي تمثلها الكتب المقدسة عن حياة اهل الجنة .

وقليل من الشعراء استطاعوا ان يستخرجوا من اللغة العربية ، هذه اللغة التي ولدت في قلب الصحراء الجافية ، مثل التي تكاد تكون مبطنة بالسكون والصمت .

ويا للحنين الذي ينبع من كل كلمة من كلماتها ، وبخاصة حينما يتحدث الشاعر عن دمشق ، بكل المحبة وكل الشوق وكل اللوعة التي يحملها كل ابناء العروبة لهذه المدينة المجيدة :

طوفت في دمشق ...
فتشت عن فيروزتين ..
في الاعين التي تكاد تحترق ...
وخلف هالات السواد والارق
طوفت في كل الوجوه ، مرة ومرتين .
عبرت كل عين ..
لا شيء في دمشق ...
الا انتظار وقلق ..
واغنيات لم تزل على الشفاه تختنق
وجبهة شماء لا تقول اين
رخامها اضاء ... واحترق ....
وموجة خضراء تغمر السهوب واليباب
ولوعة تغيب في الحداق ....

الى ان يصرخ الشاعر صرخة مفزعة لا ندري سببها :

الليل في مدينتي كانه سرداب ...
طرقت ... وانتظرت ان اخوض في الضباب
فانشق من خلف الجدار باب
باب حزين صامد كصفرة الشفق
عبرته الى دمشق ...
العار في صمت العيون قد غرق

ورغم ان الشاعر لم يحدد لنا بالوضوح الكافي العلاقة بين لحظة الشعور النفسي التي اراد التعبير عنها ومدينة دمشق التي يصفها بمثل هذا الحب واللوعة ، فاننا شاكرون له محاولته هذه لتاطير اللفحة الوجدانية العاطفية التي انطلق منها ولاعطائها بعدا مكانيا وزمانيا يزيد في رونقها وعمق تاثيرها .

اما الشيء الذي ننكره على قصيدة فاروق شوشة فهو انعدام التركيز فيها واسترسال الشاعر مع سهولة التعبير التي يتيحها النظم في الشعر المشرح . ولو اعاد الشاعر قراءة قصيدته بتجرد موضوعي لاقر معي ان المقاطع الثلاث الاولى استنفدت كل الطاقة الحيوية التي كانت وراءها وان المقطع الاخير لا ياتي باي نفحة عاطفية ولا جمالية جديدة . ولو قدر للشاعر الشجاعة الكافية لبتر هذا المقطع الاخير ، وللاستغناء عن بعض الابيات في المقاطع الاولى ، لجاءت قصيدته على

طبعت على مطابع
« دار الغد »
تلفون : ٢٢٢٩٢٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكثافة والغنى المطلوبين .

والقصيدة الثالثة « رماد » لاحمد محمد صديق ، من النوع الرومنسي . وهي تتحدث ايضا عن غياب حبيب « خلف بحار الصمت الولهان » . وعواطف الترقب لعودته دون جدوى .

والقصيدة عادية الصياغة ، عادية الصور ، عادية المحتوى العاطفي. ولا نحب ان نقف عندها اكثر مما يسمح به ضيق المجال .

اما القصيدة الاخيرة « رقصة المقابر » لظافر الحسن فما كان لنا ان نذكرها لولا ما استوقفنا فيها من تراكم كلمات وعبارات واشارات لا تهدف الا لاضفاء جو مقبري قاتم ، تتقزز له النفس وتعافه الخواطر.

ولادلل على مدى الغلو في اللعب بصور المقابر ومعاني الموت والجفاف ، والضياع ، واليأس التي تنضح بها هذه القصيدة أعيد بعض المقاطع :

— ١ —

« وحيد انا والزمان
قبور اسائلها في حنان ...
... واشعر ان الوجود
عظام الى لا حدود ... ودود
واني وحيد ، انا والزمان

— ٢ —

اما من طريق
اما من اله ...

— ٣ —

... الام ؟ والى اسير ؟
الى لا مكان ...

— ٤ —

شموس تخوض والكائنات
نباح عيون ورعب وشر ..
ونحن نعيش ... بدون اندفاع
بدون يقين ... بلا مستقر .
قبور تمور ... وتزحم دربي
قبور ... قبور ... تسمى بشر
فاين المفر ؟!

— ٦ —

لماذا نعيش ؟ ولم يبق شيء ...
وماتت رغاب
وعشش في كل عين يباب
وصرنا نحس باننا انتهينا
لماذا نظل هنا قابعين
وراء الوجود ... سدى فارغين ...

— ٧ —

وكون يعاني افوله
وليل يمدد رعبه
متاه !
وامشي بدون اله ...
واحمل نعشي
وانشد في زمر الميتين

اود ان يقرأ كل انسان هذا النوع من الكلام النادب المفجع ليعلم الى اي حد تبلغ آثار التهافت على بعض التعاليم القائمة من الفلسفة الوجودية في مجتمع لم يتهيأ لها . هذا الشاعر الذي لم يتح لي بعد ان اسمع باسمه او ان اتعرف عليه ، يلخص في هذه القصيدة كل اخطاء المدارس الفكرية التي استوردها من الغرب بعض باحثينا . والمشحونة بالدعوات لمنازلة الموت ، وللرقص على حافة القبور والعدم ولاضاعة الايمان واليقين وللشك بكل القيم ، ولتجاوز كل الحدود ولرفض كل الشرائع ، وبالتالي لانكار كل ما بنته او ما ستبنيه الانسانية بايديها ودمائها وعقولها وبطولاتها وايمانها وحماستها. هذه الدعوات التي تتلاقى تحت اقنعة كثيرة ، كلها تلتقي في هذه القصيدة .

هذا الشعر يجسد بصورة فجة ما تؤدي اليه هذه التعاليم الانحلالية، تعاليم الرفض للمجتمع واليأس من حاضر الانسان ومستقبله

لماذا نعيش ؟ ولم يبق شيء
وعشش في كل عين يباب

اننا نريد ان نقول لهذا الشاعر انه اذا كان لم يجد بعد في كل ما يدور حوله من روائع وآيات ومثيرات اسبابا كافية للعيش ، فلا احد يمنعه من تخطي العتبة ما وراء العيش . واذا فعل (وهو لن يفعل) يعطينا على الاقل السبب الوحيد للاهتمام به ، وبشعره ، اذ لا يعود هناك من تناقض فاضح بين ما يقول وما يعمل .

ولا نجدنا مسؤولين عن اقناع ظافر الحسن ومعلميه بخطأ نظريتهم القاتمة ، ولا عن ضرورة وضع نظارات جديدة امام اعينهم تنزع منها مناظر القبور ورؤى النعوش واليباب والرعب .

فان في استمرار ما يزيد عن المليارين من البشر على العيش والنضال ما يدل على ان دوافع الحياة لا تزال اقوى من دوافع الموت وان الذين يريدون زرع القبور في طريق الانسانية سيظلون وحدهم نزلاءها ، وانهم وحدهم يموتون كل يوم الف مرة . اما اولئك الذين يؤمنون بالحياة ويعملون على اغنائها بإراداتهم الطيبة وباحلامهم واشواقهم ومطامحهم وباعمالهم البناءة او الملهمة ، فهم لا يعرفون الموت ولو دفنوا الف مرة في قبور الارض .

علي سعد

صدر الكتاب الحضاري المنتظر

الثوري والعربي الثوري

بقلم مطاع صفدي

ويشتمل على الابحاث الآتية :
الثوري الجاهلي ، الثوري المراهق ، الثوري الاجتماعي ، الثوري القومي ، الثوري الفنان ، الثوري الميتافيزيقي .
دراسة جديدة تتناول جميع مظاهر الفكر الثوري المعاصر من عربي وغربي .

عن دار الطليعة — بيروت
ص.ب : ١٨١٣ — تلفون : ٢٥٧١٧٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النشاط الثقافي في الغرب

الولايات المتحدة

ارنست همنغواي

٭

في مطلع هذا الشهر ، اعلنت اسرة الكاتب الاميركي المعروف ارنست همنغواي « انه قتل نفسه خطأ بينما كان ينظف بندقيته » .

وقد ثارت علامات استفهام كثيرة حول هذه الميتة ، وشك كثيرون في صدق الرواية ، والتمسوا لشكوكهم تعليلات وتبريرات كثيرة . وكتب بعضهم يؤكدون ان همنغواي قد انتحر عن سابق تصور وتصميم ، ولم يقتل نفسه خطأ . وكانت اقوى الحجج تلك التي تذهب الى ان همنغواي كان يعاني في السنتين الاخيرتين من آلام مختلفة ، وانه قضى اسابيع طويلة في المستشفى ، كانت بالنسبة اليه امرا لا يطاق ، بالنظر الى حيويته المتدفقة ورحلاته المستمرة وحاجته الشديدة الى السفر والخروج والصيد والشمس والبحر ... وتبعا لذلك ، فانه لم يحتمل ان يمرض ، ولا ان يشيخ ، ولا ان يرتاح ، ولا ان يكف عن ان يكون « الكائن الوحيد الذي استطاع وعرف ان يكونه في السراء والضراء : همنغواي . » كما قال الكاتب الفرنسي غي دومور (١) .

ومهما يكن من امر موت همنغواي ، فان اختفاءه خسارة جسيمة للادب الاميركي الذي يعتبر اليوم من ألمع وجوهه .

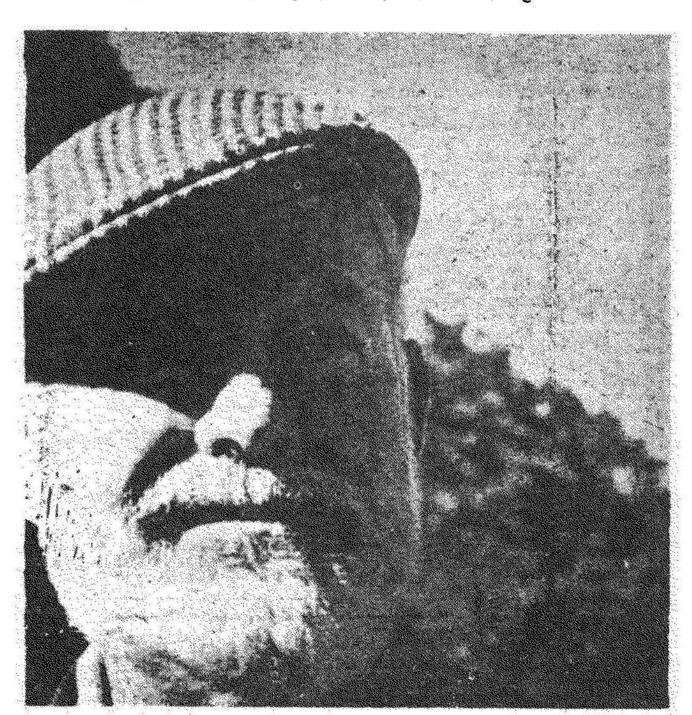
والواقع ان همنغواي بدأ يكتسب الشهرة وهو بعد في السادسة عشرة من عمره . ولم يبلغ العشرين الا وكان قد قام بعدة رحلات صيد ورياضة وعاشر النساء ولقي عندهن حظوة كبيرة ، وحرر في الصحف . ثم شارك في الحرب ، وسافر الى ايطاليا ، وكان مراسلا حربيا في اثناء الثورة الاسبانية حيث اصيب بعدة جراح ، وهو في ذلك كله يكتشف العالم ويشاهد مصارعة الثيران ...

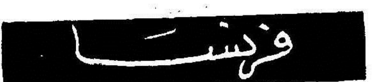
وفي العشرين من عمره ، صدرت روايته الاولى « وما تزال الشمس تشرق » فقلبت صفحة جديدة في الادب الروائي ، من حيث طريقة الوصف والسرد ، واخذ همنغواي يترك اثره ويكون مدرسة جديدة من اهم ميزاتها البساطة في التعبير ، مع العمق الشديد ، وروعة الاسلوب وقوة الايجاز . واقوى من نجد في ادب همنغواي تمجيد الرجولة والشجاعة والحرية وروح المغامرة . وابطاله « ينظرون الى انفسهم وهم يتحركون » وفي افواههم طعم الرماد . واجمل ما في رواياته هو انها تروي قصص حياته بالذات ابتداء من عهد المراهقة (قصص نيك ادامس) ومرورا بعهد الحرب الكبرى (وداع للسلاح ، وثلوج كليمانجارو) حتى حرب اسبانيا (لمن تقرع الاجراس) وآخر الغراميات في فينيسيا « عبر النهر ونحو الاشجار » حتى ان القارىء ليتساءل : ايهما كان همنغواي يفضل : حياته ام مؤلفاته ؟ وايهما كانت انجح من الاخرى ؟ الحق ان هناك تعادلا مدهشا بينهما ، مرده بلا شك الى الوعي الدقيق لحدود كل منهما ، والى استعمال الوقت استعمالا صالحا ــ متساويا بينهما .

وقد انخرط همنغواي في الجندية عام ١٩١٨ من اجل « لذة القتال » ومن اجل الدفاع عن الديموقراطية كما كان يقول . وهذا ما دعاه ايضا الى النضال لصالح اسبانيا الجمهورية والى المشاركة في تحرير فرنسا . فهل يمكن اعتباره ، من اجل هذه الاسباب، كاتبا ملتزما ؟ الواقع ان همنغواي لم يحارب قط ضد الظلم الذي يبدو في كثير من مرافق الولايات المتحدة ، وحين قامت الثورة الكوبية وسط بلاد كانت قد اصبحت وطنه الثاني ، التزم صمتا مريبا ...

على ان معظم الافكار التي تتضمنها مؤلفاته تتجمع وتلتقي عند هذا الصراع النبيل ضد مشكلة الانسان الكبرى ، الصراع ضد هذا الذي لقي همنغواي عنده نهايته ، الصراع ضد الموت . ولعل اجمل المؤلفات في اروع الآداب العالمية التي تتناول موضوع الموت هي مؤلفات صاحب رواية « مات بعد الظهر » .

(١) راجع مجلة « فرانس ــ اوبسرفاتور » العدد ٥٨٣ .





فرنسا

موت سيلين

٭

مات في الشهر الماضي الكاتب المعروف لويس فردينان سيلين Céline الذي ترك مهنة الطب لينصرف الى الادب فيحرز فيه نجاحا باهرا حتى ليعتبر اليوم من اكبر الادباء الفرنسيين المعاصرين . وقد فاز سيلين بجائزة غونكور على كتابه « رحلة في آخر الليل » الذي يفيض باليأس والاحساس المظلم ويعتبر احدى اقوى روايات العنف والفظاعة المستوحاة من عبثية الحياة ، بصرف النظر عن موهبة سيلين فيما يخص الاسلوب الطبيعي التلقائي الصادق . وقد اجمع النقاد على ان هذا الكاتب اكتشف طريقة جديدة للتعبير تقوم على الطبعية والتناغم والانسجام والرهافة .

وفي رواية سيلين الثانية « موت بالدين » تبرز النزعة نفسها في التعبير عن « الحماقة الكونية » ولكن روايته الثالثة التي صدرت عام ١٩٣٧ بعنوان « ترهات من اجل قتل » لا تكشف عن نقمة الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الحياة كلها ، بل على بعض افرادها او جماعاتها ، كرجال السياسة واليهود وسواهم . وقد كانت نقمته على اليهود شديدة جدا حتى انه كان يعتبرهم اعداء فرنسا والغرب والجنس البشري كله . ثم صدرت له « مدرسة الجثث » و « الاغنية الجميلة » حيث تنبأ بهزيمة فرنسا في الحرب الثانية . وقد شارك في الحرب وأسر في الدانمرك .

وبعد الحرب ، اخذ النقاد ينظرون الى آثاره نظرة مغرضة للروح المناهضة للسامية التي تضمها ، وعاش سيلين طوال السنوات الماضية تحت وطأة هذا الشعور وكان ضحية احساس التعذيب ، ولكنه ما يزال يعتبر وجها من المع الوجوه الادبية من حيث قوة التعبير وروعة اللغة . فهو قد عبر عن « البؤس » البشري المعاصر تعبيرا عنيفا جدا ، فتحدث عن الحرب وعن حياة المستعمرات وعن المستشفيات وعن بؤس الاحياء الفقيرة . وهو في ذلك كله قد خلق رؤية للعالم تثير الاشمئزاز والنفور . وقد سبق سارتر وسواه الى اسقاط علم النفس والحبكة والشخصيات التقليدية في الرواية ليجعل منها نوعا من التامل الغثيان حول الوجود (والبحث عن « لماذا نحن هنا ») ودراسة لتصرفات « الحيوان » البشري المثير للنفور .

واخيرا ، خلق سيلين اسلوبا لا يضاهى في جدته وابتكاره واستعماله للتعابير العامية .

« الظاهرة الساغانية »

نالت رواية فرانسواز ساغان الاخيرة « الغيوم الساحرة » رواجا كبيرا يجعلها في طليعة المؤلفين في العالم من حيث اقبال الجمهور على قراءة كتبهم . وقد بيع من الرواية في خمسة عشر يوما ثمانين الف نسخة ، وهذا يعني ان « الظاهرة الساغانية » ما تزال مستمرة .

وقد كتب الناقد الفرنسي غي دومور في العدد ٨٥٢ من مجلة « فرانس اوبسرفاتور » مقالا يتحدث فيه عن هذه الظاهرة ، فكان مما قاله :

« لقد استوحت فرانسواز ساغان « الموضة » ، فكان طبيعيا ان تروق للمجتمع الذي يفضل القراءات السريعة الخفيفة ، بالرغم من ان كامو وسارتر ومورياك قد عبروا عن اعجابهم بها . »

ويذهب الكاتب الى ان افضل خصائص ساغان ليست مبتكرة . فليست بساطة الاسلوب الا تبسيطا للغة والمفردات ، وهي لا تهتم لا بالتحليل النفسي ولا بالاوصاف ، وهذا ما يروق للقارىء الكسول . ولم تتغير طريقتها في الكتابة منذ كتابها الاول ، بل هنالك مقاطع برمتها تبتدىء العبارات فيها بالموضوع نفسه وبضمير المتكلم نفسه . والاشخاص انفسهم لم يتغيروا ، فنحن نجد هنا « الغراميات » السريعة العابرة نفسها ، وشرب الخمر ذاته ، واوقات البطالة بعينها . فالمشاهد والابطال لم يحققوا بروزا او تطورا جديدا . وفرانسواز ساغان تتوسل بقطع الغيار نفسها : حانات الشرب ، غيرة الزوج ، انتقام زوجته ، حفلات الكوكتيل الخالدة ، ابطال نموذجيين كالثري الاميركي المصاب بالنورستانيا ، ومحرر مجلة ماتش والسيدة الناضجة التي تهتم بالرسم ، والديكورات والاشخاص المسطحين الذين يقصد منهم ابراز شعور « الملل » و « الضجر » كما تحس به البطلة الاولى التي ربما كانت فرانسواز ساغان نفسها .. لانه ملمح هام في الظاهرة الساغانية ـ جديد تماما في الادب الشعبي ـ ان يرى القراء في حياة المؤلفة امتدادا لقصصها ... والواقع ان ما يجذب هؤلاء القراء الى المؤلفة هو انها تشركهم في اسرار حياتها وخفاياها .. اما ما عدا ذلك، فيمكننا التأكيد بان ساغان لم تلتق قط بالاشخاص الذين تتحدث عنهم ، ولم تذهب الى باريس او نيويورك. واولئك الذين تتحدث عنهم هم اشخاص مهيأون في الذهن ، والمشاهد مأخوذة من البطاقات البريدية ...

ويستطرد الناقد الى القول بان هذا كله سيظل يرد في روايات ساغان ما دامت تكتب، فاشخاص رواياتها يعيشون كما تحكي لنا المجلات المصورة ، وهم متشابهون فيما بينهم .. فلبطل الاميركي « الان » لا يعرف الا من خلال غناه ،اما غيرته فلا ترتبط بتحليل نفسي ولا بفورة حب ، وانما ترتبط باعترافات نجدها في « بريد القلوب » ، وحين يرسم فيبهر المجتمع الباريسي ، لا نعرف ابدا ما الذي يرسمه ، كما لا نعرف الكتب التي يمكن للكاتب برنارد (احد الابطال) ان يكتبها. واما العشاق المتتابعون الذين تأخذهم جوزيه لتفلت من زوجها الممل ، فلا نعرف عنهم الا انهم ذوو اجسام .. ذلك ان الرسم والادب والغيرة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

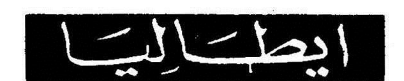
النشاط الثقافي في الغرب

والحب قد اختصرت لتصبح « جوهرا » لا حاجة به الى تجسيد !

وقال دمور : « لا الاشخاص ولا المواقف موصوفة على حقيقتها ان روايات فرانسواز ساغان هي سيناريوات سينما تنتظر مخرجا وممثلين لتحيا . وهذا المخرج وهؤلاء الممثلون هم القراء انفسهم فهم يجدون في هذه الكتب الاشارات التقليدية المتفق عليها لعالم يصدقونه لانهم يجهلونه ، عالم تحاول المؤلفة ان تختصره لهم بصور بسيطة ، الويسكي سيارات السبور ، الرسم ، اميركا ، الشاطيء الشمالي ، الريتز . وليست هذه رموزا على الاطلاق ، وهي لا تورد هنا على انها علامات عالم مزيف . ولما كان للقاريء اسباب وجيهة في اعتبار الحياة ثقيلة كئيبة ، فانه لا يسعه الا ان يشتهي هذه الامسيات التي ينفق فيها الناس في ليلة واحدة ما يربحه هو في شهر : وهذا ما يسمى ادب ترفيه . فلتحاول فرانسواز ساغان ان تصف اشخاصها حقا وان تتحدث عن المواقف من غير روح فكاهية ، وان تتحدث بصدق عن رغباتها وهمومها : انها اذا فعلت ، عاداها النجاح والاقبال . انها اذا قطعت على قرائها احلامهم ، اصبحت مضطرة الى ان تنتظر عشرة اعوام حتى يقرأها عشرة الاف قاريء ، وهو رقم طيب لكاتب مبدع حقا . ولكنها في الواقع فضلت بوعي او بغير وعي السهولة وحس الارضاء لجمهور القراء .

وتحدث الكاتب عن « لااخلاقية » روايات ساغان ، فقال انها لا اخلاقية لغير الاسباب التي تذكر عادة . فليس ثمة من يمكن ان يصدمه هذا العالم الروائي الذي يحترم جميع مقدسات حضارتنا ، ولاسيما المال . والقضية الجنسية نفسها غير واردة : فهي تقتصر على اعمال لا اهمية ثورية لها ، وقد ذهبت السينما الى ابعد مما ذهبت اليه هذه الروايات في تجسيد العواطف الجنسية . وبالاضافة الى ذلك ، فان هذه الانطلاقات التجريدية التي هي في الحقيقة مادة واسعة لاحلام القارئات اللواتي يعشن حياة اشق واصعب انما يعوضها الضجر الذي يحس به هؤلاء الفتيات او النساء اللواتي لا يمكن اعتبارهن امثلة لحرية خطرة على النظام الاجتماعي . فان صراعاتهن الداخلية لا تعقب نتائج حيوية . غير ان ما يزعج حقا من الناحية الخلقية ، في هذه الروايات ، ذلك التجاهل المبالغ فيه لكل الم حقيقي اذا صورته المؤلفة اوشكت ان تصرف عنها معظم قرائها . ذلك ان الالم هو الطابع الحقيقي للانتماء الى العالم ، وابطال فرانسواز ساغان لا ينتمون الى هذا العالم . وكذلك غياب كل سعادة تطلب من الرجل والمراة عطاء نجده منفيا تماما من هذا العالم الاناني . وهذه الانانية هي التي تميز افضل تمييز هؤلاء الاشخاص الفاقدين لكل حرارة . »

وينهي الناقد مقاله بتعداد حسنات ساغان من مثل حس الايجاز والتلاعب بالظلال والانوار ، والحيوية والسرعة اللتين ينبغي ان يغذيا بموضوعات اخرى . ولكن ساغان لم تجتذب قراءها بهذه المزايا ، وانما اجتذبتهم بتعبيرها عن « حقيقة » يشترك فيها الجميع ، هي مجموعة الاكاذيب التي تحاول بمختلف الطرق ، ان تصرف عالمنا عن البحث وعن حسياسية اعمق وعن كل جهد لتفهم انتاج ادبي اكثر قيمة . ان ملايين قراء ساغان وجدوا في انتاجها بديلا يغنيهم عن قراءة اشياء اخرى .



نظرة الى القصة الحديثة

كانت الفاشية ثم الحرب ، والمقاومة كملحمة الشعب ، والصراع السياسي لصالح الجمهورية والدستور ، ومقاومة الارهاب والضغط ،



كاسولا — براتوليني

واكتشاف الجنوب وعالم الفلاحين والعمال ، كانت هذه كلها العناصر الرئيسية التي منحت الكتاب الايطاليين المحدثين تجربتهم الفنية الاولى ، وقد تكون الوحيدة . واذا كان السابقون امثال فيتوريني وبافيز ومورافيا وبراتوليني قد كتبوا بعض آثارهم قبل عام ١٩٤٥ ، فانهم لم يقرأوا باقبال الا بعد التحرير ، بل ان بافيز وبراتوليني لم ينشرا أهم نتاجهما الا بعد هذا التاريخ .

فكيف كان الوضع الثقافي لهذه الفترة التاريخية ؟

من العدل ان تذكر هنا خدمات الناشر الايطالي اينودي الذي كشف للجمهور (بمساعدة بافيز وفيتوريني وكالفينو) عن الآداب الاجنبية المعاصرة ، في ميدان الروايات والدراسات ، ونشر مجموعة « جيتوني » المخصصة للآثار الاولى التي يصدرها الجيل الادبي الجديد . وقد « اخرجت » دار اينودي والدور الاخرى في بضع سنوات كل ما كانت الفاشية قد منعت ظهوره بدعوى « مكافحة الانحطاط » وقد استهلك الجمهور في عامين او ثلاثة كل ما كتب في اوروبا او الولايات المتحدة منذ عام ١٩٢٠ .

وينبغي التحدث هنا ايضا عن مجلة « بوليتكنيكو » لفيتوريني نفسه ، وعن ازدهار النوادي الادبية ، والصحف والمجلات التي شجعت انتشار الثقافة الجديدة التي اقبل عليها الايطاليون اقبالا شديدا . وما تزال هذه الحركة مستمرة بفضل دار اينودي ومنافستها دار فيلترينللي وعدة مجلات هامة .

والظاهرة التي تلفت النظر في هذه الثقافة انها تحمل طابع « الثقافة اليسارية » او الماركسية ، وهي تغدو لذلك « سياسة ثقافية » واضحة الخطوط . غير ان ما يفسد رصانة هذه الثقافة سرعة الانتاج وغزارته . فان المرء لا يكاد يتصور كمية الروايات والقصص التي صدرت في ايطاليا حتى عام ١٩٥٠ ، وهو انتاج متشابه الملامح . واذا لم يكن فيتوريني مخطئا في تقدير اهمية سلسلة « جيتوني » ، فان ذلك لا يعني ان هذه السلسلة تضم دائما آثارا خالدة . المهم مع ذلك ان اسماء كبيرة خرجت من هذه الحلقة بينها كالفينو وكاسولا وكانكوني وسواهم .

وكان من نتيجة هذا الاقبال على الآداب الاجنبية ان احتل الساحة امثال جويس وبروست وكافكا ومان وهمنغواي ، وهي اسماء تاخر ظهورها بسبب السياسة الفاشية ، مما اوقع النقد الايطالي في اخطاء واضحة عن « المستوى الاوروبي » و «الرواية الحديثة» فهو اذ يتصور ان ارفع درجات « الجدة والحداثة » بالنسبة للكاتب الايطالي هي ان

النشاط الثقافي في الغرب

يكتب على غرار جويس اوبرست ، انما يحبس نفسه في دائرة مفرغة من الكآبات والاحقاد والحماسات المصطنعة . واخر دليل على ذلك ما لقيته رواية « الفهد » تأليف لامبيدوزا .

ومن المؤسف ان ينتج عن ذلك مدرسة طابعها الاول التقليد ، هي « المدرسة الاوروبية » التي تستمد موضوعاتها وطرقها من « الكبار » الذين انتجوا انتاجهم الرئيسي قبل الحرب الاخيرة . ومن اليسير الاحساس بالملل الشديد من قراءة كتب الفها امثال بوزاتي من الشيوخ او توكسي وارزو وباتروني غريفي من الشباب .. والغريب ان النقد الايطالي لم يجرؤ بعد على نقد السخافات المسطحة التي تصدرها ايضا مورانت وسواها .. ولكن لا بد ان تكون لذلك احدى الحسنات: فاذا كانت ايطاليا تصدر الى الخارج مثل هؤلاء الناثرين ، فلكي تتخلص منهم وتمكنهم من تحقيق حلمهم « الاوروبي » ، وهكذا عرف الجمهور العالمي امثال كوكيولي ومالابارت وبوزاتي وسيلوتي .

اما البرتو مورافيا فقد كان اذكى منهم جميعا فتناول موضوع الريف وتفوق على جميع الادباء الذين يقلدون كتاب اوروبا .

ومقابل الفئة الاوروبية تاتي فئة الكتاب الجنوبيين ، ولاسيما الصقليين . وميزة هؤلاء على الاخرين ان لهم اجدادا سبقوهم في الحرص على التحدث عن الجنوب والاهتمام الكلي به ، ومنهم فيرغا وبيراندللو وكروتشه وفيتوريني وغرامسكي . وهنا تركت « السياسة الثقافية » اليسارية أثرا بارزا في اعمال كارلو ليفي وسميرانا وبونافيري وانا ماريا اورتيز . ان هؤلاء جميعا شهود البؤس والشقاء البشري ، وهم مكلفون باطلاق صرخات اليأس العميق . ولكن المؤسف ان الاثار الهامة في انتاج هؤلاء قليلة بل نادرة ، وعلى رأسها كتاب ليفي « المسيح توقف في ايبولي » .

فما سبب هذا الاخفاق ؟ انه معزو بالدرجة الاولى الى اغراقهم في وصف البؤس ونزعتهم الاخلاقية الواضحة التي تفسد الفن ، وبين هؤلاء ستراتي واورتيز .

وليس من اليسير بعد ذلك تجميع اصحاب النزعات الجديدة في مدرسة موحدة . ولكن القضية هي قضية « جو مشترك » . وليس المقصود هنا التحدث عن اولئك الكتاب الذين يعملون من الضجة اكثر


كالفينو

مما يعملون من الكتب الجيدة ، من امثال كارلو اميليو غادا الذي لا يخرج عن التقليد الاوروبي ، ومن الغريب ان يقف النقد اليساري منه موقف التحبيذ والتاييد . ولا بد ان في ذلك استمرارا للتعصب الذي كانت تتخذه لتهتم بكل شيء وتبت بكل شيء وتتناول كل شيء باسم غرامسكي من غير ان تؤدي دورا فعالا بعيد الاثر . ان النقد اليساري يتصرف كما لو ان همه الوحيد ان يضع حواجز حول حقله ، ينقلها على هواه

ووفقا لمصادفات « الموضة » . صحيح انه اسهم اكثر من اي اتجاه اخر في خلق الادب الايطالي الجديد ، ولكنه لم يحقق اية خطوة جديدة عما كان عليه عام ١٩٤٥ . والخطر الذي يداهمه الان هو ان يجد نفسه ذات يوم فارغ اليدين ، محبوسا في مكتبة خيالية ، وكل شيء يخرج خارج حدوده ..

مثال ذلك : ان هذا النقد حاول ان يجعل من اخر رواية لبراتوليني وهي بعنوان « ميتيلو » ، اثرا رئيسيا رائعا ووصفه بانه يمثل الانتقال من الواقعية الجديدة الى الواقعية . والواقع ان هذه الرواية ، بصرف النظر عن حسناتها ، تحمل جميع مساويء كتب براتوليني الذي يخفق في التحرر من نزعته الفولكلورية وتصويره العاطفي للبؤس . ولهذه الاسباب تشكو الرواية ، على كثافتها وقيمتها ، من فجوات كثيرة . ولا شك ان امام براتوليني وقتامتسعا للتقدم والتطور ، ومن المؤسف ان تكون الاناشيد التي يعزفها لمجده الناقد ساليناري وجميع محرري مجلة « كونتمبورانيو » مدعاة لتاخره في البحث عن امكاناته وتحقيقها ..

اما « الكبار » في مدرسة الشمال فهم كالفينو وباساني وكاسولا ، وصفتهم المشتركة انهم كتاب « جدد » ، وكل ما سوى ذلك يفرق بينهم، ويتبعهم جيل من الشبان بينهم اوتيادي ودافي وسيلفيو ميشالي الذين يحاولون كتابة رواية الحياة العمالية بهدوء واصرار ، يخفقون تارة وينجحون تارة اخرى . وبالامكان الوثوق بمواهب هؤلاء وصبرهم وجهدهم المستمر .

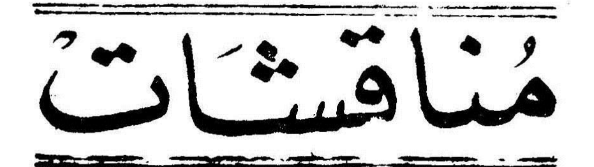
وقد جمع ايتالو كلفينو جميع اقاصيصه في كتاب واحد يضم مختلف تيارات الادب الايطالي الجديد : من نزعة البؤس الى تصوير الحرب والمقاومة ، الى السيرة المتنكرة بقصص رمزية ، كل ذلك مكتوب باسلوب يملك صاحبه مقدرة كبيرة على التعبير . وتمتاز لغة كلفينو بالدقة والرهافة وهي اكثر انطباقا على المرح منها على المأساة : وهو بالاجمال كاتب من كتاب « العلم — الخيال » بينما تظل قدماه مشدودتين الى الارض . ومما يشد الانتباه في قصصه ان دقة النظر والاسلوب تولد حزنا ومرارة ينبعثان من الاشياء نفسها ، من غير نزعة اخلاقية ولا ادعاء ولا بلاغية . ليس اسهل من تلك القصص ولا اكثر منها بداهة .

وقد صدرت لكلفينو رواية هامة بعنوان « البارون الواقف على الشجرة » وفيها يروي قصة قروي يقرر ان يعيش بين الاشجار على اثر خصام قام بينه وبين ذويه . فهو يرى من على غصنه كل شيء ويشارك في الثورة الفرنسية وفي عهد الامبراطورية وعهد النهضة . وقد كتب سيزار كازس عدة مقالات يدرس فيها هذه الرواية ويتحدث عن قيمتها. والماخذ الذي يمكن ان يوجه لكلفينو هو ميله الى الغرابة الذي يمكن ان يقوده الى كتابة قصص لا اهمية كبيرة لها ، ويكمن سحرها الوحيد في طائفة من التفاصيل الممتعة ، ولكن الهزيلة ايضا .

وفي هذه الفئة ياتي جيورجيو باساني الذي كتب عددا من القصص القصيرة بالتصوير الريفي وتعالج بعض مشكلات اليهود الذين كانوا ضحية الفاشية . واما كارلو كاسولا فهو اشد الكتاب الايطاليين خجلا وجراة في الوقت نفسه ، هو اشدهم خجلا لانه محتشم لاسيما حين يتحدث عما يحبه ، فهو من هذه الناحية اشد تأثيرا ، لا اشد اقناعا. ولكنه جريء كذلك لانه يخاطر بكل شيء في كل كتاب ، وكتابه الاخير « الجندي » يعتبر منعطفا هاما في تطوره ، اذ يتخلى عن الذكرى كموضوع ووسيلة لينصرف الى واقعية واضحة الملامح . فهو يروي قصة غرام جندي في مدينة ريفية بصدق وتلقائية ومحبة قريبة للانسان والانسانية . وكذلك القول عن روايته « فوستووانا».

ويمكن القول ، فيما يخص مدرسة الشمال ، ان الادب الايطالي يستقل بشخصية خاصة تجعله بغنى عن ان يقلد المدارس الاوروبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حول مقال ((في ركاب العربية))

بقلم صدقي البيك

نشرت مجلة ((الآداب)) في عددها السابع مقالا للسيد محمد عارف العميري ، يدافع فيه عن اللغة العربية ، مندداً باستهتار الكتاب المحدثين بالاسلوب واللغة والنحو ... وما دفعني للكتابة الا تعليق ((الآداب)) على المقال نفسه وتركها امر تصحيح الاخطاء في المقال للقراء .

تبدو غيرة السيد العميري على اللغة العربية واضحة تماما ، كما يبدو عليه الاستقصاء الدقيق عند قراءته ما ينشر ، ولكن غيرته هذه وحسن اطلاعه وتمكنه من علوم اللغة العربية لم تمنعه من الوقوع فيما كان ينعاه على غيره من الكتاب ، فهو يقول(١) في مجال ذكره الاخطاء النحوية عند الكتاب : (وفي مقال ((وضعية الاديب)) للاستاذ غالب هلسا هذه العبارة ((وان يكون له جسد مليء بالشعر)) وصوابها ((وان يكون له جسداً مليئاً بالشعر))) فلستُ ادري كيف يصدر مثل هذا التصحيح الخاطىء !! لكلام صحيح ، وكيف يتوهم الكاتب الخطأ فيما هو صواب ؟!

الا ان ثقتي بالسيد العميري دفعتني لمراجعة مقال الاستاذ غالب هلسا ، فوجدت ان الكلام عنده خطأ ، فهو يقول (٢) ((وان يكون له جسداً مليئاً بالشعر)) ولهذا فان القارىء يقع في حيرة فهل الخطأ من يد السيد العميري ام انه هناك خطأ مطبعيا قلب الكلام فاختل المعنى؟(*)

ويرى في المقال نفسه ص ٥٧ كلمة ((اولا)) وهي ليس لها معنى في موقعها ذاك ، الا ان المرجح ان يكون هذا خطأ مطبعيا والاصل ((لولا)) وبذلك يستقيم التركيب ((وقد كنت يائسا من الاستجابة... لولا ان وجدت ....))

ونحن نجد ان هذا الخطأ المطبعي يرد بعد سطور من نعيه على دور الطباعة ومنضدي الحروف !!

وفي عرضه للامثلة على الاخطاء الاسلوبية (٣) يبادر القارىء العادي الى تخطئته فيما ذهب اليه يحاول تصحيحه ، فهو ينتقد الاستاذين ايليا حاوي وهشام الكاملي لتعديتهما الفعل ((رأى)) بحرف الجر ((الى)) في قول الاول ((وهنالك ذات تأملية ، ترى الى الوجود بعين اسطورية)) وقول الثاني ((لا يجوز بحال من الاحوال ان نرى الى الآراء ...))

فمن يتأمل في القرآن يجد فعل الرؤية متعديا بحرف الجر ((الى)) في قوله تعالى ((الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك ...))(٤) و ((او لم يرو الى الطير فوقهم صافات)) ويرد فعل الرؤية في القرآن الكريم متعديا بحرف الجر ((الى)) ثماني عشرة مرة .

ولكن ليس معنى هذا ان السيد العميري مخطىء في تصويبه وان الصواب مع الاستاذين ايليا حاوي وهشام الكاملي ، فنحن لو راجعنا كلمة (رأي) في القاموس المحيط لوجدنا ((وكذلك ألم تر الى كذا كلمة تقال عند التعجب)) ومعنى هذا الكلام ان فعل الرؤية لا يتعدى بحرف الجر ((الى)) الا اذا كان مقصودا من التركيب التعجب ، ولو راجعنا الامثلة الواردة في القرآن الكريم على هذه التعدية لوجدناها تعني التعجب .

كما ان الزمخشري في كشافه يقول (٦) عند تفسيره قوله تعالى ((الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف ...)) يقول : (((ألم تر) تعجيب من شأنهم ، ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب .)) فهل في كلام الاستاذين ما يفيد التعجيب ؟

وليس ممكنا ان نقيس على هذا التركيب ونتوسع في استعمال حرف الجر ((الى)) مع فعل الرؤية ، لان هذا التركيب من التراكيب الجامدة التي تحافظ على شكلها ومن هنا نجد ان التراكيب الواردة في القرآن كلها تتألف من الاستفهام والنفي ، وكذلك الحال في القاموس المحيط ، ثم ان الفيروزابادي اتى بـه في نطاق عرضه للاستعمالات الخاصة لفعل ((رأى)) فيقول ((وفي الحديث أرأيتك وهي كلمة تقولها العرب بمعنى اخبرني والتاء مفتوحة ، وكذلك ألم تر الى كذا كلمة تقال عند التعجب .))

وختاما آمل الا يضيق صدر ((الآداب)) حرجا من عرض مثل آراء الاستاذ العميري ، كما آمل ان يحرص كتابنا على الحفاظ على لغتنا من ان تمتد اليها ايدي الشعوبيين الذين يملأ الحقد قلوبهم (*) .

حمص **صدقي البيك**

(*) حقق قلم التحرير في الموضوع فوجد ان الخطأ وارد اصلا في مقال الاستاذ غالب هلسا ، اذ ان الاديب العميري نقل عبارة الكاتب مغلوطة ـ على غلطها ـ ثم صححها كما كانت مغلوطة. ولهذا كانت حيرة الاديب البيك مضافة اليها حيرتنا ! ((الآداب))

الآكلون لحومهم .. ولحوم البشر

بقلم جلال السيد

قرأت نقد القصص الذي كتبه مطاع صفدي في العدد الماضي من مجلة الآداب فاكتملت بذلك الصورة التي حاولت جاهدا ان اكونها عن ذلك الاديب من اختلاط افكاره الموضوعية بانطباعاته الذاتية ، وتعميم احكامه وقفزاته الذي لا يستطيع ان يتابعه بها بهلوان . فقد اخذ يمهد لنقده بالحديث عن الناشئين وشبه الناشئين ، وتعثر الاساليب الفنية وتنافر المضامين .. الخ حتى يهيىء القارىء لاحكامه الذاتية التي لا نعرف لها اي اساس نقدي . ولن اتعرض الا لقصة ((الملح الذي نزرعه)) كمثال فقط . يقول الاستاذ مطاع عن هـذه القصة : ((انها قصة عن الحزن وقد نحتت شخصياتها لتقدم لنا بشرا محزونين ، ورصفت صورها واسترسلت اوصاف احداثها واستعملت فيها كل ادوات الحزن لمستعملاته ، كيما نحيا مع الكاتب ذلك الحزن الاسطوري الذي يغرم به كتابنا الشباب لكي يكون غرامهم ذاك بالحزن مطابقا لكليشات العصر : الضياع ، القلق ، الفجر ، الموت ، الحزن ..)) والحقيقة المؤسفة ان يتحدث الاستاذ مطاع عن هذه الكليشات ، حيث ان قراء الآداب يعرفون تماما من هم المغرمون بهذه الكليشات والتعبير عنها في اسلوب ضبابي مبهم ..!

ثم ينتقل الناقد الى تشويه او عرض القصة فيتحدث عن اشخاصها : نبيل ، زكي ، اسماعيل فيقول :

((هناك من ينخر السل في رئته ليس هذا فحسب ، ولكنه كادح ، ويعيل اما واخوات ، وهو فضلا عن ذلك يحب فتاة ، ليست موضوعا للحب (لانها تضع عوينات) . وهناك الشاب الاخر الذي

(*) الآداب : جاءتنا من السيد هشام الكاملي في دمشق كلمة يرد بها على السيد العميري ويذكر ان استعمال فعل ((يرى الى ..)) قد ورد عشرين مرة في القرآن الكريم . فنكتفي بهذه الاشارة الى كلمتـه .

يرجع حزنه الى قبح وجهه وانفه المفلطح المكسور منذ طفولته وليس هذا فقط ، فان لحزنه الكبير اسبابا اضخم ، لان اباه صعيدي متهم بجريمة حقيرة وهو نزيل السجن . وفوق ذلك فهو فاشل من الحب لان حبيبته بعد ان طال صبرها ، سرقها منه استاذه الدكتور . والشاب السعيد الوحيد من هذه الجماعة هو اسماعيل . وسبب سعادته هو انه يأتي الاول من حيث جمال الوجه وبالطبع فهو الاول في النجاح لدى الجنس الاخر .. »

واضح من عرض الناقد انه لم يكن لديه الوقت الكافي لقراءة القصة او الرجوع اليها لمعرفة الاشخاص ، فمثلا الشخص الاول (نبيل) لم يكن يحب فتاة (تضع عوينات) ويقصد بها عواطف ، لانه كان يحب انعام ، وزكي لم يسرق منه الدكتور فتاته لانه كان يحب عواطف ، اما الدكتور فقد سرق « عايده » التي كانت تحب اسماعيل ويحبها ، ولو قرأ الناقد القصة لكان انقذ نفسه من التناقض الذي وقع فيه من تحديده للقصة بأنها قصة عن الحزن وبشرها محزونون ثم يجعل اسماعيل الشاب السعيد لان السيد الناقد لم يعرف من هو اسماعيل وما علاقته بالقصة او عايده ، ولم يكن الاطار الذي اختاره القصاص عبثا كما يقول الاستاذ مطاع بل عن وعي وفهم ، حيث استطاع ان يقدم من خلاله نماذج مختلفة ، اراد ان يعرض لسلوكها من خلال تجربة جماعية ورسم كل شخصية بدقة وفنية يعرفها من احس هذه النماذج التي تعيش في مجتمعنا ونلمسها عن قرب - واظنها كانت نشازا للاستاذ مطاع - فالقارىء العادي بعد قراءته لقصة الملح الذي نزرعه لا يحس انها قصة عن الحزن ولكن يحس انها قطعة من الواقع الذي نعيشه ، شباب ينزع الى العمل ويقدس الحياة ويسعى لتغييرها بالرغم من الظروف التي تطحنهم جميعا ، من مشاكل اقتصادية ، الى عدم تلاؤمهم مع الواقع الذي يسيطر فيه الدكتور ويسطو على فتاة تعيش تجربة حب مع زميل وتخضع الفتاة للمؤثرات التي يفرضها هذا المجتمع ، لانها وليدة الظروف التي تقدس المظاهر الاجتماعية . ان ازمات شخصيات هذه القصة ليست مفتعلة وليست تبريرا للحزن الاسطوري ولكنها واقع يعيشونه ويشاركهم فيه آلاف الشباب في مجتمعنا وبالرغم من ذلك فهم لم يستسلموا لهذا الواقع السيء فنبيل الهادىء المتأمل الذي تتضح شخصيته من خلال القصة (لا من خلال النقد) يقول : « انني احس انني اكبر من نفسي ، انني ابتسم ، انني واقف على رجلي ، لم اشك لاحد ، انني قوي .. قوي جدا اعلم انني سأموت لو لم أسترح ومع ذلك لا استريح ، أموت لاصنع الحياة لاخوتي الثلاثة » ويصفه زكي : « ان نبيل كان يحميه دائما شيء في داخله ... كنت احس دائما انه قد رتب مصيره في داخله قبل ان يتعذب به في الخارج كان يحب وكان يتحمس لاشياء كثيرة .. » ، اما اسماعيل فيصرخ من داخله « لن ابكي ابدا » .

ان ابطال هذه القصة يعيشون حياتهم بفهم ووعي لحزنهم الحقيقي والذي لم يقض عليهم لدفعهم للصداقة والتآلف فيما بينهم وليس اجتراره سوى دليل على فهمهم لهذا الحزن وارادتهم على التغلب عليه رغم الظروف والواقع الاليم .... انهم بشر يحزنون ويحبون ويفكرون ولكنهم لا يرضون بالجمود او بالامر الواقع ، وقد استطاع القصاص محفوظ عبد الرحمن - وهو من قصاصينا الذين نعتز بهم ونعقد عليهم املا كبيرا - في ان يرسم الشخصيات بدقة وفن جديدين ، واستطاع ان يحرك هذه المجموعة الضخمة في قصة قصيرة في تكنيك محكم .

ونعود للحديث عن ناقدنا الفاضل لنلتمس اسباب غضبه على قصص العدد الماضي ، فان المتتبع لكتابات الاستاذ مطاع يستطيع ان يحدد سبب غضبه ، حيث ان القصص ليس بها : « نواس بارد يسجل لحظات الزمان الاجوف ، الزمان كما يمتصه انتظار شاخص من فراغه الى هذا الملا المفجع(1) » وليس في ابطالها : « ثوري مراهق تلقاء العملقات اللاشخصية الوحشية ، التي تهاجم وعيه البكر باستمرار ، تتنابه شبه مطلقة فينكفىء على ذاته شبه منحرف الى الفردية الهدامة الى التشفي المسروق الى الحقد الافعواني ، ويتحول هنا حلم البطولة الى حلم بالموت ، موت غريب رائع ، ليعطي له قيمة لم تعطه اياها الحياة ... »(2) وناقدنا كثيرا ما وجدنا تناقضا في آرائه فهو يقول مثلا في عدد الآداب اكتوبر عام ١٩٥٧ ص ٧٧ « انا ما آمنت قطعا ان النقد الادبي يمكن ان يكون موضوعيا ، اذ ان الموضوعية شرط العلم ولكنها عدوة الفن ، واذا كان بين النقاد من يناضل من اجل موضوعية علمية في نقده فتلك هي محاولة فاشلة تخلط بين ميدان العلم والفن خلطا يهجن كلامه العلم والفن معا . »

ويعود فيكتب في عدد اغسطس عام ١٩٥٩ في نقده للقصص : « ولابحث اولا عن النقاط الايجابية التي لا بد لكل نقد بناء موضوعي من الكشف عنها .. »

والحقيقة ان هناك سوء فهم متبادلا او سخطا متبادلا بين الاستاذ مطاع صفدي وكتاب الآداب منذ عام ١٩٥٥ حتى وقتنا هذا ، فلم ار مقالا له الا واختلف مع المعلق عليها - ربما لا يكون هذا عيبا - ولكن العيب ان هناك شبه اجماع - باعتراف الاستاذ مطاع نفسه - على ان كتاباته تتسم بالغموض ، وقد اشار الاستاذ عبد الجليل حسن في نقده لابحاث عدد مايو عام ١٩٦١ لهذه الطريقة من الكتابة واظن ان الاستاذ مطاع كان ساخطا عليه . وهذه بعض تعليقات النقاد على كتابات مطاع صفدي وهم جميعا ان اختلفوا في افكارهم ومذاهبهم النقدية الا انهم اجمعوا على الغموض الذي هو سمة من سمات كتابات الاستاذ مطاع ، فيقول الاستاذ محمود العالم في تعليقه على مقال « الشعر والارض » بمجلة الآداب عدد مايس سنة ١٩٥٥ ص ٦٩ « والمقال في الحقيقة تجربة مطلقة وانفصال عن الواقع الانساني ، والانسان الذي يتحدث عن الكاتب انسان خرافي اسطوري ، والشعر الذي يتحدث عنه خليط من حديث كروشه عن الحدس واللحظة الفجرية ، وبين المفاهيم الوجودية ، عن المسئولية والحرية ، واحكامه التي تجري في مقاله احكام غير ناضجة ، عاطفية تلوك مفاهيم غائمة عن الانسان والناس والقصة والشعر ولا تفضي الى جديد » .

ويقول الاستاذ خليل هنداوي عن مقاله « شعرنا العربي وديوان العيون الظماء للنور » اكتوبر سنة ١٩٥٥ ص ٦٠ « انتهيت من المقال وانا على اعتقاد بان في نفس كاتبه افكارا يواجهها نحو ما يريد قسرا، دون ان يكون لها تعلق بالبحث » .

ويقول الدكتور سهيل ادريس عن قصته «معبد بوذا» - ديسمبر سنة ١٩٥٥ ص ٥٧ :

« ان القصة لم ترسم جميع ابعاد الحادثة رسما طبيعيا متأنيا ، بل اقتسرت لبعض هذه الابعاد اقتسارا واضحا وتكلفته تكلفا شديد الظهور حتى اوشكت ان تسقط في التجريد » .

وتقول الكاتبة عائده مطرجي عن قصته « وقت الساعة منتصف الليل » ابريل عام ١٩٥٦ ص ٦٦

« ولئن كان من المستحب ان يخلق القصاص جوا من الغموض، فهذا لا يعني ان يتجاوز الغموض حده ، ويفضي الى الطلسم الذي هو اكبر عنصر معيب للقصة على ما اظن » .

وقد علق الاستاذ مطاع على هذا الكلام في عدد مايو ١٩٥٦ ص٥٧ بقوله : « قالت زوجتي ان امر الغموض والالتباس في القصة شيء واضح ولكن الالتباس وليس الغموض هو الواقع في مسألة استدعاء الراقصة الفرنسية ، والغموض هو الذي يجعل القارىء يتعب في قراءتي ، ليس في القصة وحدها بل في كل ما اكتب تقريبا ما نشر منه وما لم ينشر » وهذا اصرار منه عى الغموض .

ويقول رئيف خوري في تعليق على مقال « الادب بين الحرية والاقتصاد » اكتوبر ١٩٥٦ ص ٧٤

---

(1) من قصة معبد بوذا - لمطاع صفدي .

(2) من ازمة البطل المعاصر - لمطاع صفدي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« على ان بحث الاستاذ صفدي يشكو نقصا ، فليست لغتـه دائما بالجلية وقد تلتوي وتبهظها صور التعبير الفلسفي التي نقلت عن مطالعات غير عربية » .

ربما يتساءل البعض وما علاقة هذا بنقد القصص ؟ ولكن اقـول ان المتتبع للاستاذ مطاع لم يفاجأ بما قال ولن يفاجأ بما سيقول ولكن الذين فوجئوا بنقده اسوق اليهم هذا حتى تكتمل الصورة متفاضيا عن جزء من الصورة وهي الاتهامات والشتائم التي هي دائما مـن نصيب من يتصدى للاستاذ مطاع بالنقد ، وقد تفاضيت عنها لانـنـا سنقرأها في العدد القادم اذا لم تكن من الاستاذ مطاع فمن هـاشم الكاملي : ويوسف الاصفر واسماء اخرى نعرفها ويعرفها الاستاذ مطاع تجيد الفاظ الحقد ـ العداوة ـ الظهور على اكتاف العمالقة ـ الجهل ـ عدم الفهم ـ وربما استعدوا عليك السلطات ... الخ كلمات كثيرة قرأنا مثلها في اعداد سابقة ضد من تجرأ على نقد الاستاذ مطاع .

الشيء الوحيد الذي اتحداهم به جميعا هو ان يدافعوا عن الناقد مطاع صفدي في انه قرأ قصة « الملح الذي نزرعه » وذلك بمراجعة بسيطة بين القصة والعرض او التشويه الذي قدمه .

القـاهرة — جلال السيد

حول قصيدة ((جدب))

بقلم خليل حسين السواحري

لم اكن اتوقع ان يمر الاستاذ « اورخان ميسر » في نقده لقصائد العدد السادس من الاداب عن بعض القصائد مرا سريعا ويكتفي في نقده لهـا بالاشارة العابرة المبتسرة، وهو عندما تعرض لنقد قصيدة «جدب» لاحمد حسن ابو عرقوب اكتفى بقوله : « انها انعكاس لحالة نفسية تشبه ليلة قاتمة ذات نجمة واحدة تحاول ان تضيء ولكن ضياءها يضيع في متاهات العتمة القاسية . »

وارى ان في هذا القول كثيرا من الاطراء والمدح رغم ان مايفهم مـن جملته هو التهكم والسخرية ، فالحالة النفسية القاتمة هي الحالة التي لا أثر للتجربة فيها ، كما ان النجمة الواحدة هي القصيدة التي اضاءت للشاعر طريق نظمه .

ويتمثل الاطراء في اعتباره ان القصيدة تصور حالة نفسية ، لا يـا اخي ، فالقصيدة ككل بعيدة عن ان تصور نفس الشاعر كل البعد(1). انها معرض أزياء البسها الشاعر لافكار قصيدة اخرى تمثلها بعد ان صارت هذه الافكار ممجوجة مكررة ، وانطفأت فيها شعلة الانفعال ، ان قصيدته ليست سوى ركام من الالفاظ تدور في فوقعة فارغة حول افكار ترسبت في ذهن الشاعر الذي تأثر تأثرا واعيا بقصيدة « مدينة بلا مطر » للشاعر بدر شاكر السياب ، فهي اذن لاتصور حالة نفسية وانما تتخذ شكـل انفعال خارجي بافكار مسروقة ادت بحاملها الى ان يمر في تجربة جدب حقيقية ، اجدب فيها الانفعال الصادق وانعدمت فيها التجربة الجزئية ، لهذا فالقصيدة لاتعدو ان تكون اشباحا باهتة متقطعة الاوصال للقصيدة الام « مدينة بلا مطر » .

وقبل ان اتعرض للقصيدة اود ان اشير الى ان اهداء القصيدة « الى اللاجئين » يكاد يحول القصيدة الى نوع من الرمزية الغامضة ، لولا ان القصيدة في حقيقتها لاترمز الى شيء وذلك لامعان الشاعر في الجـدب والتقليد والرسم الواضح الفاضح لقصيدة السياب التي امدته بالصور والمعاني والالفاظ التي لم يستطع حتى ان يعبث بها بل نقلها نقلا امينا ، كل هذا ينفي نفيا باتا ان يكون الشاعر قد رمى الى مثل هذه الرمزية .

(1) لايمكن لمثل هذه القصيدة ان تصور نفس الشاعر الا اذا وضعنا في الاعتبار الحلوليه بين ذات الشاعر وذات مجتمعه ازاء القضية التـي يعالجها ، وهذا ينعدم هنا طبعا ، لان القصيدة نسخ لقصيدة اخرى ..

وارى ان الموسيقى الداخلية تكاد تنعدم في القصيدة بالاضافة الـى تخلخل الموسيقى الخارجية في بعض العبارات كقوله « طر يا غراب » التي تذهب باندفاع التيار الموسيقي حين تربط بالفقرة السابقة .

وتخرج القصيدة عن تفعيلة البحر الكامل الى صورة تفعيلة البحـر الرجز (متفعلن) في قوله : نفوسهم ظمأى لميلاد البيادر والحصاد (2) .

ولا ادري كيف يشرب التراب في قوله :

« شربنا ادمعا ، ملحا ، ترابا فيه وهم من رطوبة » فالتراب يمضغ او يؤكل كما تأكل «الكلاب الثرى من العطش» ولكن ان تأكله البشر فهذا غلو فيه بعد عن الواقع يشبه المستحيل .

وسأحاول الان ان اظهر التشابه الواضح بين القصيدة وقصيدة «مدينة بلا مطر » مكتفيا بسرد بعض النقاط الواضحة : الموضوع واحد فـي القصيدتين ، اهل مدينة بابل هم اللاجئون ، تموز في قصيدة السياب هو « اله الخصوبة » هنا ثم قوله :

يارب كم سرنا وراء الغيم
نحمل طفلة عمياء ، شيخا فانيا ، ابريق ماء
من الف يوم والجرار بدون ماء

هو قول السياب :

وسار صغار بابل يحملون سلال صبـار
وفاكهة من الفخار قربانا لعشتار

والعذارى في قوله :

لا لانتقينا من عذارانا عروسا ناهدا ..

هي في قول السياب :

عذارانا حزانى ذاهلات حول عشتار

وقولـه :

وبكل عام نودع الاعماق اصحابا

هو قول السياب :

ولكن مرت الاعوام كثرا ما حسبناها
الى ... لنذبل تحتها ونموت .

واكتفي بهذا القدر من المقارنة لانفذ الى نهاية القصيدة المتكلفه التي يناقض بها الشاعر نفسه دون ان يشعر وهو بهذا يتابع خطى قصيدة السياب دون ان يفطن الى نهاية قصيدته فبعد ان تعرض الالهه عن تلبية النداء وتحويل الريح المربدة الغضوبة الى ريح رخيه وهو يدرك هـذا اذ يقول : والهنا في صمته القتال مالبى نداء ... بعد هذا ينهي القصيدة بقوله : « نحن فتحنا على الريح الرخيه الف باب » وقد اضطر الشاعر الى هذه النهاية اضطرارا ليغاير نهاية قصيدة السياب ..

القـدس — خليل حسين السواحري

قرأت العدد الماضي من الاداب (*) ..

بقلم احمد محمد عيشى

ان من حق مجلة « الآداب » ـ وهي في طليعة المجلات الادبية الكبرى بالشرق العربي ـ على قرائها ـ وهم صفوة ممتازة من المثقفين ـ ان تعنى بالنقد ـ النقد في جميع مناحيه ـ النقد الادبي والفني والعلمي ، وتشيد كل الاشادة بالابحاث الادبية الواعية والدراسات النقدية الممتازة الرصينة التي تسد فراغا في جميع المجالات الادبية

(*) كانت « الآداب » قد وعدت بان تترك الباب مفتوحا أمـام القراء ليدلوا بآرائهم في مادة المجلة . ونحن ننشر فيما يلي هـذا المقال في نقد مادة العدد الماضي ، تاركين للقراء ان يعطوا رأيهم فـي هذا « الاسلوب » النقدي الذي ما يزال بعض كتابنا يتبعونه «الآداب»

(2) الا ان يكون خطأ مطبعيا الاصح فيه « ونفوسهم ظمأى ... »

على اختلاف مناهجها وتعتبر - بحق - من الاسس القويمة التي تقوم عليها نهضة الادب العربي الحديث .

اجل ... نحن احوج ما نكون في هذه الازمـــة العصيبة التي تجتاح النقد الادبي عندنا - في هذه الايام بالذات - الى اقلام بارعة سداها ولحمتها الحيدة التامة والنزاهة الخالصة تكشف عن النتاج الجديد بما يحمل من اصالة وزيف ، وتتحدث عن ادبائنا المعاصرين ، سواء منهم اولئك العباقرة الافـذاذ او الذين يستحقون التمجيد والتكريم او الطواغيت واشباه الطواغيت ...

ذلك لان رسالة الناقد الحصيف اشبه برسالة القاضي النزيه سواء بسواء ...

اي وربي ... حسبها هذا .. وانها لرسالة ... وما اروعها وانني ارى ان « الآداب » تستطيع ان تضطلع بهذه المهمة الشاقة بفضل معاونة كتابها الاحرار وبما تتسم به من امانة وخلوص نيـة . من رسالة لا.

« الوجوه المستعارة ... »

اول ما طالعنا هذا المقال القصير ... وهو على قصره مليء بمـا يكشف عن زيف دعاوي بعض اعداء العروبة ... وبما يروج علـى السنة اعدائنا من باطل القول ولغو الحديث ...

ان مجلة « شعر » وغيرها من المجلات المأجورة دابت تنفث سمومها بما تبطنه من زخرف القول وزوره . واذا ما زعمت انهـا تدعو للعروبة ، فانما هي تدعو للشعوبية الرخيصة في ثوب مهلهل مرذول لا يزيد العروبة الناهضة الا قوة وسؤددا .

اجل ... ان العروبة صاعدة في سموق بما تدعو اليه من خير وحق وسلام . وما دعاء الحاقدين عليها الا في ضلال .

ولكن ... اذا ما جاءت الآداب تقول « ان الواجب العقائدي حتم عليها في الاشهر الاخيرة ان تخرج عن صمتها لتشارك الصحافة الوطنية في لبنان حملتها التي استهدفت تمزيق الاقنعة عن القيم الزيفـة وفلسفة الارتزاق التي دمغت جماعة « شعر » ومن لف لفهم من ضعاف النفوس ادعياء العروبة » انما جاءت متاخرة ... متاخرة ... وكان الاجدر بها ان تقولها - جهارا نهارا - مجلجلة على رؤوس الاشهاد لينفضح الظلام وتختفي الخفافيش - ويبين الصبح لذي عينين . وحسبها ما قدمته لوجه الله والعروبة والوطن المفدى ...

« المهزومون » ... لهاني الراهب ...

دراسة ونقد ... بقلم الاديب فالح الطويل ... ويؤسفني ان تجيء مهوشة غير متماسكة .. غارقة في الضباب الكثيف والذاتية المسرفة التي لا تستند على هدى او بيان مبين ...

ما ذنبي انا - ولم اسعد بقراءة هذه الرواية بعد - حتى يسير بي الكاتب الى خطوط ملتوية وعبـارات مبهمة فيهـا من الرمزية والوجودية ، والمثالية والانهزامية الشيء الكثير ...

هذه رواية اجازتها « الآداب » في مطلع هذا العام وقالت عن صاحبها انه « موهبة روائية جديدة بزغ في سمـاء الادب العربي الحديث » ومن ثم فكان لزاما عليها ان تنشر تقرير الاجازة مثلا ، او بالاقل تكتب عنها عقب صدورها مباشرة - للتعريف - والتنويه - ولكن ... وهي لم تفعل ذلك ... اما كان الحقيقي بالكاتب ان يعرفنا اولا اصل الحكاية ثم بعد ذلك يقص تفاصيلها وتحركات شخوصهـا ومجريات حوادثها كما يفعل الدارسون ، وكما فعل أخ له في نفس العدد عن السلطان الحائر لتوفيق الحكيم - حتى يقف القارىء على مضمون الرواية ... وله بعد ذلك ان يعقب ويتفلسف ويحلل شخوصهـا ويغوص في اعماقها او يمسك بجذورهـا ويبحث في الاغوار البعيدة - او القريبة - وينبش عن الدفائن التي في الصدور ما شاء له ذلك كله ، دون ما لوم عيه او تثريب ...

الحق ان اسلوب الطويل .. اسلوب ساحر جذبني اليه حتى قرات مقاله - اكثر من مرة - ولكني لم استطع ان اشاركه - ولـن استطيع - ذلك لا لانني لم اقف على المضمون اطلاقا .. وشاء ذلك - سامحه الله - حتى يمسك هو وحده بزمام القضية غير عابىء بالقاريء المسكين ، الذي لا يعلم من الامر شيئا .

الدراسة يا صاحبي .. اين هي ؟ .. اما النقد .. فهو موجود ولكن لا يشاركك فيه احد اطلاقا اللهم الا اولئك الذين وصلت الى ايديهم الرواية .. وقليل ما هم ...

من عشرين عاما كنا نكتب الفصول والدراسات النقدية - الطوال - عن كبار الادباء « بالمقتطف والسياسة الاسبوعية » - رد اللـــه غربتهما - وكنا نعنى - اول ما نعنى - بدراسة المضمون اولا .. ثم بعد ذلك نقفي بالنقد . فهل تخلف النقد ؟.. ام كنا نحـن مـن المتخلفين ؟..

« رأي في شعر نزار قباني ... »

هذه دراسة جريئة - جديدة - القاها الناقد الحصيف الاستاذ « ايليا الحاوي » في وجوه النقاد الجدد - من ابناء الجمهورية العربية المتحدة - فجاءت لوقتها - او بالاحرى صرخة مدوية في وجوه هؤلاء النقاد المتفيقهين ، الذين كل همهم الجري وراء مذهب خلاب متشبثين بالقشر الزائف ناسين عن عمد او متناسين اللباب والجيد من الجوهر المكنون ..

اجل ... ماذا وراء الطبل والزمر اللذين حشدهما نقادنا وادباؤنا وندواتنا وصحافتنا ومحافلنا - كلها بلا استثناء - لدواوين - نزار قباني - ذلك الشاعر المتخلف عن الركب المائع في دلال السادر فـي التيه والخيال !

أهو « دون جوان » عصره ؟ أم هو ابن ابي ربيعه ؟ .. في زمانه. أيريد احياء عصر المرأة المعبودة .. عصر الحريم - ذلك العصر الـذي ولى وانقرض تماما ؟؟.. وهل بين شعراء الغرب الاحياء من هو اشبه بنزار قباني بعد ان مات بودلير والفريد موسيه واضرابهما من الرومانسيين الحالمين ؟..

اظن لا .. ان دواوينه « طفولة نهد » « قالت لي السمراء» «انت لي » .... كلها تنطق بعبادة المرأة ، المرأة التي في خياله السقيم ، وليست المرأة التي هي من بنات « بردى » او « النيل » ...

وان الكلمة الضخمة التي قالها الناقد الاستاذ الحاوي تحت عنوان - التجربة في الادب العربي - « ولعل الادب العربي لم يدرك التجربة الانسانية الا في تلك القصائد التي سما بها الشعراء عن واقعهم الجزئي، معبرين عنه من خلال واقع العصر والانسان او معبرين عن ذلك الواقع من خلال تجربتنا التي تبدأ بالجزئية وتنتهي بالكلية .. » هي خير مصداق على فساد هذه الشاعرية النرجسية المفتونة بنفسها .. تلـك التي تجاهلت العصر الذي نعيش فيه وتناست الناس - كل النـاس والمجتمع الذي نعيش بين ظهرانيه وراحت تتغنى .. ثم تتغنى .. في صحراء قاحلة لامرأة ذات ضمير جديب ..

وقد جاءت هذه الدراسة المستفيضة في اوانها - كما قلت آنفا - كي تصحح الموازين الشعرية الحديثة ، وتضع الامور في نصابها ، فهواذ تحدث - تحت هذه العناوين - عن « مقابلة اولى بين سعيد ونـزار » و « الالتزام والقافية » والتقرير والرد القصصي والذات « الدنيـا » و « الغلـو وطبيعته » و « التقريـــر والقصص والـــــذات » و « تكرار وتقليد » و « والغلو والتعقيد » و « الصورة والفكرة في الشعر » و « سعيد ونزار » و « نزار وصلاح لبكي ».. الخ.. انما كشف عن زيف هذه الشاعرية .. وعن خيال صاحبنا المحموم المريض وانه بالرغم من الدعايات العريضة لدواوينه والدعاوي التي لا حد لها والتي تشيد بعبقريته - دون قيد ولا شرط - انما هو شاعر صغيـر .. بالرغم من ماضيه الجميل .

واشد على يدي هذا الناقد الفحل مهنئا ثم مهنئا بما اصاب من نجح وتوفيق في دراسته هذه واطلب منه المزيد - ثم المزيد .. حتـى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتحطم الطواغيت وتتهدم عروش الجبابرة الطغاة.. واضيف الى نقداته الصائبة التي يجدّر بكل متادب وناقد ان يستوعبها كل الاستيعاب .. حسب الشاعر نزار قباني ان تتغنى المغنيات بقصائده المائعة وعلى راسها قصيدته الصغيرة ((أيظن)) تلك التي يطرب لها الفارغون والكسالى ويصفق لها الجمهور الغرائزي المسكين !!

ان شرف الكلمة .. وروح العصر .. والام الشرق العربي وأمجاده وآماله ـ بله وآمال الانسانية جمعاء ـ ليست لعبة بيد صائغ زياف... بل هي كلها امانة في عنق شاعر عربي فحل .. لم يولد بعد .. فوااسفاه !! ..

((نحو نقد ميتافيزيقي ...))

وهذا مبحث اخر رصين كل الرصانة جاد كل الجد ، او بعبارة اصح ((هذه دعوة جديدة الى نقد ميتافيزيقي)) اي الى نقد يمكن ان نطلق عليه اسم ((النقد التساؤلي)) كما يسميه كاتبه الناقد الشاعر الاستاذ ((مجاهد عبد المنعم مجاهد)) . ونحن نرحب بدعوته الجديدة الجريئة ونهنئه سلفا على هذا الاجتهاد الرائع والجهد المشكور ..

الا اننا نرى ان هذا البحث الفذ قد انطلق الى ناحية اخرى غير موجهة او هادفة ، كواحدة من الصواريخ التائهة عبر الفضاء !!

وقبل ان ننحى عليه باللائمة نقول انه كناقد يدعو الى مذهب جديد في النقد يستحق الاعجاب كل الاعجاب وهو اذ تحدث عن ازمة النقد انما تحدث في استاذية بارعة ومنطق سليم ، وكذلك اصاب المحز في قوله .ـ

واذا كان الفيلسوف مهما للاديب لانه يزوده بحلول بجهد الفيلسوف في الوصول اليها حتى يجعل الاديب يتفرغ لانتاجه الادبي ، نجد ان عالم الجمال او فيلسوف الجمال مهم هو الاخر بالنسبة للاديب ، لانه يزوده بثقافة جديدة ليست لديه القدرة ولا الوقت ليبحثها هوبنفسه، وهذه الثقافة ضرورية لكي ينتج او يعمق انتاجه .. وعلينا الان ان نتبين حدود علم الجمال لكي نعرف العلاقة الحية بين عالم الجمال والاديب ..

ورائع حقا عند رايه في ضرورة الترابط او التزاوج بين الجمال والعمل الادبي الخلاق كما انه اجاد التطبيق والعرض والتحليل حيث تصدى بالنقد الميتافيزيقي لرواية ((الاخوة كارامازوف)) للكاتب الروسي العظيم ..

ونحن نتساءل الان الى اي حد سيسير في دعوته النقدية الجديدة هذه التي يطلق عليها ((النقد التساؤلي)) او ((النقد الميتافيزيقي)) ..؟ هل سيظل في تطبيقاته ـ عند حدود الادب الغربي ؟ الروسي بنوع خاص .؟ ام ماذا يريد ؟

الاجدر به وهو بصدد مذهب نقدي جديد ـ ان يطبقه باديء ذي بدء ـ على قصصنا العربي الحديث حتى تعم الفائدة ويكون لجدة بحثه الهدف المرموق الذي ننشده في الحقل الادبي الجديد .. وهو لن يعدم ((الميتافيزيقية)) او بعبارة اصح ((التساؤلية)) في بعض الاعمال القصصية لتوفيق الحكيم وميخائيل نعيمه وجبران خليل جبران وفريد ابو حديد ومحمود تيمور ونجيب محفوظ .

واني من الان اقدم لناقدنا الشاب عبارات الشكر والاعجاب ، ومعذرة اذا كنت قد قسوت بعضالشيء في مطلع حديثي هذا عن بحثه الطريف ... ذلك لان ادبنا الحديث احوج ما يكون الى النقد الابتداعي الجريء على ضوء هذا المشعل الجديد .

القلق في ((ابيات ريفية)) ..

وهذا البحث عن ((ديوان)) شعر اجازته ((الاداب)) في مطلع هذا العام ـ مد الله في عمرها ونضره ـ واشادت بشاعرية صاحبه فقيد الاداب المرحوم ((عبد الباسط الصوفي)) الذي وافاه الاجل المحتوم قبل اعلان الجائزة وقبل ان يرى هذا الديوان النور والحياة . وقالت الاداب عنه ((كان نسيج وحده في عالم الشعر)) .. جاء الاستاذ ((مصطفى خضر)) ـ سامحه الله ـ وتحدث عن ((القلق)) كظاهرة منه فحسب .. ولم يشأ ان يدرسه دراسة شاملة كما ان ((الاداب)) تجاهلته ولم توفه حقه من التكريم والاشادة ...

وما قام به الاستاذ خضر من هذا البحث التحليلي عن جانب ((القلق)) من ديوان شاعرنا هو جهد مشكور حالفه التوفيق . غير اننا نعتب عليه ـ وعلى الاداب ـ اهمالها للديوان المسكين ونرجو ان يحظى بدراسة مستفيضة من احدهما او من كليهما تتفق ومكانتــه بين ادبنا العربي الحديث .

ورحم الله شاعرنا حيث قال :

صديقتي طويت احلامي — وسرت لاظل لايامي))
((فلملمي الاوتار خلفي فقد — يشرق بعدي فجر انغامي))

هل أشرق بعده ـ حقا ـ فجر انغامه ؟.. وهل سيحظى ديوانه بدراسات شاملة كاملة ؟.. من يدري .. انها حظوظ الادباء .. ضئيلة ضئيلة .. في الحياة .. في الحياة .. وبعد الموت ايضا !!

((السلطان الحائر)) وتوفيق الحكيم

لقد وفق الاستاذ ((محمد عبدالله الشفقي)) كل التوفيق في هذا البحث الطريف اذ لخص المسرحية اولا ثم بعد ذلك ادلى بملاحظاته كناقد حصيف ..

اما قوله ـ ((ونريد ان نقف قليلا عند الشخصيات المسرحية التي يرسمها توفيق الحكيم على الورق . انها تذكرنا على الفور بما قيل عن مسرحه من انه ((مسرح ذهني)) . والشخصيات الرئيسية، في عديد من مسرحياته ، تعبر عن فكرة . غير انه يتطرف في هذا الاتجاه ـ الى الحد الذي لا يقدم لنا فيه مخلوقا من لحم ودم وانما فكرة تتمشى على قدمين وترتدي حذاء وتسير بين الناس ، ولهذا يخيل الي ان شخصياته ليست ادمية بالمعنى الكامل ، انها شخصيات فلسفية رمزية، شخصياتليست مقنعة على المسرح .. ولكن ، الى متى سنظل فريسة عبارة ((المسرح الذهني)) ؟ هل معنى ذلك ان نكتفي بقراءة المسرحية ونحن نجلس على مقعد وثير ، وندخن سيجارة يلتف دخانها بالمصباح المنكفيء على الكتاب ؟ ونحن نتساءل لماذا تكتب المسرحيات ؟ ان المسرحيات انما تكتب لتمثل ، هــذا هو التبرير الوحيد لوجودها . اما الاكتفاء بكتابة مسرحية ذهنية والاعتراف بانها قد تفشل على خشبة المسرح فاشبه بمن يؤلف نوته موسيقية ويكتفي بتدوينها واثبات براعته دون الحاجة الى عزفها ..

فهو قول الحق .. ونقولها هنا صريحة لا التواء فيها ... نحن لسنا في حاجة الى هذا المسرح الذهني او بمعنى ادق .. هذا الترف الفراتقي.. وانما نحن في اشد الحاجة الى مسرح يشد الى خشبته الجماهير .. الجماهير الصاعدة التطلعة الى الخير والحق والجمال..

ايها النقاد الكرام .. تكلموا .. تكلموا .. وصححوا المقاييس والاحكام .. والا فانجحروا في جحوركم ثم حطموا هذه الاقلام ..

((حول النقد الادبي المعاصر))

هذا العدد يمتاز حقا بالابحاث النقدية العميقة والدراسات الادبية فهذا بحث جاد رصين ـ بقلم الاستاذ ((محيي الدين فارس ـ ولا يقل شانا عن بقية ابحاث العدد ـ هو نص المحاضرة التي القيت في دار السودان بالقاهرة بدعوة من لجنتها الثقافية . وقد احسن القول في تحديد العمل الفني في قوله . ـ

((فالعمل الفني يجب ان يكون امامنا كمدائن مقفلة ، نحن نشم من بعيد عطورا ، واخلاطا من الالوان الطيفية التي تعبر امامنا كشريط قزحي جميل ، ونلمح مخابيء كنوز دفينة ، حتى تتيح لشرطنا النقدي رحلة سياحية من الاحلام والرؤى في درب طويل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نبدا في معرفة معالمه شيئا فشيئا . »

وكذلك حالفه التوفيق فيما تناوله من احكام ابتداعية للنقد الحديث ... ولكنه فاته ان يضرب لنا الامثال ..

اجل .. فهذه الاشارة العابرة – الى قصيدة الشخص الثاني لنازك الملائكة .. وقصيدة اليقظة لتيجاني يوسف بشير « ديوان اشراق » – التي الصقها بذيل محاضرته لا تشفع له اغفاله للتطبيقات اطلاقا .. وعذره .. انه كان يلقي محاضرة محددة بزمان امام جمهور من الادباء ... ولكن ما عذره وقد احال محاضرته الى بحث ؟

ان هذه المحاضرة كادت تكون نواة طيبة لبحث نقدي عميق يصحح كثيرا من الاحكام الفاشية بيننا ... ويطفيء ما بقى من رماد لآثار كثيرة – لادباء خلعت عليهم الجماهير القاب العبقرية – هي اشبه بالسراب يحسبه الظمآن ماء !!

الا ان صاحبها خشي الناس ... ولم يخش الحق .. سامحه الله ..

« الشعر بين النقد والتذوق »

بحث لطيف كتبه الاستاذ « عبد المنعم عواد يوسف » وقد استعرض في ايجاز دقيق الاتجاهات النقدية السائدة بيننا .. ثم قال في شفافية الناقد الموهوب – « دعونا اولا نقبل على العمل الشعري بروح متسامحه ، لنترك وراءنا كل تعصب لشكل من الاشكال او نمط من انماط التعبير ، لن نرفض هذه القصيدة لمجرد انها مكتوبة بطريقة « الشعر الحر » ، بالتالي لن نرفضها لانها مكتوبة على « النمط التقليدي » المهم هل هي شعر ام لا .. »

والبحث رغم ايجازه يلقي الضوء على مشكلة نقد الشعر وتذوق الشعر . وهي مشكلة ادبية قديمة امتدت جذورها حتى ايامنا هذي ... ويا حبذا لو انه تناول دراستها بشيء من التفصيل ..

وخلاصة هذا البحث هو قوله : « الا يتقدم لنقد الشعر ، لاجتياز

اشهر العشاق

سلسلة رواية وادب وتاريخ

ايلوئيز وابيلار ، — للويس الحاج
باغانيني ساحر النساء ، — لرئيف خوري
بودلير في حياته الغرامية ، — لالياس ابو شبكة
ميسالين الامبراطورة الوثنية ، — للويس الحاج
ليدي هاملتن سفير الحب ، — لباسيل دقاق
ديك الجن الحب المفترس ، — لرئيف خوري
كاترين الروسية في احضان الحب ، — لباسيل دقاق
نابوليون وزوجته البولونية ، — لباسيل دقاق
اللورد بيرون عاشق نفسه ، — لانطون غطاس كرم
بولين بورغيز الشهوة الجامحة ، — لباسيل دقاق
المرأة في حياة ادغار بو ، — لعبد اللطيف شرارة
فاغنر والمرأة ، — لجورج جرداق
المركيزة دي بومبادور ، — لخليل يونس
مضاجع نابوليون الثالث ، (جزءان) — لباسيل دقاق

دار المكشوف - بيروت

حرم القصيدة المقدس ، الا شاعر او انسان يحس بها تتحرك في اعماقه « بذرة الشاعر .. »

تهنئتي لصاحب هذا المقال ...

« في ركاب العربية »

هذا البحث هو الاخير من ابحاث العدد .. وقد كتبه الاستاذ محمد عارف العميري ... وهو دفاع بليغ عن الفصحى بلغ حد التزمت الا انه في موضعه تماما .. والواجب على ادبائنا ومنشئينا ان يعنوا – كل العناية – باساليب الفصحى .. فهي الزاد كل الزاد . واني اذ ازف الى العالم العربي تهنئتي الجمة باغفال المجلس الاعلى للفنون والاداب في هذه الايام الاخيرة للقصص العامي وطرحه من المسابقة وقصر المباراة على القصص المكتوب بالفصحى فقط – بغض النظر عن الجائزة – انما اعبر عن مشاعر الغير من ادباء العربية وعشاق الادب الرفيع..

غير انني لا ارى مانعا من تطعيم بعض الحوار – في قصة – بالقليل من العامية حتى لا يفقد الحوار واقعيته وحرارته وشاهدي على ذلك لا نلجا الى « العامية » في الحوار الا في النادر القليل .. ثراه – في حوار قصصه الرائع اللطيف . والرأي (1) عندي اننا لا لا نلجا الى « العامية » في الحوار الا في النادر القليل ..

ليكتب من كتب عن بينة ، ويهذي من هذي عن بينة .. والله يهدي الى سواء السبيل ..

« القصائد ... »

ليس لدى الوقت الكافي للتعرض لقصائد هذا العدد غير انه لدى ملاحظة صغيرة أسوقها الى « الاداب » نفسها .

لاحظت دائما – في جميع اعداد الاداب – ان الشعر الجديد يحتل مكانا مرموقا منه ... وان الشعر الذي يلتزم عمود الشعر لا يجد منه استجابة لندائه الا في النادر القليل .. ولم ؟.. لشاعر العروبة وامير الشعراء « الاخطل الصغير » .. فما هو السر ؟. اننا نعيب على اعداء الشعر الجديد تجهمهم في وجهه اللطيف وتجاهلهم اياه .. ومن ثم فنحن نعتب ونعتب على « الاداب » اغفالها للشعر الملتزم التقليدي ... ونقول في صراحة ودون مواربة او خوف « الشعر هو الشعر ... سواء كان حرا .. او مقيدا بعامود الشعر التقليدي .. فلنفسح الطريق لكل المواهب حتى تتفتح جميع البراعم .. »

« القصص ... »

قصص هذا العدد – والاعداد السابقة – كلها مهزوزة وتنقصها الموهبة الواعية ... واللمحة الحانية ، واولى ثم اولى للاداب – وهي كبرى المجلات الادبية في الشرق العربي – ان تعنى بالقصة وفن القصة وكتاب القصة ، وتجزل لهم العطاء – ولو من باب المباريات – حتى تشحذ هممهم وتشيد بمواهبهم وتعطى كل ذي حق حقه ... فادب القصة يحتل المكانة الاولى بين ادب العالم في هذه الايام ..

« كلمة اخيرة ... »

اين النتاج الادبي الجديد الذي صدر في الشهر الماضي ؟..

الم يصدر منه شيء طوال الشهر المنصرم ؟..

ام ان الذي صدر منه لا يستحق اي اهتمام من الاداب ؟..

اخشى ان تكون كثرة البحوث الرصينة التي احتلت المقاعد الاولى من ساحة « الاداب » قد حالت بين التنويه بهذا النتاج ..

ان الاشادة بادبنا العربي الحديث ضريبة على الاداب ، فلتؤدها في صبر وايمان .. والسلام ..

القاهرة — **احمد محمد عيش**

١ – راجع القصة القصيرة التي كتبتها – مؤخرا – الدكتوره سهير القلماوي بالعدد ٨٧٠ من اخبار اليوم الصادر في يوم ٨–٧–١٩٦١

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الجنوبي

الادباء الشباب بين الجمود .. والثورية ..

لمراسل « الآداب » محيي الدين محمد

*

في كل امة ، وفي كل جيل ، ادب رسمي ، وادب اخر يعلن عنه الشباب ، ولم يستطع ان يحوز ثقة السلطة والتقاليد والاخلاق ، لانه نضالي ، ويهتم بتهديم قيم الثبات والتحجر ، قبل ان يهتم بالقيم الجديدة على اساس ان موقفه غير متهادن مع القيم الثابتة التي ينادي بها الادب الرسمي .

والادب الرسمي هو خلاصة التجارب الكهلة التي مر بها الادباء الشيوخ وانتهوا — بعد ان تخلوا عن نضالهم — الى صلح منفرد مع الاوضاع ، لايناقشون فيه شيئا ، قدر مايثرثرون في الجرائد والمجلات بذكر غرامياتهم القديمة ، واحلامهم ، وذكرياتهم في اوروبا .. الى اخره .. على افتراض ان هذا الصلح موقف يقرب مابينهم وبين السلطة التي تعبر عن رضاها بشراء كتبهم ، وايفادها الى المؤتمرات ، وكافة النجاحات الصغيرة الاخرى التي ترضي الانسان الذي اجتاز بعمره حد معرفة الفارق بين الصلابة والارتخاء .

في كل جيل من كل امة نجد هذه الظاهرة واضحة للغاية ، وخاصة في المجتمعات التي تقوم بثورات اجتماعية او سياسية ، تستهدف تغيير الاوضاع والارتقاء بها ..

منذ ثورة ١٩٥٢ السياسية والاجتماعية ، كان المظنون ان يخفت صوت الادب الرسمي ، ويموت ، لان الحاجة العميقة للتغيير قد عبرت عنها السلطات ، قبل ان تعبر الطاقات الشابة في الجمهورية ، وكان ذلك دافعا الى : اما ان يتحول الادباء الرسميون الى التعبير عن طاقات التطور التي اعلنت عنها الثورة ، وذلك برفضهم لموقفهم السابق ، او على الاقل بمجاراة هذه الطاقات ، عن طريق عدم التعرض للطاقات الشابة التي اضطرها الوضع للاعلان عن حاجاتها الاولية . واما ان يتحول الادباء الشباب نتيجة للمسلمة الاولى الى ادباء رسميين ، وذلك لا يعني التزامهم الخطوط التقليدية التي يلتزمها الادباء الشيوخ ، ولكن يعني ان حاجتهم العميقة للتغيير هي بالذات ، حاجة الدولة اليه ، وعلى ذلك يصبح هذا الصوت — صوت التغيير — هو الصوت الرسمي للادب في الجمهورية .

بعد ثورة ١٩٥٢ ، لم يتحول الادباء الشيوخ عن موقفهم السابق ، وظلوا برغم ذلك ، المعبرين عن الادب رسميا ، مع انهم لم يحركوا ساكنا عندما طالبهم الوضع ان يتكاتفوا معه . وظلوا يكتبون ادبا بعيد الصلة بالطاقات المتطورة . ادبا صرفا لارابط بينه وبين الحركات الاعتقادية الجديدة ، والطموحات الشابة التي لم تكن تجد مايساندها قديما .

وكذلك لم يستطع الادباء الشباب ان يحصلوا على رضى السلطان ، بالرغم من انهم كانوا صوته ، على اساس انهم ينادون بنفس القيم التي تنادي بها الثورة ، وتعلن عنها باستمرار ، وقد كان هذا موقفا فكريا غريبا ، استمر طيلة الاعوام التي اعقبت تمرد الثورة على القيم القديمة ، وقد كانت الظروف السريعة التي اضطرت الادباء الشباب الى الامساك بزمام المبادرة من الشيوخ ، دافعا الى اضطرابهم الشديد ، والى اظهار ضعفهم ، على اساس انهم قد اصبحوا معبرين — بينهم وبين نفسهم طبعا — عن الحاجة الى الثورة ، قبل ان تصلب عظامهم ، وتعمق معلوماتهم ومعارفهم .. اي قبل ان يصبحوا مفكرين بديلين عن الشيوخ ، قيمة ونضجا ..

بالرغم من كل ذلك ، اي بالرغم من ان الادباء الشيوخ ظلوا محافظين فكريا ، ومعبرين عن النزعة القديمة ، وهي عدم الارتباط بالاوضاع والمواقف الاجتماعية ، واجترار كل القيم الادبية السابقة ، ومن ضمنها العزلة ، وكتابة الادب الصرف ، الذي هو تعبير عن بورجوازية فكرية ، بالرغم من ذلك ، وجد لادباء الشباب ان صوت الشيوخ اعلى من صوتهم، واضمن بقاء ، وادعى الى احترام دور النشر والمؤسسات الثقافية ، والاذاعية ، والجرائد ، من اصواتهم هم ، المفروض فيها ان تكون صوت الثورة والتحول والتطور ..

واشد مايخشى الان ، بالنسبة لهذا الفهم المغلوط ، ان يتحول الادباء الشباب تحولا خطيرا ، الى ان يلفظوا الثورية التي يعلنون عنها ، وان يصبحوا نسخا اخرى من الادباء الشيوخ ، وسوف يتبع ذلك بالطبع ان يصبح ادبهم ادبا رسميا باضعف صوره واشكاله ، وذلك لان تحولهم لن يكون جذريا ، اي بتاثير انتمائهم الى هذه النوعية من التفكير ، بقدر ماهو تحول شكلي يستهدف بعض المصالح الهامة مثل القدرة على النشر، والتافهة مثل الشهرة والثراء .

هذا هو الموقف امام الادباء الشباب بايجاز شديد ، والمطلوب الان ، على ضوء قلة معارف الشباب ، وعدم وضوح رسالته تماما ، بالنسبة لهذه الظروف الجديدة التي يحياها ، المطلوب ان يكتسب الادباء الشباب ثقة السلطة ، على ضوء عوامل التقصير التي يحسون بها ، من خلال مواجهتها بتطلعهم الى ان يكونوا المعبرين فعلا عن لسان الثورية الجديدة اي ان عليهم اولا ان يواجهوا هذا التقصير الذي يدفعهم دفعا الى الجنوح ناحية اليمين المتطرف ، وهو الموقف الذي وجد الادباء الشيوخ انفسهم معلنين عنه .

والتقصير الذي يحس به الادباء الشباب ، ليس مرده فقط الى ضعفهم الثقافي والفكري ، بل الى عناصر متشابكة ينزلق في تيارها الادباء بدون ان يدركوا مغبة هذا الانزلاق ، واول هذه العناصر هو الحاجة الى النشر . فالادباء الشباب يريدون ان يصل انتاجهم الى القراء باية طريقة ممكنة ، وهم يجدون ان الحاجة التي يعبرون عنها اصيلة وعميقة في قلوبهم ، الى درجة يستحيل انيسكتوا عنها . صحيح .. ان تعبيرهم عنها قد يعني زيادة توتر الناس ، لانهم يعلنون الى شعب تقليدي ، رفضهم للتقليدية ، والتزامهم بالتطور والاحياء ، ولكنه صحيح ايضا انها رسالتهم الوحيدة ، وشرفهم الحقيقي الاصيل ..

واذن ، فانهم ، في رغبتهم العنيفة بتوصيل ارائهم للناس ، يجدون ان عليهم عبء اتخاذ التقليدي وسيلة الى نفس التقليدي . وبعبارة اخرى .. كيف يمكن لهم ان يوصلوا انتاجهم الى السوق الفكرية ، ان لم يكن بطريقة الصحف والاذاعة والكتب ، وهي كلها اجهزة تحترم الحس التقليدي وتعمل على ارضائه ؟!

فالصحافة تتطلب مستوى فكريا يلائم الوسط الشعبي الذي يبتاع الجريدة او المجلة كيما يسهل عليه ان يقيم الرابطة بين المعروضه في الجريدة ، وبين ملامحه الخاصة ، اي لو اننا افترضنا ان كاتبا مثل « كافكا » يقدم قصة اسبوعية في جريدة سيارة ، فلن يصعب علينا ان نبرر فشله الساحق في الارتباط بالناس ، والقراء على وجه الخصوص .

وذلك لان المستوى الذهني لعامة الناس يتطلب ان تتوجه اليه الجريدة بما يناسب ذهنيته ، وحتى اذا كانت الجريدة تبطن منهجا يتطوربالقاريء فانها تفعل ذلك بحساب شديد ، وايجاز ماهر .. وهي اذ تفعل ذلك تضع نصب عينها مشكلة فقدان القاريء اذا ماعمقت معلوماتها اكثر من حد معين ..

واذن ، فالصحافة لاتستطيع — بسرعة السلطة — ان تصبح ثورية ، وهي لذلك تطالب كتابها ان تقل لديهم حدة الثورية ، وبعبارة اخرى تصبح الصحف ويصبح الكتاب معبرين عن اقصى اليمين ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ولا يمكن بحال ان نربط بين الوضع الثوري الذي يتطلب من جميع الاجهزة نبذ التقليدية ، والجمود ، وبين رغبة الصحف في الانتماء الى قراء معينين . اذ ان التناقض بين كسب القارىء التقليدي ، وبين الثورية المفترضة ، يقرب هنا باتباع وسيلة صغيرة للغاية ، وهي ضم المفكرين الشبان ، والذين نجحوا قبل ذلك في اكتساب قيمة ادبية عميقة ، اثناء تمرسهم بالكتابة في المجلات الادبية ، او نشرهم للكتب ، ضم هؤلاء الى تحرير الجرائد ، على اعتبار انهم يضمنون كفاءات فكرية ضخمة ، غير ان هؤلاء يتحولون بالنتيجة الى صحافيين بدون قيم ودون افكار ..

وثاني هذه النوافذ الاذاعة ، وخاصة البرنامج الثاني . مستوى المسموع يجب ان يكون اسطح واقل اعماقا من مستوى المكتوب ، وذلك صحيح حتى بالنسبة للادب الذي يهدف البرنامج الثاني الى نشره وتوسيع نطاقه .

فالمستمع مثلا لايستطيع بمثل الدقة التي يملكها القارىء ، ان ينصت الى محاضرة عن ادب سارتر او كامو ، وذلك لانه كقارىء يملك امكانية مراجعة النص ومناقشته ، اما المستمع فلا يملك مثل هذه الامكانية ، وعلى ذلك فالاذاعة تشدد على مستوى المكتوب ، وتريد له ان يكون واضحا وسهل الهضم .

ومن ناحية اخرى لاتريد الاذاعة الا ان تسير على مخطط رسمي ، يعتمد معظم الاعتماد عى الاسماء الكبيرة ممن اصطلحنا على ادراجهم ضمن الادباء الشيوخ ، وهي لاتحترم الاعمال الفنية ولا النقدية التي يكتبها الشباب ، على اساس ان الشيوخ يملكون ضمانة اسمائهم وماضيهم الفكري ، وتبعا لذلك ، يلاحظ المستمعون تكرار الاحكام ، وتكرار الجمل والعبارات التي يستشهد بها نقاد كبار ومفلسون ، ضد ، او مع اعمال ادبية متعددة ، الى حد ان صارت بعض هذه العبارات امثلة للتفكه والتندر ..!

وثالث هذه النوافذ الكتب . وقياسا على ماسبق ان تكلمنا عنه بالنسبة للصحافة والبرنامج الثاني ، يتمسك الناشرون بالكتاب الشيوخ على اساس احترام القارىء لاسمائهم وشهرتهم ، وليس على اساس قيمة ما يتقدمون به . ويقينا ، لو تقدم « وليم فولكنر » برواية (الضجة والغضب) باسم « عبد الشهيد عثمان » مثلا ، الى ناشرينا ، لرفضوه ولاهين حتى النخاع .. وذلك لانهم لايقيمون العمل بما فيه ، ولكن بمعرفة القارىء لهذا الاسم او ذاك ..

هذه الاجهزة مازالت حتى الان تعمل كان لم تكن هناك ثورة ، او تغيير فكري ، او تطوير الى ابعد حدود التطور للذهنية البورجوازية القديمة التي اعلن عنها بعض الشيوخ من الكتاب ، وما زالوا يعلنون عنها في كل مايكتبونه وما يفكرون به ..

وموقف الاديب النضالي من هذه الاجهزة ، هو بالضبط موقفه من الاوثان المجتمعية التي يثور عليها والتي يطالب بتجديدها واضاءتها ، على اساس انها لا تناسب الحياة الجديدة التي يحياها ، ولا تناسب تطلعاته، ولا تطلعات الثورة التي ينطق هو باسمها .

عندما قامت في انكلترا وامريكا حركتا الغاضبين والمتمردين ، وعلى راسهم جون اوسبورن وجاك كيرواك ووليام لي واناتول بروياردور. ق. كاسيل ، كانتا مناوئتين للسلطتين الشرعيتين في البلدين وهما السلطة الحكومية والسلطة الشعبية . اي لم يكن هناك جدار يسند الحركتين، ويقوي ظهرهما ، باعتبارهما دعوة الى حرية فوضوية ، لاتستطيع ان تفع فارقا سلوكيا بين الرغبة ، مجرد الرغبة في اطراح التقليدي ،وبين اطراح الاخلاق ..

ووجدت السلطة الحكومية ان عليها ان تقاوم هذا التيار الذي اسمته عبثيا ومخربا ، فاستكتبت بعض كبار المدرسين والمفكرين في جامعتي اوكسفورد وكيمبردج ، مقالات ودراسات متعددة ، تفسر اسباب نشوء هذه الحركة ، وتحلل مبرراتها ، وتطلب الى الشباب ان يتحللوا من الارتباط بها ، على اساس انهم فئة غاضبة ، سوف تتصالح مع اوضاعها قريبا .. ووجدت السلطة الشعبية ان عليها ان تعرف اهداف هؤلاء اولا قبل الحكم عليهم ، وهكذا صدرت كتب الغاضبين ، ومثلت مسرحياتهم ونشرت دراساتهم وتعرفوا الى الناس ، واصبح بعضهم كجون اوسبورن وويلسون وكيرواك ، من اخطر كتاب اوروبا تاثيرا ، واعمقهم ثقافة ..

لقد تم هذا التدشين لسبب واضح وبسيط ، هو ان الناشر الغربي يعرف اولا قيمة الكتاب الذي بين يديه ، وهذه المزية ، توضح مدى مايتمتع به الاديب الشاب في اوروبا وامريكا من قدرة على الوصول الى الناس والتاثير فيهم ، مهما كان معارضا للنزعة الحكومية ، او لاهواء الناس ..

اما هنا ، فالاديب الشاب لايستطيع ان يبلغ صوته الى الجمهور ، بالرغم من انه يعلن تماما عما تعلنه الاجهزة الثورية في الحكومة ، وذلك لان الاجهزة الثقافية وحدها ، مازالت تعيش في عهد الخديو .. والاتراك.

اما بالنسبة الى ضعف الاديب العربي الشاب ، فكريا ، فهو ضعف موقوت بهذا التردد والقلق الذي يحياه ، والذي يدفعه مرة الى اقصى اليمين ، لكي يتمكن من النشر ، ويدفعه مرة اخرى الى اقصى اليسار، حين يحتاج الى ان يستمد من معينه الثوري مايكتبه ، محتفظا به في الادراج ..

واحسب ان هذا التناقض بين الكيف العميق فيه ، والكيف المطلوب منه ، هو اساس تبرمه وتشاؤمه وعذابه ..

القاهرة — **محيي الدين محمد**

*

الاقليم الشمالي

صراع بين عقليتين

لمراسل « الاداب » محيي الدين صبحي

*

منذ ان يعيد المرء نظره في الجو الادبي ، يستطيع ان يميز فئتين: فئة تعلم الادب وتتعلمه على انه صنعة ذات اصول ومقاييس ثابتة استنبطها اساتذتهم من قبل ، وهم يسيرون على سنتهم ، وفئة تنظر الى الادب على انه حركة ديناميكية فيها مرونة الحياة وعضوية الاجساد ، لذلك تفنى بعض القيم وتتولد نواميس جديدة ويحل الحديث الطريف محل القديم البالي او يماشيه جنبا الى جنب بحسب شدة التطور وشدة التوتر التي تمليها الحياة المعاصرة ..

ومن المألوف ان يكون انصار الفئة الاولى هم الفئة المحافظة التي تدرس التراث القديم وتستنتج معالمه ومناهجه ، وتقدم عصارة ابحاثها الى الاجيال الطالعة لتساعدها على التعبير والتطوير ، ولكي تحافظ على خيط يشد الحاضر الى الماضي او يربطه به فتظل للادب روح موحدة وطابع واحد يبرز شخصية الامة وخصائصها في التفكير والتعبير .

كما ان من المألوف ايضا ان يكون انصار الفئة الثانية اشخاصا متمردين يرتبطون بواقع الحياة وايقاعها العنيف اكثر مما يلتصقون بالكتب المتوارثة والورق الاصفر او الابيض ، ويرون في الحياة اليومية غناء عن اشارات الماضي ، ويجدون في متناقضات الواقع من العمق والالحاح والايحاء مالا يخضع لقاعدة ولا يدخل في تبويب او ينحصر في تصنيف .

ولا ريب في ان الخلاف يشتد كلما انقطعت الصلة بين التراث والابتكار، وكلما تصلبت شرايين القديم او زاد طموح الجديد وجموحه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وايضا حين يحمل كل من الطرفين مخططا اشمل للميادين التي يريد ان يفتتحها ، وبذلك نخرج من مناقشة المضمون احيانا الى مناقشة مشروع حضارة بكامل وجوهها يبشر بها طرف وينكرها طرف اخر.. ولا ريب ان الخلاف ينعدم حين تتواكل الفئتان وتقنع كل منهما باللقب والمركز والتحديد الذي يهبها اياه المجتمع : هذا اديب شاب وهـذا اديب محافظ.

ونحن ـ بعد ان استعرضنا في الرسائل السابقة ـ طفرة الابداع لدى الادباء الشبان ، لم نجد فيها الاصالة التي تكفي لتصدم المفهومات القائمة وتقلب عالما من الجمود ظل يرهق ضمائرنا خمسة عشر قرنا . ذلك ان ادباءنا ما زالوا يتحسسون التكنيك ويتلمسون طرقهم في ابتكار اساليب جديدة للتعبير ، وبذلك اهملوا المضمون او كادوا ! وفي كل مرة يحاول اديب شاب ان يعبر عن افكار ثورية يهبط مستوى الاداء الفني الى حد التقرير والخطابة ! ان الشباب ليسوا خطرين .. هذا ما يطمئن الرجعية في جميع اشكالها : الرجعية الاجتماعية التي تعارض اي تحرر فردي ، والرجعية الاقتصادية التي تنكر اهمية اي تخطيط ، والرجعية السياسية التي تحول دون المواطن ودون تحميله اية مسؤولية يشارك فيها ببناء الوطن الذي يدفع من اجله الضرائب.. والرجعية الفكرية التي تحرم حق التفكير الحر على الناس دون الخضوع لمسلمات متوارثة قررها اغبياء ليس بينهم وبين حضارة العصر الحديث صلة او نسب . ومع ذلك فان الفئة المحافظة التي تدعي ان الادب صنعة ذات اصول ومقاييس لا يجوز للناشيء ان يخرج عليها .. هذه الفئة لم تستطع ابدا ان تطرح قيما ولا ان تولد مقاييس . انني لم اقرأ اي شرح ولا دراسة وافية عن الادب القديم للمنادين بالقديم في الاقليم السوري ، ما عدا الدراسة الرصينة التي قدمها الدكتور شكري فيصل عن الغزل في العصرين الجاهلي وصدر الاسلام . ان طبقة المحافظين هي طبقة الدكاترة ... « دكاترة الادب » واكثرهم فئة تستمد وجودها الادبي من اللقب والمنصب الذي يسند الى هذه الشهادة والامتيازات التي تمنح لصاحبها : الوفود الادبية والبعثات وصدور المجلات الحكومية والجرائد المحلية ... وهذه التسهيلات جميعها لم تكن لتفرضهم على الجمهور .. ان النـاس يحتاجون الى عقيدة والى اناس يحدثونهم عن حيـاتهم وواقعهـم ويساعدونهم على تكوين رؤية سليمة لمستقبلهم وبلورة صحيحة لامانيهم وللامال التي يعيشون من اجلها ... انهم يحتاجون الى مثل هـذا الحديث بلهجة حانية متواضعة ولغة عملية بعيدة عن تعقيدات الثقافة والفاظ المثقفين ، لكن الدكاترة ـ معظمهم ـ يعرفون ان ما يكتبونه ـ اذا كتبوا ـ هو احد شيئين : فارغ اجوف مكرر ، او بعيد معزول مهزول . وهم في الحالتين لا يكسبون قراء ولا شهرة ، وهم يعرفون فيما بينهم وبين انفسهم ذلك ، ولهذا السبب بالذات تراهم لا يعرفون كيف يكتبون !! انهم يرتبكون ، وهذا ما يزيد سوءهم سوءا وضحالتهم تعقيدا ، وهذا ما يجعل موضوعات كتاباتهم تدور حول الادب : انها ليست ادبا وليست نقدا وليست موضوعات اجتماعية ولا اخلاقية ولا فلسفية كما انها ليست عكس ذلـك ! وللبرهان على الكتـابة في « اللاموضوع » نذكر القراء باننا في الرسـالة الماضية من الاداب تحدثنا عن نتاج الادباء في الاقليم الشمالي ، وقلنا ان كتاب الدكتور صالح الاشتر عن شعر النكبة لا يحوي اي نقد او تحليل او بصر عميق في الشعر ولا في الكشف عن اسبابه . ويبدو ان النقد العلمي لم يرق في نظر الدكتور فكتب مقالة مطولة في جريدة الوحدة نجتزيء منها بمطلعها :

« جهاز الهاتف في بيتي خرج منذ شهر عن صمته ووقاره ، ليرن دون انقطاع ، ويحمل الي اصواتا غريبة لا اعرف اكثر اصحابهـا ، وهذه نماذج مما تنقله الي :

ـ هل قرأت ما كتبه عنك فلان في مجلة الاداب البيروتية ؟

ـ لا .

ـ ان فيها حملة محمومة على بعض كتبك ، وكاتبها يجردك من كل امكاناتك ، ويسخر منك ..

ـ ومن هو فلان ؟

ـ مراسل تلك المجلة في دمشق ، يكتب في الصحف ، وينقد ، وله لسان طويل ، واسمه قبل ان يخرج من الجامعة كذا ..

ـ اسمه فلان ! يا لهزل المواهب .. اني مـا ازال اذكر عرق الخجل وهو يتصبب منه عندما كان يؤدي بعض امتحاناته امامي ، فلا تستقيم الجملة العربية على لسانه !

ـ كنت اذن استاذه ؟

ـ لا . ولكني كنت ثاني اثنين من اساتذة الجامعة في الامتحان، فلما حكمنا برسوبه بكى واستبكى ، ولم يجد في اللجنة من يرق قلبه له ، فالجميع يعرفون عقده وغروره واخفاقه !

ـ هذا اذن سر « انتقامه » ! »

اظن ان تلك السطور لا تشرف كاتبها سواء كان استاذ جامعة او غير ذلك ، لانها لا تقيم له الحجة على نقد ولا تدحض برهانا قدمناه ولا تنقض حكما ابرمناه . لقد نقدنا كتابه فذكر احوالا شخصية يعف عن سردها اقل الناس حظا من تربية وذوق . لقد حـاول الدكتور المذكور اعلاه ان يؤلف كتابا عن شعر النكبة فاكتفى بان جمع قصائد من هنا وهناك دون تصنيف ولا ترتيب ولا نقد ولا تحليل ... فلمـا لفتنا نظره الى هذا التقصير الفاضح هاج وماد وانهـار وقام يدفع التهمة بالسباب ..

هذا هو مستوى بعض الدكاترة وهذه عقلية من يناط بهم ان يحافظوا على التراث ويربطوا الحاضر بالماضي بنوع من الاتزان والعمق. اننا مبتلون وسوف نصمد ... واظن ان المقارنة بين جيل الشباب وادب بعض الدكاترة اوضحت اي الفريقين اصدق سبيلا واقوم منطقا، والى اي درجة من التفسخ وصلت افكار بعض الناس ومواقفهم .

دمشق ـ محيي الدين صبحي

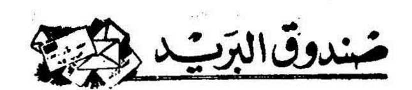
صدر حديثا :

الطبعة الثانية من ديوان

قصائد عربية

للشاعر سليمان العيسى

دار الاداب ـ بيروت



في ذكرى الصوفي

٭

تلقينا من السيد اسماعيل الصوفي هذه القصيدة التي يحيي بها اخاه فقيد الشعر المرحوم عبد الباسط الصوفي بمناسبة مرور سنةعلى وفاته :

واها عليك اخي والواه تشجيني … وحرقتي في الحشا تصلى وتطليني
نفسي تقطع من حولي كان بها … مدى تسابق تفريني وتبريني
ومهجتي يا اخي ، من حرهاانفجرت … بين الضلوع انفجارات البراكين
اخي ، وكم لوعة في القلبقدتركت … انباء نعيك لاتنفك تشويني
هلا تلمست من حر الجوى كبدي … وما تقاسيه بين الحين والحين
غلي الحميم دمي تغلي مراجله … تكاد من هولها تغلي شراييني
والدمع من مقلتي ينهل منهمرا … يقرح العين يدميها ويعميني
اني لاسكب دمعي فوق تربته … مادمت حيا ، فهل انساك يا عيني
دمعي يقبل قبرا ضم حفرته … اغلى الاحبة ، في دنياي والدين
دمعي يعانقه في كل اونة … يبثه لوعتي بث المحبين
دمعي يحدثه عني وان وضعوا … صفائح الصلب والفولاذ من دوني
قد اودعوك ظلام الصلب واسفي … فكنت فيه كما قد كان ذو النون
فانت انت بروحي ساكن ابدا … حتى الاقي مالاقيت في حيني
وعندها نلتقي من بعد ما انصرمت … أيامي السود اطويها وتطويني
تضمنا حفرة ، والنفس واحدة … اني لمنتظر ، والشوق يكويني
ان السعادة في لقياك يا املي … انت المنى ، وكفى من قبل تكويني

٭

حمائم الدوح ثكلى بعدما رزئت … ببلبل العرب تبكيه وتبكيني
تنعى الى الكونعبد الباسطاضطربت … ارجاء افريقيا ، والهند والصين
لله ، كم مرة غنى بايكتنا … وافتن في شدوه شتى الأفانين
يسعى الى فن ، ينساب في نغم … يضوع من ارج ، ضوع الرياحين
وكان روحا لدنيا العرب قاطبة … وراحها فهوى للتربوالطين
لكن شمسك مازالت طوالعها … من جبهة الخلد في عرب ميامين

٭

انوار روحك عبد الباسطامتزجت … بين الاحبة في اثواب مدفون
عليك منا سلام الله مانظمت … قلائد الدر انفاس الملايين

اسماعيل الصوفي

٭

تغيير في الموقف وفي الشعر !

اثلجت صدري افتتاحية الاداب الغراء ـ عدد تموز ١٩٦١ فقد كشفت القناع بصراحة مشهودة عن بعض الوجوه التي كنا نحترمها الى حد ونرثي لها في الوقت ذاته .

وحديثي القصير هنا عن السياب ، فقد تقلب الرجل سياسيا وفكريا دون حسيب او رقيب ثم انزلق اخيرا الى بؤرة مجلة شعر المعروفة الاتجاهات و « الامدادات » بعد ان غازلها بطيارة في عام مضى .

والله يعلم اننا ناسف لانحدار شاعر كبير كالسياب الى مستوى تآمري ـ ان شاء هو ـ على كل ماهو عربي وخير ونبيل ولكن الذي يزهق النفس كما يقولون ان يقدم السياب ذاته على تغيير شعره القديم ايضا في سبيل ارضاء « اصدقائه » الجدد وهذان نموذجان على ذلك.
صدرت قصيدة « المومس العمياء » مطبوعة في بغداد عام ١٩٥٤ وجاء في « ص ٢٤ » :

في موضع الارجاس من جسدي وفي الثدي المذال
تجري دماء الفاتحين فلوثوها يارجال
من كل جنس للرجال .. فامس عادت بها الجنود
من ادعياء الانكليز الى صعاليك الهنود

وعندما اعاد السياب طبع كل قصائده في ديوان « انشودة المطر » بمساعدة من مجلة شعر عام ١٩٦٠ اصبحت الابيات السابقة كالاتي « كما ورد في ص ٢٢٢ من انشودة المطر »

في موضع الارجاس من جسدي وفي الثدي المثال
تجري دماء الفاتحين فلوثوها يا رجال
من كل جنس للرجال .. فامس عادت بها الجنود
الزاحفون من البحار كما يفور قطيع دود

فماذا يعني هذا ؟. أليست بعض مساومة للخال والحاج و « اخوال» الخال والحاج ؟ قد يقول البعض ان البيت الاخير كان اشمل في صيغته الجديدة ، والجواب على اية حال ان سياب ٥٤ و ٥٩ قد اختلف عن سياب ٦٠ و ٦١ .

وخذوا مسالة قصيدة بور سعيد التي نشرت عام ١٩٥٦ في مجلة الفنون العراقية .. انها قد خضعت بفضل صاحبها واصحابه الى تغيير واضح ابرز مافيه بيت نشر على صورته الجديدة في انشودة المطر وهو :

كامو والتمرد

بقلم روبير دولوبيه

دراسة وافية عن فلسفة العبث والتمرد كما تنطق بها آثار المفكر والاديب الفرنسي البير كامو الذي اختفى في العام الماضي .

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

يطلب من دار الآداب

الثمن ١٥٠ قرشا لبنانيا

يا امة تصنع الاقدار من دمها   لاتيأسي ان « سيف الدولة » القدر

والكل يعلم .. ان سيف دولة مجلة شعر والسياب الجديد الهتريء لم يكن سابقا سيف دولة بور سعيد .. فلم كل هذا التميع والخوف ؟. هل حسب السياب ان قراء الاداب - لا كتابها - لايراقبون ولا يفهمون ولا يستنتجون ؟ انه قد اخطأ فامانة الثقافة في وطننا امانة شاقةحتى على المبتدئين الذين بدأوا يعوها بصمت وحقد مقدس على السياب واحزابه من ... اريد ان اكون مؤدبا في الختام وللاداب تحياتي .

بغداد   لبيب الصباغ

*

رسالة .. وقصيدة

جاءتنا الرسالة والقصيدة التاليتان احببنا ان ننشرهما ارضاء للكاتب .. وانتظارا لرأي القراء ، نزولا عند رغبته !

تحية عربية ، وبعد

يسرني ان ارسل اليك مجددا قصيدة « الربطة الجريحة » عسى ان تروق لك .. وان لايكون مصيرها الاهمال كمصير اخواتها السابقات .. وان تنظر اليها بعين النقد العادل المنصف التي تميز الصالح من الطالح.. لا تتأثر بالوساطات والتوصيات .. وانما تهدف الى الحفاظ على التراث العربي من ان تعبث فيه الايدي .. والى الابقاء على الشعر العربي صحيحا معافى مما يسمى بالتجديد .. وليس يحمل اي معنى للتجديد.. بل الهدم للكيان الشعري العربي .. ان الذي يقرأ مجلة الاداب الراقية اليوم .. ويقارن بين عدد من اعدادها الحديثة واخر من الاعداد القديمة .. لايملك نفسه من التأثر والاسف على ماأصاب الاداب من جراح في الصميم .. ويكفيك من الامثلة قصيدتا « المعلم في الصف » و « المثل » اللتان اساءتا الى معنى الشعر .. والتجديد .. ولكن الانسان لايستطيع ان يعرف المقياس الذي يقاس به الادب لديكم .. ولا يدري كيف تقومون الادب ....؟ والا كيف تحوي الاداب ازهار الياسمين الى جانب العوسج الملعون « كما قال ابن الرومي » .. اننا نرجو ان تنصفوا في تقويم الادب .. او تحيلوا ماتكتب وما تنشرون الى القراء .. ليقولوا الكلمة الفاصلة .. مايزال لنا امل فيكم .. وفي ان ياتي اليوم الذي يظهر فيه النقد الصحيح العادل .. وعندئذ سيكون الادب في خير عميم . ولكم التحية واطيب الامنيات ، مع خالص الشكر والاحترام.

الربطة الجريحة

اخذت ربطة عنقي لتنظفها وتكويها فاذا بها بعد بياضها تعود حمراء وتتداخل الوانها فخجلت مني وتأثرت فقلت لها :

فدى لعينيك تبلى ربطة العنق   ياغادة اسلمت ليلي الى الارق
لا تغضبي ، ان ازال الكي زينتها   لا تغضبي ان بدت حمراء كالشفق
اتتك بيضاء مثل الوجه زاهية   مذ حدثتك اكتوت من قلب محترق
لم تصبغيها دما لكن ابنت بها   عواطفا من لهيب الحب والقلق
وربطتي عطرت زادت مفاتنها   يزهو لها الثوب زهو الكون بالفلق
تشتاقها كل اثوابي تباركها   تسخو عليها بعطر خالد العبق
هذي رسالة حب لانظير لها   تبوح عما بقلب الصب من حرق
يا ربطة اصبحت عندي مقدسة   قلادة للهوى العذري في عنقي
شكرا مدلهتي للطيب انشقه   منها ، وشكرا لنعمى حسنك الفدق
لا تغضبي غادتي ، اني سررت لها   قلبي الفداء ، وليست ربطة العنق

حمص   شكري هلال

حاليا

التصفية الكبرى

عند

نايلون سبور

ملبوسات للرجال

شارع البرلمان - ليس له فروع اخرى

أزمة المفكر العربي

— تتمة المنشور على الصفحة ٨ —

والاساليب التي قد لا تذهب سدى فحسب ، بل وقد تقف حجر عثرة في سبيل تقدمه .

اول ما ينبغي للمفكر العربي أن يفعله هو ان يتحرر الى حد كبير من عبوديته لكثير من الاصطلاحات والصيغ والمفاهيم الثقافية الاجنبية التي تمتد جذورها الى اوائل القرن التاسع عشر عندمـا اقبل المثقفون العرب على الحضارة الغربية يعبون من مناهلها دون البحث في مدى اتصال ما يقتبسونه بواقعهم الحياتي والفكري . ويبدو انهم لم يفقهوا بعد الدرس الذي كان من المتوقـع ان يستخلصوه بعد خيبة الامل التي اصيبوا بها اثـر فشل التجربة الديمقراطية . وتراهم لا يزالون ـ ولو الى حد اقل نسبيا ـ يقتبسون بعض الافكار والمفاهيم دون فهم او تحليل دقيق للقرائن العربية التي ستطبق فيها .

لقد حان لهم ان يدركوا ان المفاهيم الثقافية والمذاهب الفكرية برمتها لم تتشكل في الغالب الا بعد تغير واضح في العلاقات الاجتماعية وظروف الحياة وطرائق التفكير. فدارس مذهب حرية التجارة في القرن التاسع عشر مثلا يدرك تمام الادراك انه لو لم يكن قد وضح تمامـا ان مصلحة انجلترا هي في اتبـاع ذلك المذهب بسبب تصنيعها وغلبتها البحرية وانتشار مستعمراتها ، لكان من الجائز الا تقوم له قائمة . ويعلم دارس المذهب القومي في الاقتصاد انه لو لم تكن مصلحة المانيا في اتباعه بسبب من تأخرها صناعيا حتى ذلك الوقت لما كسب أصحابه ما كسبوه من شهرة وتأثير . ويمكن القول كذلك بانه لولا مستعمرات الاوروبيين التي اغدقت عليهم الاموال وفتحت مجالات واسعة لنشاط ابنـائهم وقدرتهم ، لما تطورت الديمقراطية السياسية الغربية بالشكل الذي هي عليه الآن.

وطالما ان المفاهيم والمذاهب الفكرية الاجنبية قد تشكلت في قرائن طبيعية وبشرية مختلفة ، فلا يجـوز ان نأخذها مسلمات ، او ان نسمح لها بأن تعوق تطورنا. واقرب الامثلة على ما نقصد اليه، واشده صلة بما يجري في بلادنا هو القومية . فقد اتخذ بعض المفكرين العرب من التجربة القومية الاوروبية الحديثة مثالا على تطور القوميات في كل مكان ، بينما يقضى المنهج السليم بأن يدرس المفكر العربى معطيات الاحوال فى اوروبا ومعطيات الاحوال في البلاد العربية قبل تسليمه بالتجربة الاوروبية او اطـلاق اي حكـم بشـأنها . فـان مثل هذه المعالجة قمينة بأن تبرز من الفروق بين القرائن الاوروبيـة والقرائن العربية ما يجعل تكرار التجربة الاوروبية فى البلاد امرا مستبعدا .

وينتظر من المفكر العربى كذلك ان يعيد النظر في نزعته الى الاغراق فى تمجيد تراثه من تاريخ وحضارة وقيم على حساب الفهم التحليلى الدقيق لمسائله الكبرى. فمسألة فهم هذا التراث ودراسته الجدية لا تقل شأنـا عن تحررنا السياسي. ذلك ان تطلعنا الى التحرر من العبودية الثقافية بخلق فلسفة اجتماعية عربية يستلزم ان نقيم جذورها فى تراثنا الروحى والثقافى ، وهو امر لا يتم الا بفهم ذلك التراث وتقييمه بروح مخلصة صادقة.

والدراسة الجدية لذلك التراث لا تستهدف التقليد او المحاكاة ، ولا تفترض مسبقا تكرار احداثه ، وانمـا تتوخى فهمه بطريق التعليل والتفسير والنقد على اسس علمية حديثة . واولى الامور بمثل هذه الدراسة هو امر العملية الحضارية التي ادت الى قيام النهضة العربية خـلال القرون التي أعقبت انسياح العـرب في العالم ، وفهم الاسباب التي ادت فيما بعد الى توقف العقل العربي عن الابداع واقتصاره حتى اوائل العصور الحديثة على شروح المتون والتعليق على الشروح . وليس من شـك في ان دراسة هاتين الناحيتين هي من اجل الخدمات التي يسديها المفكر العربي لنفسه ولابناء امته . هذا بالاضافة الى ان العملية الحضارية هي جوهر الدراسات التاريخية .

وما تأكيدنا هنا على دراسة العملية الحضارية الا لصلة الامر بمفاهيم حضارية خاطئة قد ادت في كثير مـن الاحيان الى تخبط بعض المفكرين العرب في مناهـج دراستهم لتاريخهم وفي فهمهم للحضارات العالمية التليدة والحديثة . ويأتي في رأس هذه المفاهيم فصلهم بين مـا يسمونه بالحضارة المادية وبين الحضارة الروحية وتمجيدهم للثانية على حساب الاولى ، واستخفافهم البادي بكـل ما يتصل بالمادة ، هذا رغم ان توفر الالة شرط اساسـي من شروط النهضة العربية الحالية التي يتطلع الجيـل العربي المعاصر الى بنائها ، ورغم ان الالة من مرتكـزات الحضارة العالمية المعاصرة .

ولسنا في حاجة الى كبير عناء لاثبات العلاقة بين الالة والمجتمع وتفكيره . فقيام مصنع في اي قطر لا بد وان يوجد طائفة من العمـال تلعب دورا في العلاقات الاجتماعية والاوضاع السياسية لذلك القطر ، ولا بد لها بالتالي من ان تؤثر في تفكيره الاجتماعي والسياسي . وقيـام سد من السدود الكبيرة مثلا يحرر طائفة كبرى من الفلاحين من الوقوع بالكلية تحت رحمة الطبيعة ، ويساعد عـلى انتظام حياتهم ويؤمنهم على ارزاقهم ، ويولد الثقة بالمستقبل في نفوسهم . وما لنا نتناول هذه الامثلة بينما هنـاك شاهد متصل باشخاص الكثيرين منا . فالنظارة الطبية التي نستعملها قد قدمت من الخدمات للانسانية ما لا تدركه غالبية من اعتادوا على استعمالها . أيشك احد في انها اطالت اعمـار الطلاب والعلماء والمحاسبين ممن كان يضعف بصرهم وهم في اوائل حياتهم ؟ أفيقال بعد هذا حضارة مادية وحضارة روحية !

ودراسة العملية الحضارية دراسة علمية حديثة كفيلة بأن تفتح عيني المفكر الحديث على نقص خطير في دراسته لتاريخه وحضارته . فقد جرى اكثر المفكرين حتى الوقت الحاضر على قصر التاريخ على الحكام والملوك من العظام ومن التافهين على حد سواء ، وعلى أخبار المعارك ، ومؤامرات القصور وقصص القواد والعلماء ، كما جروا على عـادة القدماء في اعتبار العامة او سواد الشعب غوغاء ممن ينبغي صرفهم بكلمات ، هذا على الرغم من ان هؤلاء « الغوغاء » كانوا هم مصدر رزق الدولة ، والذابين عـن حدودهـا ، والمنافحين عن سلامتها . اما آن لهؤلاء المفكرين ان يدركوا انه انما يعيشون على فائض انتاج الفلاح والعامـل ، وان الاهتمام الزائد بالعامة من مستلزمات خلق الامة الحديثة. كم كانت لكلمة رئيس الجمهورية حين اشار الى ان وجه مصر الحقيقي هم اولئك الفلاحون من وقـع فـي النفس واثارة لوجدان العربي الانسان . فاذا لم يستخلص المفكرون من هذه الكلمة جميع ما تتضمنه من معان عميقة فـان حضارتهم التي هم بصدد بنائها ستظل كما كانت منذ قرون طويلة حضارة مدينية (اي قائمة على المدن فحسب) .

والمفكر العربي مدعو ايضا الى ان يطرح اسلوبا يستنفد اغراضه، ولم يعد له ما اسبغ عليه من اهميه، الا وهو الرد على المبشرين والمستشرقين الذين يتعرضون للدين الاسلامي بما لا يحب اهله. اجل لقد مر زمن كان هذا الاسلوب ضرورة لجا اليها المفكر وتمسك بها ريثما يسترد انفاسه ويستجمع جهوده، ويستعيد ثقته بنفسه. اما وقد فعل اكثر هذا فعليه ان يوجه طاقاته التي كان يصرفها في الردود والدفاع عن عقائده، في فهم دينه، والتعمق في دراسته، ونشر تراثه، سيما وان الاسلام عزيز قوي برسالته وبالمسلمين، وانه ما زال، ينتشر في اكثر من بقعه من بقاع العالم.

ومن اهم النقاط التي ينبغي ان نثيرها هنا بالنسبة للاساليب والمفاهيم التي ينبغي للمفكر العربي ان يعيد النظر فيها هي مفهومه التام لاهدافه وما يتفرع عنها من مسائل كليه وجزئية. فتعيين الاهداف دون تحليل فكري فلسفي حديث لها قد يؤدي الى فوضى وتخبط في المفاهيم ويضيع كثيرا من الجهود التي نحن في اشد الحاجة لها. وسأقتصر هنا على التنويه بهدف واحد من اهدافنا ومجهودات المفكرين في تحليله وجلائه وتحقيقه، وهو تطلعنا الى وضع فلسفة اجتماعية او ايديولوجية، عربية في جذورها الروحية الثقافية، وحديثة في شمولها وانسانيتها.

ان من يتصفح بعض الفيض الذي تخرج علينا به المطابع العربية لا بد وان يشعر بالاسف حين يكتشف ان كثيرين ممن تصدوا لبحث هذا الموضوع او ممن عنونوا كتبهم ومقالاتهم بعنوان الايديولوجية او الفلسفه الاجتماعية لم يكلفوا انفسهم عناء تحليل العنوان نفسه، وفهم نقطة البداية كأن الموضوع انشاء او خطبة حماسية. جادت به قرائحهم كأن الموضوع انشاء او خطبة حماسية. وليس من قصدنا هنا ان نثبط هممهم او ان ننال من تفكيرهم وانما قصدنا ان نذكرهم بمسؤولياتهم الجسيمة تلقاء انفسهم كمفكرين، وتلقاء الجيل المعاصر والاجيال التالية.

فلو ردوا مفهوم الفلسفة الاجتماعية الى مقوماته الرئيسية من نظرية في الانسان، ومفهوم للحضارة، وتفسير للتاريخ، ونظرية في المجتمع، لترددوا في الكتابة في الموضوع واعتبروا المهمة مهمة سنوات عديدة من الجهد والكد المتواصلين. ذلك ان اية معالجة جدية لهذا الموضوع لا بد وان تقوم على تقييم صحيح للتراث العربي من جميع نواحيه، وعلى فهم موضوعي عميق للتراث الانساني العام، وهما امران لم يتوفرا بعد للمفكر العربي.

وعلى المفكر العربي ان يدرك ان ما نسميه ايديولوجية او فلسفة اجتماعية انما هو اتجاه نحو تلك الفلسفة، وان وضعها يتطلب منا تحقيق شرط لا بد من توفره وهو اتاحة الفرص لطلابنا وخاصة طلاب الجامعات لدراسة تاريخنا وتراثنا ودراسة الحضارات الكبرى التليدة والحضارة العالمية المعاصرة دراسة علميا دقيقة. فالمفكر السعيد الذي سيكون له في النهاية شرف وضع فلسفتنا الاجتماعية العربية سيكون قد تمثل عناصر الثقافة العربية وبنى عليها صرحا فكريا فلسفيا انسانيا عالميا هو خير عدة لنا وللاجيال القادمة.

وبعض ما يصدق على موضوع الفلسفة الاجتماعية التي نهدف الى وضعها يصدق على تفكيرنا القومي. فمعظم هذا التفكير ينصب على الجانب النظري من القومية العربية لا الجانب الواقعي الذي هو اساس كل ايمان بالامة العربية وولاء لها. فأكثر مقالاتنا وابحاثنا يتوخى اثبات حقيقة القومية العربية، واقلها هي التي تقدم دراسات علمية للشعوب العربية ومشاكلها وتدرس طرق تقوية العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بينها كخطوة في سبيل تحقيق الوحدة العربية. ولا بد من الاشارة هنا الى ان مثل هذه الدراسات لا تستمد من الكتب وحدها. فلن يتأتى لكائن من كان ان يقدم دراسة علمية لشعب مراكش وهو في بيروت او عمان او دمشق. فمثل هذه الدراسة تتطلب من صاحبها الرحلة والاقامة في مراكش والاتصال بمختلف هيئات شعبها وقطاعاته الاجتماعية، وبهذه المناسبة لا بد لنا ان نطالب الهيئات المسؤولة باتاحة فرص التفرغ والرحلة والاقامة في الاقطار العربية لاهل الاختصاص ممن يستطيعون تعريفنا على وطننا تعريفا قائما على المشاهدة والاحتكاك المباشر لا تعريفا بالواسطة. وكم تكون خدمة الجامعة العربية جليلة لو انها شملت هذه الدراسات برعايتها فوجهت عددا من اهل الاختصاص الى كل بلد عربي، على غرار ما تفعله المؤسسات العلمية العالمية.

حاولت في هذه الصفحات ان ابرز ازمة المفكر العربي بردها الى عاملين وهما طبيعة المرحلة التي يجتازها وبعض الاساليب والمفاهيم التي ينبغي له اعادة النظر فيها. وان كنت قصرتها على المفكر العربي ممن يؤمنون بالقومية العربية فذلك، كما قال الدكتور قسطنطين زريق، لايماني بان الاتجاه القومي العربي هو السائد وان الامة العربية في طريقها الى تحقيق اهم اهدافها.

محمود يوسف زايد

أعطنا حبًّا

الديوان الاخير للشاعرة المبدعة

فدوى طوقان

الثمن ٣٠٠ ق.ل

صدر اخيرا عن

دار الآداب

المهزومــون

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٩ ـ

لو كان صادقا ، ان يتهم نفسه ، ويعترف ، في داخله على الاقل ، بانه افتعل هذه الثورة ليتخلص من الورطة) .

قلت ان حادثة الحبل هذه كانت ورطة ، من وجهة النظر الفنية. وهذا ما نتأكد منه مرة اخرى ، واخيرة ، عندما لم يستطع هاني الراهب ان يجد للحادثة حلا طبيعيا ، فلم يجد خيرا من ان يصمت ، وينهي علاقة بشر بثريا هنا ، ولا يذكرها مرة اخرى حتى نهاية الرواية . مع ان بشر ، لو كان صادق الاحساس بابوته، لما استطاع ان يتناسى لحظة واحدة ان في احشاء امراة ما ابنا منه ، ولكان من الواجب ان تظل هذه المشكلة مطروحة حتى اخر الرواية ، وان يوجد لها حل (باعتبار ان ثريا رفضت ان تجهض) .

وليست علاقة بشر بسحاب اقل ذهنية من علاقته بثريا . ولكن الفرق الوحيد هو انه لم تنشأ اية علاقة حقيقية ، علاقة رجل بامراة، بينهما . ان علاقته بسحاب ليست الا سلسلة طويلة من المناقشات الاخلاقية التي تتم في ذهن بشر ، والتي يحاول بها ان يبرر افعال سحاب وحياتها الخاصة . هذه المناقشات هي التي جعلت الجو بينهما باردا بشكل عجيب ، باردا الى حد لا يمكن ان نتصور معه انه جو حب . لذلك يظل القرىء ، طوال صفحات الرواية ، يشعر بلاحقيقية العلاقة وبانها مصطنعة اصطناعا لتكون جسرا يستطيع الكاتب ان يعبر منه الى انتقاد المجتمع وتهشيم التقاليد .

ومع ذلك لنفرض ، كما يريد الكاتب ، ان العلاقة حقيقية ، وان سحاب اخلاقية في تصرفها . ولكن ها هي سحاب تكشف نفسها على حقيقتها في اخر الرواية ، تكشف نفسها كعاهرة تعرف كيف تستغل جسدها لتصل الى ما تريد . الا تقول هي نفسها لبشر :

« ـ ساتزوج قريبي .. ابن خالتي طبعا ، وهو مافون احمق ، يمكن ارضاؤه ببضع ساعات على السرير . وبعد ذلك اتصرف كما اشاء » . (ص ٢٨٨) .

الم تكن كل حجة بشر ، عندما اعتبر سحاب اخلاقية ، انهاامراة حقيقية تحترم جسدها ولا تسلمه الا لمن يعجبها ؟ ولكن ها هي تصرح له انها ستتزوج من ابن خالتها الاحمق ، وانها سترضيه « ببضع ساعات على السرير » ، اي انها ، بتعبير اخر ، قد قبلت بان تكون عاهرة ، وان كانت ستمارس عهرها مع زوج « شرعي » . بل هي لا تكتفي بذلك ، بل تعرض على بشر ان تصبح عشيقة له بعد زواجها: « ـ اذا اردت ان تصبح عشيقي ، فاتصل بي بعد شهر العسل . سأستسلم لك كما تريد ، فانت الوحيد الذي كان معي شريفا ، رجلا، وانسانا ، في الوقت نفسه ... » .

اعتقد ان اي رجل لا يمكن ان يشعر امام هذا الكلام الا بشيء وحيد هو الاشمئزاز العميق . ولا اتكلم هنا اخلاقيا بل جنسيا . فكيف الحال بالنسبة لبشر الذي يحبها ، والذي ظل يدافع عنها ضد كل السنة الطلاب الوقحة ، لانه كان يؤمن بانها امراة تحترم جسدها وانوثتها ؟ ومع ذلك لم تبدر عن بشر بادرة غضب واحدة ، بل انه يدعوها الى غرفته (كانت الدعوة الاولى والاخيرة) ويشربان وياكلان ثم يرقصان الدبكة (نعم الدبكة !) ... وتنتهي القصة بان يرفض النوم معها عندما تعرض عليه ذلك !

وبقدر ما نشعر بالافتعال في هذه المواقف وبان الكاتب لا يملك اية تجربة عنها ، بقدر ما نشعر ، على العكس ، بصدق بعض المواقف الاخرى ، التي اعتقد ان الكاتب قد عاشها حقا ، كموت امه . ولكن، وكما قلت في بداية مقالي ، ان هاني الراهب يقع هنا في اخطر ما يمكن ان تقع به الرواية المكتوبة بضمير الانا ، فيذكر لنا حوادث قد تكون حقيقية ، صادقة ، قد وقعت فعلا ، لكنها منفصلة عن جو الرواية وفكرتها لا تساهم في بنائها بناء عضويا ، بل هي ، على العكس ، تقطع تسلسلها وتفضح ، لصدقها الحار ، افتعال المواقف الاخرى التي لا يبدو ان الكاتب قد عاشها حقا . فمثلا ، ما هي « الخدمة » الفنية التي قدمتها الصفحات الطويلة ، الجيدة ، التي كرسها الكاتب لمرض ام بشر وموتها ؟ انها ـ مع الاسف ـ مقطوعة الصلة بمجموع الرواية .

واخيرا ، بالاضافة الى هذه المآخذ ، فان « المهزومون » تشكو من عيب خطير وهو ان احداثها لا تكاد تقنعنا بانها قد جرت حقا . وكأني بهاني الراهب يجهل احد المبادىء الاساسية التي يجب ان تتوفر في كل رواية ، تريد ان تكون واقعية ، واعني به مبدأ مشاكلية الواقع. وسأحاول هنا ان آتي ببعض الامثلة .

لناخذ شخصية ملك ، زوجته اخيه هلال . ولنلاحظ اولا ان بشر قروي الاصل ، وكذلك اخوه هلال . فما مدى تحرر العلاقة التي يمكن ان تقوم ، في مثل هذه الحال ، بين الاخ وزوجة الاخ ؟ اعتقد انها لا تستطيع ان تكون صميمية ، لا يشوبها اي اثر من حرج ، وخاصة عندما تدور الاحاديث عن القضايا الجنسية ، لقد بدت لي ملك ، وكانها ليست زوجة اخ ، بل صديقا ، ـ ولا اقول صديقة ـ حميما لبشر . فهي لا تتورع عن الخوض معه في تفاصيل جنسية محرجة. كما انها هي التى تطلعه على قصة ثريا وحياتها البائسة مع زوجها الحلاق الذي يضربها ويعذبها بل هي تكاد تشجعه على ان ينشيء علاقة معها ولا تتورع عن سؤاله :

« ـ بدينك .. كم مرة قبلتها ؟ » (ص ٤٧) .

صحيح ان ملك فتاة مدينية على ما يبدو . ولكن لا ننس انها متزوجة ، وانها تتحدث عن امراة متزوجة . فهل هناك عجب اذا قلت اني شعرت ان زوجة الاخ هذه شخصية مفتعلة لا وجود لها في عالم الحقيقة ، ولا في عالم دمشق ومجتمعنا ، مجتمعنا الذي يذبح فيه الاخ اخته اذا رآها مع شاب غريب؟

ولناخذ ايضا قصة الشيخ الذي تزوج خديجة ابنة الجيران . ان ملك هي التي تروي القصة :

« ـ لقد عادت (خديجة) لبيت اهلها ، لان الشيخ لم يستطع ان يتزوجها ! لم يستطع ان يتزوجها بالمرة ، ولقد نصحه اهله ورفقاؤه

صدر حديثا :

رسائل مؤرقة

احدث ديوان

للشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

منشورات دار الاداب

ان يشرب بعض النبيذ او العرق ، فرفض وصمم أن يحاول من جديد . وكلما دخلا الغرفة انطفأت طبيعته . وقد حدث ان استمر في مداعبتها لعله .. ولكنه خمد في الوقت الذي بلغت به اللحظة الحرجة عند خديجة ذروة ، فهرب من الغرفة وتبعته وهي تركض ركضا اعمى مجنونا ، وكأنها فقدت كل سيطرة ، فاصطدمت بخاله ، وانهالت عليه قبلا وضما وكان ان اثير الخال .. » (ص ١٧) .

ولنلاحظ قبل كل شيء ان ملك ، زوجة الاخ ، هي التي تروي هذه القصة على رغم ما فيها من الفاظ فاضحة . ولنلاحظ ثانيا لا واقعية القصة (اصطدام الفتاة بالخال وانهيالها عليه ..) ولكن ليس هذا كل شيء ، فالقصة تصبح مضحكة حقا عندما تأتي الجارة وتطلب من بشر وهلال وملك ان يأتوا الى بيتها ليشهدوا دخول الشيخ على الفتاة ، وكأننا لا نزال نعيش في العصور الوسطى . بالطبع ، انا اعرف ان بعض الناس في بلادنا لا يتزوجون الا بحضور الاقارب والاصدقاء ، حتى يثبتوا لهم ان زوجتهم عذراء . ولكن ما استغربه هو ان يقبل بشر وملك وهلال بالذهاب . وهم ما هم عليه من ثقافة وفهم لمعنى الحياة الحديثة .

ولناخذ ايضا بداية علاقة بشر بثريا . لقد رأت العلاقة بينهما عندما راح يراقبها من النافذة وهي تشتغل في المطبخ . فغضبت واغلقت النافذة . ولكنه طلب اليها ان تفتحها ، قائلا :

« لماذا لا نتكلم ، لانتحدث ؟.. انت تعرفين انني لن اوذيك ، هذه ليست اشياء محرمة .. ليس حراما الا الزنا ، والقتل ، وظلم الزوجات .. لاتطفئي النور ، انا اعلم انك تصغي لي ، وحتى لو ذهبت سابقى اتكلم الى ان تعودي .. افتحي هذه النافذة ودعينا نتحدث ، فانا لاأكل بشرا .. كلنا يريد من دنياه شخصا ، اي شخص يصغي له بحنان واستغراق ، فلماذا تهربين ؟ انا وحدي وانت وحدك ، لقد صدمت مثلك بطريقة اخرى .. فانا احببت فتاة لاتحبني » ص ٢٩ .

هل من المعقول ان يوجه انسان مثل هذا الكلام الى امراة ، هي زوجة حلاق ، امراة تقول :

بل واكثر من ذلك كيف استطاع بشر ان يصفها هذا الوصف الدقيق ، وهو في نافذة وهي في نافذة اخرى : « حركاتها ، اهتزازها ، تلفتها ، غنج جيدها وظلال اجفانها ، تكشيرتها الفاتنة ، والتلألؤ الباهر في عينيها .. » ص ٢٨ .

ولنستمع الى بشر في الصفحة (١٦٤) يحدث سحاب عن حبه لها ورغبته في الزواج منها ونقاشهما حول الحب والتجربة الجنسية . كل ذلك امام طالبة غربية كانت تجلس معهما . فهل من المعقول ان يجري مثل هذا الحديث ، وفي جامعة كجامعة دمشق ، وهاني الراهب هو او من يعترف بجوها الاجتماعي المتزمت ؟

ولنفتح الصفحة الاخيرة في الرواية ، عندما قرر بشر ، بعد فشل حبه لسحاب ، ان يتطوع في الكلية العسكرية . لقد ذهب الى البريد ليضع الملف الذي يحتوي على اوراق تطوعه ولكن موظفة البريد تقول له بدهشة :

« - ولكن الكلية العسكرية لم تعلن بعد عن بدء دورة هذا العام .» (ص ٣٠٢) .

ونحن نتساءل كيف عرفت الموظفة ان بشر يريد ان يتطوع ، وكيف عرفت ان الكلية لم تعلن بدء الدورة ؟

ثم لنعد الى الصفحة الاولى من الكتاب حيث يصف لنا الكاتب بطله بشر للمرة الاولى . انه يقول انه خرج الى الشرفة وراح ينظر الى مآذن دمشق السبع والاربعين ، ويكرس الكاتب ستة اسطر لوصف هذه المآذن . ونحن لااعتراض لنا على هذا الوصف من حيث هو وصف . ولكن ما نعارضه هو ان يستبق الكاتب الحدث ، فيجعل بطله يتحدث عن مآذن دمشق ثم يقول ان جاره دعاه الى الصلاة في الجامع القريب . وهنا يتكشف لنا الموقف المسبق للكاتب . انه يعلم ان بطله سيتلقى دعوة للصلاة ، لذلك راح يصف المآذن . لكنه يكون بذلك قد سقط في خطأ هام . فالوصف في الرواية يجب ان يكون نتيجة للحدث لا العكس . اعني انه كان من المفروض الا يتجه انتباه بشر الى المآذن الا بعد ان يتلقى دعوة جاره . اما ان يسبق وصف المآذن الدعوة الى الصلاة فهذا لا يعني الا شيئا واحدا هو ان الكاتب يتدخل في سير الرواية ويقحم نفسه ، هو الذي يعلم باعتباره الكاتب ما سيجري ، مكان البطل بشر ، الذي من المفروض فيه الا يعلم ما سيجري .

وبعد ، اذكر انني في مقالي عن « اتجاهات النقد المعاصر للقصة العربية » المنشور في عدد سابق من « الآداب » قد ذكرت ان معظم النقد عندنا لا يزال نقدا تكنيكيا يتجه الى الكشف عن الاخطاء الفنية التي يقع فيها كتاب القصة في بلادنا . وقلت ايضا ان النقد ارغم على اتخاذ هذا الموقف نظرا لان فن القصة عندنا لم ينضج بعد الى الحد الكافي .

ولقد كان مقالي هذا عن « المهزومون » تكنيكيا صرفا . ولقد كنت مرغما على كتابته بهذا الشكل ، لانه كان علي قبل ان احاول تحليل هذه الرواية والكشف عما اراد كاتبها ان يقوله فيها ، ان تساءل : هل هي رواية ؟

واخيرا ، انني اعترف انني في نقدي هذا مقصرا ، فقد اكتفيت بتبيان ما فيها من نقاط سلبية ، ولم اتعرض لما فيها من نقاط ايجابية ، مع ان هذا واجب علي كناقد يريد ان يستشف قيمة عمل فني ، وان يذكر ما له وما عليه ، ولكن ...

ولكن يبدو ان الناقد يفضل دوما ، بحكم طبيعته ، الشق الثاني من المسالة ، اي يفضل ان يذكر الاخطاء وخاصة اذا وجد نفسه امام كاتب لايزال في بداية الطريق . لانني اعتقد ان مهمة النقد ، في مثل هذا الحال ، ليست تحديد الطريق ، بل التنبيه الى المزالق الخطرة التي قد تبعد الكاتب عن الطريق التي كان يحلم بالسير عليها .

دمشق — **جورج طرابيشي**

صدر حديثا

أبيات ريفية

بقلم عبد الباسط الصوفي

قصائد رائعة للفقيد الذي

كان نسيج وحده في عالم الشعر

الثمن ٣٠٠ ق.ل - ٣٧٥ ق.س — دار الآداب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com